

جولـة

في ادب الجاحظ

بقلم

عادل الزواني

وهي الرسالة التي قدمت للدائرة العربية في الجامعة
الامريكية ببيروت في ٢٥ / ٥ / ٤٥ لنيل درجة استاذ في العلم

الاهداء

"إلى الذين لا يعملون ،
 "وזהים ان يعمل الناس ،
 "أهدى رسالتي هذه ،
 "لعلها تنير همهم ، إن كانت فيهم هم ،
 "أو لعلها تخجل ذمهم ، إن كانت لهم ذم ،
 "تيسرهم أو يتركوا نعمل في هدوء ."

الزواتى

الفهرس المجلد

الفصل الاول في حياة الجاحظ

- ١- تحقيقات
- ٢- حياته العامة
- ٣- الجاحظ في معترك الحياة

الفصل الثاني في كتب الجاحظ

- ١- تعدادها
- ٢- تحقيق في ذلك التعداد
- ٣- وصفها
- ٤- تقديرها

الفصل الثالث في اسلوب الجاحظ

- ١- اسلوبه التأليفي
- ٢- اسلوبه الانشائي
- ٣- اسلوبه العلمي

الفصل الرابع في مادة الجاحظ

- ١- فن الجاحظ
- ٢- علم الجاحظ
- ٣- دين الجاحظ
- ٤- نظرة وتقدير

الفصل الخامس في فهارس متنوعة

- ١- مصادر الدراسة
- ٢- مصادر الجاحظ نفسه
- ٣- شجره
- ٤- الذين اخذوا عنه

الفهرس المنفصل

الفصل الاول في حياة الجاحظ ١١-٤٩٩ظ

=====

المقالة الاولى تحقيقات - ١١-٤٩٩ظ

(في اسمه) ما هي كنية الجاحظ . ترى ابو عثمان ام ابو عمران . ثم ما هو اسمه . ترى عمرو ام عمر . ثم ما اسم ابيه . ترى اهو بحر ام محبوب ام يحيى ام الجاحظ . ثم ما اسم جده . اهو محبوب ام نزاره ام غير ذلك . وبعد هذا ما هي ألقاب الجاحظ . ولماذا لُقّب بالجاحظ . ولماذا بالحدقي . واخيرا ما هي انسابه . لماذا هو الكنايني . ولماذا اللبيني . ولماذا النقيبي . ولماذا البصري . وبالتالي ما هو اسم الجاحظ الكامل الحق . هذا ما سنعالجه في هذا القسم .

(في نسبه) ترى هل كان عربيا . ولماذا . ام كان فارسيا . ولماذا . ام كان حبشيا . ولماذا . ام كان زنجيا . ولماذا . ام كان غير كل هاته . فان كان لماذا كان . ولماذا كان ..

(في تاريخه) متى ولد الجاحظ . واين . وكيف . ولماذا . متى مات الجاحظ . واين . ولماذا . ما هي التواريخ المعتمدة لكلٍ . وما هي قيمتها من حيث الضحة .

المقالة الثانية نظرات في حياته العامة - ١١-٤٩٩ظ

(في بدء حياته) كيف كان . في اى الظروف تغلب . واى الصعوبات قاسى .

(في ثقافته) ما هي مدارسه . الكتاب . المسجد . المرید . دكاكين المرافين . مجالس الادب . الرحلة في علب العلم . مدرسة الحياة . ومن هم اساتذته . الانصارى . ابو عبيدة . الاخفسر . النظم . غيرهم . ثم ما هو

نوع الثقافة التي تنفها " العربية . الفارسية . اليونانية . الهندية . غيرها " .
واخيرا ما هو وزن هذه الثقافة من حيث قيمتها العلمية .

المقالة الثالثة الجاحظ في معتزات الحياة ————— ٤٩٥-٤٩٦

(من كبار الدولة) مع المؤمن . مع ابن الزيات . مع ابن ابي دواد . مع
ابنه . مع الفتح بن خاتان . مع غيرهم . ثم أثر هذا عليه .
(نصيبه من الحياة) المال . ماذا اصاب منه . والجاه . لاي حد اطله .
والمرکز الادبي . لاية درجة صعد فيه . واخيرا ماذا افاده كل ذلك .
(اخذته وشماله) قبل هذا . ما هو وصفه الشخصي . وما الروايات الواردة
فيه . ولماذا اصاب اليه السندري لحيّة . — ثم لماذا هو عادل . ولماذا كريم .
لماذا احب الحياة . وماذا قال الغير فيه . ثم واقعيته . ما القول فيها . والى
اي حد انت في ادبه وعلمه ونظراته في الدين . واخيرا ما القول في جدّه . وما الرأي في
هزله . والى ايها هو في طبعه اُميل . وهل كان له غير هذه من اخلاق يمكن الاشارة
اليها .

الفصل الثاني في كتب الجاحظ ٥٠-٥٨

المقالة الاولى في تعداد كتبه ————— ٥٠-٥١

وفي هذا التعداد راعينا إثبات وجود الاسم للكتاب . سواءً بذكره . او
بوجود مخطوطة له . او يكونه مطبوعا . او باجتماع اكثر من عامل من هذه الثلاثة .
فكان لنا ٢٨٥ كتابا .

المقالة الثانية في تحقيق هذا التعداد ————— ٥١-٥٢

(هو باسم غيره) ترى هل كتب هو باسم غيره . ولماذا . ثم من هم الذين كتب
باسمهم . وما هي الكتب التي كُتبت بهذه الصفة .
(كتب مفردة باسماء متعددة) ماهي هذه الكتب . وما هي اسباب ذلك الالتباس

" التصحيح . التحريف . تبديل ما هي الكلمات . تبديل اماكن الكلمات . نقل
 المعنى دون التغير بنس المبنى . اشياء اخرى " . وبعد هذا ما الرأى في كل التباس
 من هذه . وما تحليله الحار بعد العام .
 (غيره باسمه) ترى هل كتب غيره باسمه . ولماذا . وما هي الكتب المنسوبة اليه
 ولماذا ترى نحن ذلك في كل منها .
 (التي ضاعت) لماذا ضلعت وهل نعرف عنها شيئا .
 (والخلاصة) كم كتابا نستطيع ان ننسب للجاحظ . (١٥٢-١٦٤) .

المقالة الثالثة في وصف كتبه - ٩٠-٩٩

(الرئيسية) الحيوان . ثم البيان . ثم الخلا . ذُكر كل منها .
 مخطوطاته . طبعاؤه . ما قيل فيه وما كُتب عنه . وصدق مادته حسب اجزائه ببعض
 التفصيل . نظرات وخصرات على هامشه .
 (الثانوية) رسائله المختلفة مرتبة حسب الترتيب الأبجدي . وقد كان لنا منها
 اربعون رسالة تختلف كل منها عن الاخرى من حيث اهمية النظرة اليها .
 (المنسوبة) خصوصا التاج والمحاسن .

المقالة الرابعة في تقدير كتبه - ٩٥-٩٧

(سعة انتشارها) من أدلتها واهميتها .
 (غزوات اعدائها) مع امثلتها وقيمتها .
 (خطرات انصارها) مع امثلتها وقيمتها .
 (والنتيجة) "كُتب الجاحظ تُعلم العقل أولا والادب ثانيا" .

الفصل الثالث في اسلوب الجاحظ ١١٨-١١٩

=====

المقالة الاولى في اسلوبه التأليفي - ١١٨-١٤٢

(النظرى) اعرف كفايتك . وضح فكرتك . اختر ساعتك . ابدا بالكتابة

مبسلا ومحمدا . لكن حذار من الغرور . والفجر . والانانية . ونقدات فارث .
ومعدها اعرض منتوجك على من عركوا الحياة . وشاورهم في الامر .

(العملي) كان يختصر لئلا يُعِل . ولخص ليجمع المتباعد . ويكرر لكي
يُرسخ الفكرة . وشرح لكي يجلو الغامض . واستمرّد لينوع . ومنح ليرطب الجد .
ومد ليشوق . وسائل قارئه ليُبقيه منتبها . ومخاطبه ليتنبى منه على صلة . واحيرا
كان يُحجّم عن ابداء رايه الحاسخونا من نثر القارئ .

كل هذا بالاضافة الى مسائل ميكانيكية لم يستغن عنها مثل " البسطة
والحمدلة . والدعاء للقارئ . وذكر غرض الكتاب . وسرد قسم من مادته . والتنويه
بكتبه السابقة والاشقة في جزئيات الكتاب " . بالاضافة الى ثنائية لم يتخلص منها
برزت واضحة في كل ما كتب .

(أنوّه) من هم الذين تأثروا به . وابن + وكيف . ولماذا .

المقالة الثانية في اسلوبه الانشائي - ١٤٤-١٦٩

(اسلوبه الخاص) وضعني التوازن . ما هي مقوماته " الفاظ رشيقة . جمل
قصيرة . نفس طويل . جمل مترادفة . كلمات مكررة . اطناب . ايجاز . قم توازن
يختلف باختلاف المقام " . ما هي مواضعه " قلة المحسنات . مطابقة القول المقول .
الوحي والاشارة . بروز الشخصية " . ما هي مواضعه " الرسائل . المقدمات . المواقف
المأطنية . المواقف الوصفية " . رواد التوازن " من هم . وفي اي المراجع " . فضل
الجاحظ فيه " انه بلوره وسواء اسلوبا " . اتباع التوازن " من هم . وفي اي المراجع " .
واخيرا نقد التوازن " من حيث هو اسلوب قائم بذاته " .

(الجاحظ والأساليب الاخرى) الجاحظ و الكّجج " لماذا احبته العرب .
لماذا كرهته . ما هو موقفه الخاص منه " . الجاحظ والترسل " لماذا لم يحجم عنه . وابن
كان يترسل " . الجاحظ والرمزية " هل عرفها . وما هي رمزيته . وما قيمتها " .

(فلسفته في الاسلوب) الاسلوب هو الرجل . الاسلوب هو الموضوع . لا

بل هو مزيج من عنصرين قهين هما الذاتية والموضوعية .

المقالة الثالثة في اسلوبه العلمي - ١٧-١٨١

(كان يحقق) ما هي الأدلة . وما هي البراهين . النظرية العامة . والعملية الخاصة .
(لم يكن) كذلك . لماذا .
(كان يعرج) لماذا كان هذا صحيحا .

الفصل الرابع في مادة الجاحظ ١٨٢-٢٢٢ ظ

المقالة الاولى في فن الجاحظ - ١٨٢-٢٢٢

(النقد عنده) نقد اللفظة بحد ذاتها . نقد علاقتها بالمعنى . نقد علاقتها
بالبيئة . نقد علاقتها بأخواتها في الجملة . ثم ما هي المفاتيح او الخصرات النقدية التي
يمكن استنتاجها من اشاراته الكثيرة . وهل هناك غير " البوضي والايجاز وعدم التكلف" .
(الجاحظ واللغة) مظاهر اهتمامه باللغة . سعة اطلاعه عليها . مع بحث في
معرفة الجاحظ للفارسية او عديمها .

(الجاحظ وفن اللغة) هل عرّفه . ما قوله في أصل اللغة . ثم في بدئها .
ثم في جذورها . وتطوّر تلك الجذور . ولم الاصوات ماذا قال فيه . واللهجات ما رايه في
تلاقيها . ودراسة القوم بدراسة لغتهم الى اى حد . بروز فيه .

(الجاحظ والشعر) هل قال الشعر . وما القول في شعره . ثم ما رايه
هو في تعريف الشعر . وفي قديمته . وفي ترجمته . وفي سرقة . وفي التوليد فيه .
بالاهافة الى وحدة القصيدة . وضرورة انتظام عقد ابائنها .

(باقي الفنون) الخطابة . ما شروطه في الخطيب . وما نقداًته للخطبة .
ثم القصة . ما ميزات قصته . وهل نستطيع ان نسميه قصاصا . ثم حكاية هزله وادبه
المكتوف . ما القول فيهما . لماذا اغرم بهما . واولع بدروسهما . هل من سبب . وما
قيمة ذلك السبب في ميزان النقد الصحيح .

المقالة الثانية في علم الجاحظ - ٢٢٢-٢٢٧

(علم الحياة) ما رايه في النشو^{مستخدمة} والارتقا^{مستخدمة} . وما قوله في مجانسة البيئة^{مستخدمة} .

والتعاون بين الحيوانات . هل لاحظته . والتهجين في الوراثة . هل أدركه . والنوالد ^{من علم الحيوان}
المعذرى . هل تكلم عنه . وسنة تنازع البقاء ^{من علم التاريخ} . ما قوله فيها . وعلم الحياة الترتيبى ^{من علم النفس} . وما معنى
ترى هل عرّفه الجاحظ . وبعد هذا ما فضل الجاحظ في كل من هذه . وما معيار
يمكننا ان نزن بها .

(علم النفس) وحسب شئى الى الانسان ما منع . ونسبه الشئى متجذب اليه .
والمرء يجهل عيب نفسه . الى جانب كَيْل الانسان للتأله . وضعفه النفسى . وغيرها كثير
كلها قواعد نفسية عرفها الجاحظ . وتكلم عنها . لكن ترى ماذا قال ؟ .

(علم الاجتماع) الجاحظ والمرأة . الجاحظ والأمامه . الجاحظ ونظام الطبقات
ترى ماذا قال فيها . وبأية عين نظر الى كل منها .

(علم الاخلاق) ترى ايريدها دنيا تبدل . ام دنيا ترمت . ولماذا .

(علم التاريخ) الجاحظ لا يريد التاريخ وصفا لاعمال الرجال بقدر ما يريد تحليلا
لنفسياتهم وتبيينا لعلاقاتهم ببيئاتهم . يريد تاريخا اجتماعيا انسانيا . فلماذا .
(تقديره كعالم) ...

المقالة الثالثة في دين الجاحظ - ٩٩٨-٩٩٩

(موقفه من القرآن) كره . ماذا قال في خلفه . وكيف نظر الى تفسيره . وكيف
عالج مسألة اعجازه ...

(من الحديث) لماذا أسلم بالوضع وهدم التحقيق . بماذا دافى عنه انصاره . واخيرا
ما حقيقة الامر في موقفه من الحديث .

(من الفقه) ما رأى الجاحظ بالمرأة . وحجج بها . وزواجها . واختلاطها . ما قوله
في الغناء . ثم بمسألة المشروبات الروحية . ثم بمسألة اكل اللحم . واخيرا ما قوله
في الرقيق تلك المشكلة التي لعبت دورا هاما في العصر الوسطى . ثم ما رايه بالفلسفة الدينية .
" حرية الطبائع القضاء والقدر . نبات الجواهر . المعارف " . واخيرا عن اى الطرق وماى الوسائل
وكيف كان يحاول الجاحظ التوفيق بين الدنيا والدين . العقلب

المقالة الأولى = تحقيقات

ان عطيما مثل الجاحظ تعاورت اسمه كثير من الافلام وتداولت ذكره اكثر الالسن ، وتقلب هو نفسه في ظروف جداً متغايرة ، لا يُستغرب عليه ان تكرر التحريفات في اسمه او الاراء في نسبه ومثلها الاقوال في تاريخي ميلاده ووفاته . ولهذا خَصَصنا هذا المقال لاطهار كل من هاته على حقيقتها جهداً المستطاع .

اولا تحقيق في اسمه

تكاد تُجمع جميع المصادر التي رجعنا اليها في هذه الدراسة على انه (ابو عثمان عمرو ابن بحر بن محبوب = الجاحظ الحدي - الكناي الليثي الفقيي البصري). لكن سوء النسخ تارة وحسب السرعة اخرى عطلتا كثيرا في هذه التسمية نحرنتها بعض التحريد مما لا نستطيع معه الا ان نشير اليه .

١ - كنيته = روى ابن عساكر في تاريخه ان الجاحظ قال (نسيت كنيتي ثلاثة ايام . وعندما سألت عنها . قالوا لي انك تكن ابا عثمان^١) . وقال الجاحظ نفسه في مواطن متعددة من كتيبه عندما كان يحب ان يشير الى نفسه اما براءى خاص او بمناسبة خاصة (قال ابو عثمان^٢) . وعلى هذه التكبیه اكثر التابعين من امثال المسعودي في مروج^٣ وافتوت في معجمه^٤ وابن خلكان في وفياته^٥ وغيرهم كثير .

الا ان الوحيد الذي كان قد هُذ عن هذا الاجماع هو ابو النداء^٦ في تاريخه^٧ ومن ثم ابن الوردي في مختصره^٨ . ان كنياه باي عمران بدل ابي عثمان .

اما نحن فلا نرى في هذه التكبیه اكثر من تحريف نسخي مفضح للتكبیه الاولى . وذلك لاسباب . منها اجماع كل المصادر التي طالعتها على التكبیه الاولى وانفراد ابي النداء وحده بهذه الثانية . ومنها شدة التشبه الشكلي بين التكنيتين (ابو عثمان وابو عمران) مما يُعِيننا على الاخذ بمنظورية التحريف النسخي . ومنها ايضا تأخر ابي النداء في الترتيب الزمني وانفراده بهذا الخلق الجديد مما يضعف روايته .

٢ - اسمه = هذا من حيث كنيته . اما من حيث اسمه فقد قال هو بنفسه وأجمعت اغلبيه المصادر على ان اسمه كان "عمرو" . وقد قيل ان الجاحظ كان يحبه ويتشبع له وعتز به . حتى انه كتب رسالة كاملة "في من يسمى من الشعراء عمروا" ^{١٩٤} . لينبئ "وجهة الاسم وَرَغَبُ الناس بتسميته به فيصرونهم عن " الجاحظ " الذي قيل انه كان يكرهه ومفته . وأنف من سماع الناس ينادونه به ^{١٩٥} .

نقول على هذا اكثرية المصادر . الا اننا وجدنا اننا البحث ان ابا الفداء ^{١٩٦} يسميه "عمرو" بحذف الواو ومثله ابن الوردي ^{١٩٧} . كدنا نري بهاتين الروايتين عرض الحائط ونتهم صاحبيهما بسمو النسخ ثانية لولا اننا وجدنا ان فون قلوطن طابع " المحاسن والاضداد " يشير في هامش الصفحة الاولى منه الى ان مخطوطة " م.پ. " من مخطوطات الكتاب سُيِّمَت المؤلف "عمرو" ايضا بحذف الواو . تعدلنا عن السرعة وعدنا نحقق وتدقق ونقارن ونقابل بين كل ما وصل الينا عن اسمه .

لكن الوقت لم يطل حتى عدنا والايمان يمرر قلوبنا بالنتيجة الاخيرة وهي ان طَرَحَ الواو كان خطأ نسخيا لاسيما وان ابا الفداء ومثله ابن الوردي كانا متأخرين وان مخطوطة م.پ. هذه متأخرة في نسخها كما يدل تاريخها . هذا اذا ثبت وصح ان الكتاب نفسه للجاحظ . وعلى هذا فاسم الجاحظ هو "عمرو" ولا شيء سواه .

٣ - اسم ابيه = هذا عن كنيته ومن اسمه . اما اسم والده فقد عُرِدَ بانه "بحر" . وعلى هذا هو نفسه في المواطن التي تعرض فيها لذكر اسم والده في كتبه ^{١٩٨} . عليه ايضا اكر المصادر التي تجد سردها في مكان اخر .

الا ان هناك تغييرات حدثت بخصوصه لا بد من اقامتها لانارتها . فالبيدادي في نومه سماه " يحيى " ^{١٩٩} . والسيوطي في بغيته سماه " محبوب " ^{٢٠٠} . في حين اتفق كل من ابن حزم في ملله ^{٢٠١} وحاجي خليفة في كشف ظنوننا ^{٢٠٢} انه " الجاحظ " . وهكذا تتفرق المصادر وتتباير التسميات .

اما نحن فلا يسعنا امام الاجماع الاول الا ان ننكر " يحيى " الذي اتانا به البغدادي ونقل عنه انه ليس اكر من تحريف غير مقصود " لبحر " لا سيما وان وجه النسب

الشكلي بينهما قريب جدا . وننكر الى جانب ذلك ان " محبوب " ايضا ومثله " الجاحظ " علي انهما امكانيتان لاسم والد عاجبنا . ذلك لانه يكاد يكون واضحا لكل ذى عينين ان الاول اسم جده . أو على الأقل ليس اسم ابيه ، في حين ان الثاني هو لقبه الذى عُرف به وُكَلِّب عليه . إنما كانت السرعة وحسب الاختصار في سلسلة النسب هما السبب في مثل هذا التشويه . ومثل هذه السرعة وذلك الاختصار معروف ولا يزال متداولا حتى اليم ما لا يحتاج لطول شرح .

٤ - والان ننقل " لمحبوب " هذا الذى قيل عنه انه كان اسما لجده الجاحظ عسانا نبين ما فعلت به يد الايام .

يقول الجاحظ في اكر من مكان من كبه ، وتتفق اغلبية الذين كتبوا عنه فيما بعد ، على ان " محبوب " بهذا الشكل وهذا الرسم ، كان جده .

لكن هيهات لعقد ان يتم انتظامه . ففي حين تجمع هذه الاكثية الساحقة على هذه التسمية ، يقول يموت بن المززع - وموت اقرب المقربين الى الجاحظ واعلم الناس بذائله (ان جد الجاحظ كان اسمه نزاره وكان جمالا لمعرو ابن قلع الكاثي^١) . في حين يحذف هذا الاسم ولا يأتي له على اى ذكر كل من ابن حزم وابي الفداء والسيوطي وحاجي خليفة . وهكذا نقع في مشكلة تحقيق اسم جده بعد ان كدنا نمر عليها بسلم .

لدينا الان ثلاثة احتمالات = اولها ان اسم جد الجاحظ هو " محبوب " . وثانيها انه كان " نزاره " . وثالثها انه لم يكن له جد . إذ لم يذكر له اسم . لكن ما لا شك فيه انه كان له جد . وان لذلك الجد كان اسم . فما هو اسمه .

لحل المشكلة لدينا ثلاثة اقتراحات = أ) الاول فهو ان محبوبا ونزاره ، كانا اسمين صحيحين لجدي الجاحظ من ابيه وامه . على ان يكون الاول هو اسم جده لايه . اما لماذا ذكر جده لاه . فنقول ان يموتا هو ابن اخت الجاحظ . ولهذا لا يُستغرب منه ان لا ينمى ذلك الجد . هذا هو الاقتراح الاول اما الثاني فهو انهما اسم ولقب لاحد جديه . أما لايهما . فلا نعرف . لكننا نرجح ناحية الاب لاخذ اكر العرب بها . اما الثالث فهو انهما اسمان لجدين متواليين من اجداد الجاحظ من جهة ابيه ايضا . اما ترتيبهما التسلسلي

نفسه لا نعرفه ولا نستطيع ان نتأكد منه . إنما نرجح ان يكون " محبوب " جده الاول لتواتر الروايات . في حين يبقى ترتيب " نزاره " مجهولا .

واخيرا نخلص من كل هذه المحاولات في توضيح اسم جده ونحن على شبه يقين من ان اسمه كان " محبوب " لا غير .

٥ - لقاء = بعد كل "دوشة" الرأس هذه تنتقل لخطوة اخرى وهي التحقيق في القابه . للجاحظ لقبان هما " الجاحظ والحقي " . غلب عليه اولهما وُرد به وله نيه حكايات عليه اجمعت جميع المصادر التي رجعت اليها دون شذوذ .

سي صاحبنا بالجاحظ لبحوظ عينيه اى پروزهما اكر من المعتاد . وقد قيل ان حداثتهما كانتا كبيرتين ايضا ، ولذا لقب بالحدتي . قال الجاحظ (اتيت منزل صديق . فطرفت الباب ، فخرجت الي جاريه سندية . فقلت قولي لسيدك الجاحظ بالباب . فقالت افول الجاحد بالباب . على لغتها . فقلت لا قولي الحدتي بالباب . فقالت افول الحلتي بالباب . فقلت لا تقولي شيئا . ورجعت) . وهكذا حُرِّرت هذه الجارية لفني صاحبنا بعد ان سلما من تحريف الكتاب والنساج . وكان عز عليها ان يبقى له اسم واحد بدون تحريف .

الا انه قيل ان الجاحظ لم يكن على رضا من هذا اللقب . ان كثيرا ما انتفض عليه وتذمر منه وسماه " الاسم المظلم " . وراح يكتب رسالة كاملة " في من يسمى بالاسم المشعرا " عروا .^١ وكانه يريد ان يقول للناس ادعوني بهذا لا بذلك . وما درى ابو عثمان ان لفبه هذا الذى تهرم به سيكون في يوم من الايام لقب " سيد كتاب العربية بلا مدائح " رئيس اويائهما بلا منازع^٢ . وان ابن العميد مع قدره وجلاله سيفتخر ان يناديه المقربون منه " بالجاحظ الثاني " .^٣ وان ابا زيد البلخي سيكون اعز ما يحرم عليه لقب " جاحظ خراسان " .^٤ في حين ان ابا حسان التوهيدى سيتفق لو كان له من ابي عثمان ولو هذا الاسم الذى سرق وُرب في العالمين^٥ .

٦ - انسابه = واخيرا تنتقل لثالثة الاناثي (نعي انسابه) اذا كانت اسماءه والقباه الاولتين . أول نسب نسب اليه الجاحظ هو " الكتاني " . وقد اشار هو بنفسه الى ذلك في التريح والتدوير عندما قال مخاطبا ابن عبد الوهاب (نوالله لكن ريمتني بيجيله لارمينك

بمكانه^١ . وذكره بذلك ايضا ياقوت وغيره كثير . اما هل كان هذا النسب لكانه نسب دم ام نسب ولا - فهو ما سنحاول ان نوضح غامضه فيما بعد .

هذا اول نسب . اما الثاني فهو " الليني " . الذى انفرد بذكره المبرد ^٢ في الكامل^٣ دون ان ياتي له باى تحليل او شرح او تفسير . وقد بحثنا كثيرا لنجد له اعلا فلم نوثق الا لما قاله الاستاذ كرد علي في امائه من حيث انه كان نسبة لليت بن بكر بن عبد هامة بن كنانة بن خزيمه بن مدركة^٤ . اما من اين اتى بهذا الاستاذ كرد . او ما نصيبه من الصلة . فمسائل لا نستطيع الخوض فيها الآن نظرا لانعدام المصادر الاولى من بين ايدينا . لكننا اثبتناه تنقمة للبحث .

وقبل الاخير يأتي نسب^٥ نالت هو " النقيهي " الذى لحقه نتيجة لولائه في ال نفيم بطن من كنانة كما قال ياقوت في معجمه^٦ .

اما الاخير فهو " البصرى " . لقد لصق به هذا النسب لانه ولد في البصرة وامره من الوضع بحيث لا يحتاج لقصور شرح حتى . لكن الغريب بخوضه ان يورده ابن حزم بشكل " القصرى " وورده صاحب فهرس كوبرلي زاده بشكل " المصرى " . ووجه الخطأ في هذا يبين لا يحتاج للكلام . انما الذى يحتاج للكلام وتنبه مستر . هو الحذر كل الحذر من الإغلاط النسخية التي وقع تحت رحمتها كل ما يتعلق بالجاحظ تقريبا .

٧ - الخلاصة = بعد هذا وليس قبله ، نستقيم لنا كية الجاحظ واسماؤه والقباه وانسابه على الشكل التالي = (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب - الجاحظ الحذني - الكنانى اللبني النقيهي البصرى) . وبعد هذا وليس قبله ايضا ، يستطيع الجاحظ وانصار الجاحظ ان يحمدا الله على ان لم يوقع بين يدى الدكتور طه حسين نينكر وجوده كما انكر وجود امرئ القيس من قبله ، حينما ضاق ذرعه بتعدد اسمائه وكناه^٧ .

ثانياً تدقيق في نسبة

?

يخصّص نسب الجاحظ - / لعربيا ام غير ذلك - تنقسم جمهرة المهتمين بالامر الى ثلاثة مخيمات = افراد الاول يقولون (كان عربيا وعربيا قضا) . وافراد الثاني يقولون (بل كان كل شي* الا عربيا) . في حين يقف افراد الثالث على شبه حياد يقولون (لقد كان مولى ولا علم لنا باكثر من ذلك) . واليك تفصيل هذا الاجمال .

اما الجماعة الذين يقولون بانه كان مولى ولا علم لنا بحقيقة ذاك الولا* = اكان عن طريق الخدمة او عن طريق الدم ، فهم الاكثية الساحقة من المؤرخين والادباء الذين كتبوا عنه مثل ياقوت في معجمه والسمودي وروحه وابن خلكان في وفياته وغيرهم وغيرهم كثير . وحجتهم في موقفهم انه هكذا ورد عنه ولا علم لنا باكثر منه . حسبنا انك لحصنا هذه الحقيقة وكنا انا دونها كما حصلنا عليها . لم الخلف يستفيد منها .

اما الفريق الثاني الذي دافع عن عروته فابرز افراده من الحداثيين الاستاذ كرد علي الذي قال في امرائه (هو كثاني صليبي خالص النسب) ثم اضاف في مكان غيره (وان كثر اطاعه على اداب الاجانب لم تفسد عروته) . ثم الاستاذ حسن السندوي في ادبه اذ خصص فصلا كاملا للدفاع عن وجهة نظره هذه (٣) . اما النقاط التي يعتمد عليها هؤلاء في اتجاهمهم والبراهين التي يقدمونها لدعم مدعاهم فاشهرها واحمها ما يلي =

١ - انه دافع عن العرب - في وقت اشتداد الازمة بينهم وبين غيرهم . وكان باستطاعته (لو لم يكن عربيا) ان ينضم للفتة الاخرى الناقضة ، مُكْرَمًا مُبَجَّلًا من جهتها ، ويدعوا مسنودا من قبل الكثرين من رجال الادب والسياسة الذين كانوا يعطفون على تلك الفتة . لكنه لم يفعل - وليس هذا بحسب بل راج يؤولف الرسائل الطوال في الدفاع عن العرب والطنعن في اعدائهم مثل " فضل العرب على العجم " . ولم يتكف بهذا بل راج يتغنم، كن نوصة للرفع من شأن العرب والاحاط من اعدائهم وقد اتخذ هذا كدليته طيلة حياته . حتى انه اراد (لو طاعه القلم الجميع) أن يخصص جميع الجزء الثاني من البيان والتبيين الذي ألفه في أخريات أيامه لنصرة هذا البدء .

٢ - ان ولاه لبني كانه كان ولاه صليبا دميا - وليس ولاه خدمة واساره^{كرد}.

والادلة على هذا ليست معمورة . فالتساؤ من جهة لم يذكروا واحدا من عائلته وقع في رق او اسر او عبودية . واللغويون من نانية يقولون ان العرب كثيرا ما استعملت الولا . بمعنى الخلعة والصحية والمحببة وعلى هذا فلا يستبعد ان يكون ولاه^{كرد} للكثاني ولاه صبية ومحببة لا ولاه خدمة وعبودية^{كرد}.

٣ - كل هذا بالاضافة الى ان الجماز عندما غضب منه وحاول ان يهجم . لم يجد على لسانه اشقى لخليل قلبه من مهاجمته بما كان يدين به نفسه فقال =
قال عمرو متأخرا نحن قوم من العرب^{كرد}
وعمر هذا لو لم يكن من العرب لما جشتم نفسه مؤونة هذا الفخر .

٤ - قد تكون رواية الجماز ضعيفة فيتحمل لها المتحلون الاعذار ويخلفون المطلقين لأضعافها ه لكهم لن يستطيعوا ذلك اذا قرؤا في الحيوان الذي خسطه الجاحظ بقله فوله بمواجة ودون اية مواربة (... ولكي اخذت بجوجه اهل دعوتي ولبتي ولغتي وجيزرتي وجيزرتي - وهم العرب^{كرد}) . مما لا يستطيع الطعن في عروسته بعد قرائته الا كل مكابر من ضياع الوقت إعالة الحاج معه .

هذا ملخص رأى الترفيعين الاولين ومُجمل^{كرد} لأهم حججهما . اما الفريق الاخير فيرى أن الحقيقة نالت كلا القومين وأن الجاحظ في الحق كان كل شي . الا عربيا . وحججه في هذا اولا سلبية للرد على افوال السابئين وثانيا ايجابية لزيادة توضيح ودعم ما يقولون به . واليك أهمها =

(١) - إن دافع الجاحظ عن العرب لا يُعد حجة لعموميته . ذلك لانه في الوقت

الذي دافع فيه عن العرب وطعن في اعدائهم كما ذكروا ه كان قد دافع عن الموالي وطعن في العرب ايضا كما يظهر من رسالتيه (فضل الموالي على العرب وفضل الفرس على العرب) . هذا من جهة ، اما من اخرى فان الجاحظ رجل عرف بمهارته في سوق الاضداد واغتنام حوادث البيئة ومجريات الافكار ه وقد كتب في مدح النبذ كما كتب في ذمه وكتب في الهزل كما كتب في الجذ ه وكتب في غيرها كثير . ومن الغريب ان كلا الترفيعين يتخذ افواله حجة على الفريق الآخر . وعلى هذا فلا يستبعد ان تكون كتاباته في هذا الموضوع من هذا النوع " الضدهي " . ولهذا لا ننسق بها

كما انه يجب ان لا يُعتمد عليها - وما لنا نبعد كثيرا وهو نفسه يذلل في مقدمة الحيوان ما معناه " لا تحكموا علي بما اكتب والا كنت نصرانيا عندما قلت في حجج النصارى . وكنت شيعيا عندما فصلت مذاهب الشيعة . وكنت مغنيا عندما أفضت في المغنين وَفَضَلْتُ صُنْعَتَهُمْ ، في حين اني ابعد الناس عنهم اجمعين^{٧٨} " .

وعلى هذا فدفاع الجاحظ عن العرب لا يجوز اتخاذ حجة لمروته .

٢ - أما مسألة ولائه لكثانة . أدعيا كان ذلك أم للخدمة . فامر لم يستطيعوا

إثباته عليها . ولذا راحوا تارة يشتبهون بانوال سلبية من النساب واخرى يستجدون بتفسيات متوجة من اللغويين . مما لا يُثبت حقا ولا يُقيم حجة في باب البحث العلمي الصحيح . - والا فلنفرض ان النساب لم يذكروا واحدا من اهله قد أُسر . لكن هل يضمن لنا القم = أولا ان هؤلاء النساب قد قالوا كل ما يتعلق بالجاحظ . وثانيا انهم هم أنفسهم قد اطلعوا على كل ما قال اولئك النساب أنا كليل بأن شيئا من ذلك لا يُمكن الاجابة عليه ايجابيا . هذا من جهة ، أما من أخرى فان اللغة خصوصا المطاطة منها لا وزن لها في ميادين مثل هذه ما لم تدعمها أدلة قوية أخرى يُعتمدُ بها مثل المنطق على الأقل .

لهذا نقول إن مسألة الولاء التي حاولوا ان يستعينوا بها خانتهم اذ نهبت الفريق

المنافى اليها فاستفاد منها اكثر منهم . فجميع المصادر التي استعنت بها على ان الجاحظ كان مولى ، وان والده كان مولى ، وان جده كان مولى . واذا اضفنا الى هذا ، ان مصدر هذه الروايات جميعا هو ابن اخت الجاحظ وتلميذه المقرب اليه ولعرب الناس به (نعني يموت بن المزع) . سهّل علينا ان نتصور الى اي حد كان نسب صاحبنا في الخدمة عريقاً ، والى اية درجة كان تسلسله في الولاء قديماً . وسهّل علينا ايضا ان نتصور انه ما من عربي قُح يستطيع ان يبق في ذل الولاء ثلاثة اجيال متوالية ليخرج بعدها ويقول بكل فصح " انا عربي طليبة " .

لقد حاول العروبيون كما مر معنا ان يفسروا الولاء بالحب والصدانة ... السخ لكهم نسوا او تناسوا ، ان ما كان صحيحا وفيما من جهة اللغة ليس من الضروري ان يكون كذلك من ناحية الواقع . ولو كان كذلك لكان مهزلة يحرض الجاحظ على البعد منها كل الحرس . ان من غير الواقع ، بل من غير التعارف عليه ان يُحِب الكائي جد الجاحظ ويُخْلِص له الخلّة وتتوثق بينهما

عري المودة والاخاء ، لا ليرفع من مقامه وعلوي درجته عنده - إنما ليرعيه جماله . ويزيد نيتمسك بولده وولد ولده ثلاثة اجيال متتابعة . . نفول إن مثل هذا غير متعارف عليه والا لحين الله ذلك الحب . وثبا لتلك الصداقة التي تؤدى بصاحبها الى مثل هذا .

٣ - إن الجاحظ كان أسود اللون . وكذلك كان جده كما تقول الروايات

كلها . وما لا شك فيه ان والده كان كذلك . اذن ثلاثة اجيال متوالية من العائلة الجاحظية كانت قد اصطبغت باللون الاسود . وعلى هذا فالسواد أصيل في نسب الجاحظ ولا يمكن ان نعهده دخيلاً ابداً حسب أبسط قوانين الوراثة المندلية . - لكن العرب قوم ليسوا سودا . اذن فالجاحظ ليس عربياً حسب أبسط قوانين المنطق الارسطوطاليسي . اما الى اية درجة هو ليس عربياً فمسألة فيها خلاف كبير . فقد يكون منموز النسب من جهة أمه . وقد يكون من جهة ابيه . وقد يكون من كليهما . كما قد يكون من جد واحد . او من عدة اجداد . مما يصعب التحقيق فيه . ولذا نتركه لنقول إن الجاحظ لم يكن عربياً صليبة .

لقد حاول العروبيون ان يحتجوا لسواده بقولهم إن السواد لون شائع في العرب وانهم مدحونه وفخروا به ، وان اغرستم كلهم سود وهم عدد كثر . . . - لكن هؤلاء لثاني مرة نسوا او تناسوا ان اكثر هؤلاء الاغربة منموزوا النسب من جهة الامهات كما افروا هم بانفسهم . ونسوا ايضا ان هؤلاء الاغربة قد يكونون عربا وفخرون بعروبتهم - لكن لا على انهم عرب انحلا ، وانما على انهم عرب تنح . وقد كان من هؤلاء جم غفير - ونسوا ايضا او تناسوا ان بحثنا هنا بحثاً علمياً بيولوجياً بحث . وليس بحثاً ولا تبعية . اذ ان ميدان الاول ضيق جداً ولا يفيل الا القليل النادر من اناس مروا بامتحان دقيق ، في حين ان الثاني (التبعية) اوسع ، وصدره ارحب ، وبالرغم من اننا لا نعتبه ، ~~في الجاحظ~~ ^{لحين} وأنه قد حان لنا ان نستعمل العلم الصحيح في تحقيقنا ونزوي جانباً اساليب العهد القديم من رواية وسماع تعتمد على الاهواء اكثر من اعتمادها على اساليب العلم الصحيح .

٤ - إن الجاحظ سكت عن نسبه . في وقت كان اللزج كل مخلوق فيه يفتر عن

نسب ياولى اليه . والجاحظ حكى بنفسه أنه صَنَعَ أنساباً كثيرة لأناس كثيرين سألوه ذلك منها ما جاء في البيان والتبيين حيث قال (كان يحضر لي رجل نصيح من المعجم . فقلت له هذه النصيحة وهذا البيان - لو ادعيت لقبيلة من العرب ، لكنت لا تتأخر فيها . فاجابني الى ذلك . فعملت

احفظه نسبا حتى حفظه وهذه هذًا . فقلت له = الان لا ته علينا . فقال سبحانه الله ان فعلت ذلك اني اذن ^{سأعذبك} . فاذا كان هذا صحيحا وهو الصحيح = لانه رواه بذاته ، ^{للبلبل} فلماذا يصنع للغير ويترك نسبه تتناونه الالسن . ترى ايقال = لانه كان ^{علم} في راسه نار^١ . وهو في الحقيقة لم يكن . ام لانه كان اضعف من ان يصير به . وهو الظاهر .

في الحيوان قال الجاحظ = (ان العرب تفضل البرابرة والزنج السود لرعاية ابلهم^٢) . وسكت عن كل لا او نعم بخصوص جده . وهو يعلم كل العلم بل كان ادرى الناس ، بان هذه الجملة ستثير حول نسبه شبهات كثيرة . لا سيما وان جده كان اسود اللون وكان جمالا لعمرو بن قلع الكثاني . لكنه مع ذلك سكت . في حين انه عندما ذكر هجاء لشخص اسمه الفقيمي في البيان لم يتمالك الا ان يقول (ولا عبرة بهذا الهجاء لان بني فقيم كانوا قد قتلوا اياه غالبا^٣) .

بالطبع نحن لا نفوز ان من هذه الاشارات تنسبت عدم عروقه بمفردها . انما نقول اولاً انها اشارات قوية . وثانياً انها بالتعاون مع اخواتها ^{تؤكد} برهاناً قوياً على ان الرجل كان ممغوز العروبة من ناحية التسمية وكان جداً ضميماً من ناحية الدم .

• - هذا ونحصر ان لا يغوتنا قبل الفراغ من هذا القسم ان نفهم اولئك الفهم^٤ ان ما ذكروه من قول الجمار على لسان الجاحظ ، وما اردوه من كاتم الجاحظ نفسه في الحيوان ، وما أستطيع ان اورد لهم الكثير من امثاله مما غفلوا عنه وقد حَسَّنَه الجاحظ - نقول نحب ان نفهمهم ان هذا لا يُعتمد به البتة . لانه مادام من كلام الجاحظ . في هذا الموضوع ، فهو اما ان يحمل على محمل الجد ، اى ان الجاحظ قاله وانه كان جاداً فيما قال . سواء صححت روايته او اخطأت واما على محمل الهزل ، ان صححت أو اخطأت كذلك . اما الاول فمن نوع دفاعه عن العرب الذي اردوه سابقاً ^{مبيناً} بطلانه . واما الثاني فلا قيمة له بالمرّة ، لاننا "بالكاد" نقبل الجد فما الغل في الهزل خصوصاً في مسألة خطيرة مثل هذه . اى اثبات نسب الجاحظ .

من هذا ترى ان الجاحظ لم يكن عربياً ، كما انه لم يكن فارسياً لان الفرس كالعرب ليسوا من الجنس الاسود انما كل ما نعره عنه انه كان اولاً اسود وثانياً مولى . لكن من اى سود الموالي كان . او بالاحرى اين وطنه الاصلى الذى جاء منه . فامر سنحاول ان نبين غامضه فيما يلي =

نحن نعتقد ان الجاحظ لم يكن عربيا للأسباب التي مر ذكرها . كما اننا نعتقد
ايضا انه لم يكن فارسيا لذات الأسباب تقريبا . بالإضافة الى اعتقادنا انه لم يكن حبشيا
لانه ذم الاحباش مَلِكًا وجنسا في البيان والتبيين حيث قال (فان حكيم بن عمار الكلي

الم يك ملك ارض الله طرا لاربعة له متميزنا

لحمير والنجاشي وابن كسرى وفيصر غير قول المعتزنا

فما ادري باى سبب وضع الحبشة بهذا الموضع . اما ذكره لحمير فان كان انما ذهب الى تَبَّع نفسه
في الملوك فهذا له وجه . - وأما النجاشي فليس هو عند الملوك في هذا المكان . ولو كان
النجاشي في نفسه نوب تبع وكسرى وفيصر لما كان اهل مملكته من الحبش في هذا الموضع . وهو
لم يفضل النجاشي لكان اسلامه يدل على ذلك تفضيله لكسرى وفيصر . وكان وضع كلامه على
ذكر الممالك ثم ترك الممالك واخذ في ذكر الملوك . كما نعتقد ايضا انه لم يكن زنجيا لانه سخر
بالزنج في الحيوان اذ ضمهم الى الكلاب في قوله (اطيب الانواء نكهة واشدها عذوة واكرها ريقا
انواء الزنج . والكلاب من بين السباع اطيب انواها منها)^{١٧٤} . فانظر كيف قرن الزنج بالكلاب .
وفي مكان اخر ذم بلانغتهم وفي ثالثهاهم تركيب اجسامهم^{١٧٥} . ومن كل هذا نستنتج انه لم يكن
عربيا ولا فارسيا ولا حبشيا ولا زنجيا . اذن من اى سود الموالي هو .

لدينا اقتراح نجب ان نلقي به في معترك الاخذ والرد لتسهر فؤده على البقاء
وقدرته على الحياة . وهو ان الجاحظ بربري من برابرة افريقيا الذين نزحوا الى الجزيرة واقاموا
مدة في اليمن او في الجنوب على العمم . ثم نزحوا الى الشمال بعد ان عبرت الانفاليم . ودليلنا على
انه بربري من افريقيا أولا سواده . وثانيا باقي وصفه الشخصي الذي وصلنا من حيث احمرار عينيه
وغلظ شفتيه وتجمد وجهه وقصر عنقه وغيرها وغيرها . وثالثا أن افريقيا هي اقرب الامكانيات
وذلك لقربها من الجزيرة جغرافيا ولتناكدنا من انه كان بينهما تجارة من قديم الزمان . ولهذا
فلا يُستغرب ان يكون أحد اجداده قد جا . واقام في اليمن مدة . اما لماذا اليمن . فلانه مع
حرمته للرسول ومع استغراقه مرته في مدحه ومع وضعه ايساء فوق الجميع ، لم يستطع عندما احتدمت
العصبية في راسه الا ان يكتب رسالة كاملة يفض فيها القحطانية على الكنانة وسائر العدنانية .
وهذا لا يكون من ابي عثمان الا بواز فوى .

على كل - هذا ما توصلنا اليه بخصوص نسب الرجل . فتأكدنا ألا مرانه كان
اسود وثانيا من انه كان مولى . وثالثا من انه لم يكن عربيا . واخيرا ملنا الى القول بانه كان
من سود اثريقيا النازحين . والله اعلم بالصواب .

ثالثا نظره في تاريخيه

روى ياقوت وثالث جميع المصادر التي اطلعنا عليها ان وفاة الجاحظ كانت في
يوم لم يُعرف تاريخه . من شهر المحرم ، سنة ٢٥٥ في البصرة لا في غيرها كما قال البعض ^{بأنه}
كان هذا الاجتماع جميلا من ناحية لانه يدل على أهمية الرجل عند موته وتقدير الفم له بحفض
تاريخه بدون تغيير او تبديل . ومفيد من أخرى لاننا بحك باثي الروايات عليه ، سنستطيع في
الفقرات التالية من تعيين تاريخ ميلاده الذي تضاربت فيه الروايات وكثر فيه الحذف والتخمين ،
حتى اضحى ضربا من الحس والتخمين .

روى ياقوت في معجمه ان الجاحظ قال (انا أسن من ابي نواس بسنة .
ولدت في أول سنة ١٥٠ وولد لي اخوها ^{بأنه} . وعندما قرأ الاستاذ السندي هذه الرواية
بهذه الصراحة والوضوح ، وَضَحَ الفلم وقال (اذن هذا هو الصحيح وليس بعده نمر) .

لقد خُذع الاستاذ السندي بظاهر القول . ولو كَفَّ نفسه قليلا من مشقة
البحث لما اطمأن إلى مثل هذا التاريخ المغلوط ولما قِيلَ بهذه السرعة - قال الجاحظ (على
فرض صحة الرواية) إنه اشترك مع ابي نواس في تاريخ الولادة . وقال ايضا إن ذلك التاريخ المشترك
كان سنة ١٥٠ . والآن نضع الشق الثاني (اى سنة ١٥٠) . على البر ، لناخذ في تحقيق
الاول (اى اشتراك مع ابي نواس في تاريخ الولادة) لنرى الى اي حد هو صحيح .

قال الانباري^٤ ولد ابو نواس سنة ١٣٦ . وثالث طاب^٥ ديوانه ^{على} بل ولد
سنة ١٤١ . وثالث ابن خلكان^٦ لا بل سنة ١٤٥ . وحاول الاستاذ السندي^٧ ان يتقاضى
عن كل هذه التروقات الواسعة فقرر انه ولد سنة ١٥٠^٨ . لكن المبرور منه ان الجاحظ ولد . وانه

انه ولد مرة واحدة . وطبعا في سنة معينة . ناية سنة هي لاسيما والروايات متضاربة ! -
اما نحن فـ لا يسعنا إلا هذا التضارب إلا أن نضرب بجمهورتها عرض الحائط بعد أن نُظهر
خطئها ، ثم نسعى من جديد في تعيين تاريخ ميلاد الرجل .

لو سَلَّمنا بصحة الروايات الواردة اعلاه جميعا ، لكان عُمر الجاحظ كما يظهر
من رواية الانباري ١١٩ سنة . وكما تقتضي رواية عابح الديوان نحو ١١٤ سنة . وكما يستنتج
من رواية ابن خلكان ١١٠ . وكما يجب أن يكون حسب نول السندوي ١٠٥ . أي ان الجاحظ
حسب اقلها قد جاوز القرن . وهذا من الضعف بحيث لا يصح الأخذ به ولا الاعتئان اليه .
اولا لان هذا العمر شاذ ومع ذلك لم يُسَرَّ اليه احد . مما يُثير الشبهات حول صحته . وثانيا
لان هناك رواية اخرى تنافس الرواية التي كانت سبب هذا التشويش . اوردها ياقوت نفسه وايداه
فيها ابن خلكان ١٢٠ . وهي التي تفور ان مولد ابي نواس كان غير معين لكن بتحديدات عامة وقع بين ١٣٠-١٤٠
على هذا أولا لا يمكن ان يكون قد اشترك ابو نواس والجاحظ في ميلاد واحد ، وان كان قد اشتركا فان
ذلك التاريخ قد يكون كـ شيء الا سنة ١٥٠ . اذن متى ولد الجاحظ .

اذا نظرنا في الروايات الواردة اليها بخصوص مرضه ومن ثم وفاته ، وجدنا ثلاثا
متسلسلة . اولها تقول انه قال عندما زاره الخولي المتصبب " ان اكر ما يشكوه التلخين " ٣ .
وثانيها انه قال عندما زاره رسول المتوكل " ان اكر ما يشكوه التسمين " ٤ . وثالثها " انه توفي
عن ست وتسعين سنة " ٥ . - الا اننا لسوء الحظ لا نعرف متى زاره الخولي تلك الزيارة .
ولهذا خسرنا مفعول الرواية الاولى . اما الثانية فقد عرفنا ان رسول المتوكل زاره فبيل وفاة الاخير
يدعوه اليه في الوقت الذي اشتد فيه المرض عليه [اي على الجاحظ] . واطر تاريخ يمكن تعيينه
لهذه الزيارة هو سنة ٢٤٧ اي السنة التي مات فيها المتوكل . وعلى هذا يكون ميلاده نتيجة
مسالة حسابية بسيطة . (٢٤٧-١٥٧=١٠٠) . لكن الرواية الاخرى مع مساعدة حواشي الثانية اي انه
ينف على التسعين تغرب التاريخ من الصحيح . اي من سنة ١٥٩ .

والخلاصة هي ان الجاحظ ولد في سنة ١٥٩ . ومات في سنة ٢٥٥
وانه على هذا قد سلح في الحياة الدنيا ستا وتسعين سنة كاملة .

المقالة الثانية حياته الدائمة

انه لمن الغريب حقا ان يصل الجاحظ الى كل ما وعد اليه من المراكز الممتازة في عوالم الادب والعلم والدين ، ثم يتوقف بوارثي التراب ولا يفهم واحد من انصاره او اعدائه وهم كثر ، او على الاقل واحد من طلابه وهم ائمة القلم حيث حلوا - ليكتب لنا شيئا ينير امامنا جوانب هذه الحياة العامرة لهذا الرجل العظيم . نقول بكل اسدلم يفهم احد حتى جاء المسمودي فَنَظَّطَ في موجه بضعة اسطر لا تُسَمِّن ولا تُغْنِي من جوع . وبقي الامر طلسمًا يعتد على الحسد والتخمين اكثر من اعتماده على العلم واليقين ، حتى بدأ ياقوت معجته في سير الادباء فخصص عددا لابأس به من الصفحات لحياة الجاحظ تُعد بالنسبة لغيرها احس واصدق المراجع . وتعد ياقوت جاء كثير من مقرظ ومقرض كل منهم كتب عن الرجل اسطراً حسبيله وهواه . فان كان من مشايحه رنعه للما كما نرى في تقريب ابي حيان^١ ، ومقاييس التوحيد^٢ . وان كان من متاوثيه انزله الحضيض وحرره من ك مكرمة كما راينا في نوى البغدادي^٣ وزوايع بن شهيد^٤ . وهذه المصادر - التي يَشِقُّ النفس نُسخها مصادر - قليلة في عددها هزيلة غامضة في مادتها . نرواياتها في كثير من الاحيان ضعيفة ان لم تكن غير معقولة . وفي كثير غيرها تكاد تكون شبه متناقضة . واستخلاص اقل شيء ثابت منها يحتاج "لجهود العقاريت".

اولا - في بدء حياته

بِكَيْسٍ جَاهِدٍ جَاهِدٍ فِي التَّحْقِيقِ وَالْجَهْدِ؟

نقول بكل جهد جهيد وتحقيق شديد وتدقيق عنيد استطعنا ان نستخرج من هذه المصادر القليلة في كها الهزيلة في نونها ، انه ولد في البصرة سنة ١٥٩ كما مر تحقيقه . وانه كان دميم الخلقة كما سترى في وصفه . وان ابيه كانا فقيرين في حَسَبِهِمَا ونَسَبِهِمَا كما يَسْتَنْتَج من رواية ابن الزعر^٥ . وان والده مات في صغره فحرره عطفه وحناؤه كما قال كرد علي^٦ . ولهذا رثه امه ووقع في كف بخيل تكفل برعايته كما حكى هو بنفسه في البخل^٧ . واخيرا اضطر لكسب قوته مبكرا ببيع الخبز والسمك بسبحان كما روى المرزباني^٨ . الا ان الله هداه فاتجه للعمل بكيته خلاصا من هذا المحيط الجائر كما تتفق كل الروايات .

هذا كل ما ابقت لنا لحيه يد الايام . اما من ابيه . او من كانت امه . او في اله

سنة ولد . او على الاقل كيف قضى ايامه الاولى في البصرة . او شيئا عن ميله في صغيره . والى اى حد اتفقت او اختلفت عما عُرد عنه في كبره . الخ . . . فامور على الرغم من اهميتها صنت عنها جميع المصادر صفات رهيبة يكاد يذكرنا بسكون الاموات . وصنّت المصادر هذا لم يفد عند حد طفولته بل زاداها فنشر ظله البهيم وجهامة الحيف على معظم حياة الرجل حتى جاوز به الاربعين . ولم يقل من تلك المقاراة المقفرة سوى ثلاث قصص هزيلة غامضة نلخصها فيما يلي لعلها تلقي بعض ضوء نحن في ميسر الحاجة اليه .

اما الاولى فنصّة الكلب^(١) وملخصها ان العوام تقول ان من عض الكلب الكلب اُثر عليه فيأخذ بالنباح . قال الجاحظ وقد رايت كلبا عض ولدا من الكُتاب الذى كتبت فيه فلم اشاهد الأعراس التي قالوا بها . وطى حد تعبيره " رأيت بعد ذلك بشهر وقد عاد الى الكُتاب وليس في وجهه من الشتر الا موضع الخيط الذى خيط به . فلم ينبج الى ان برئ ولا دعا بما حتى اذا راه صاح رده . ولا بال جروا ولا علفا ولا اصابه ما تقول العوام قليل ولا كثير^(٢) .

اما الثانية فنصّة الكرايس^(٣) وملخصها انه جاء^(لامه) ذات يوم سالها طعاما فقدمت له طبقا عليه كرايس وقالت له كل . فقال ما هذا . فالت هذا الذى تضيق به وقتك . فعاد للكُتاب تانية ناعطاء بعضهم شيئا . وعندما عاد لامه قدمه اليها وقال كلي من هذا الذى اضيق به وقتي^(٤) .

اما الثالثة فنصّة الخنافس^(٥) وملخصها انه رأى الخنافس يصير في الليل يعتدى على بعض الحيوانات ومعامل اولاده معاملة خاصة انكرها العوام نجاة الجاحظ يكذبه^(٦) .

ومن هذه الثلاثة نستنتج انه كان دقيق الملاحظة في الاولى ولنه استقبل حياة معينة في الثانية وانه كان مولعا في تحقيق اقوال العامة في الثالثة . وهي في مجموعها كما ترى ضئيلة قليلة عديمة الجدوى . اوردناها لانها ابرز الغليل الباني من حياته الاولى .

ثانياً - في ثقافتنا

الا ان لسان هذه المصادر يتحرك ويأبى ان ينطلق وسكونها ينقطع عندما نسألها لتخبرنا عن حياتها العلمية فتزجج تحدثنا بكل ما دى وأفاد . لكنه يستحسن ان ننبه قبل الخوض في الموضوع الى ان اكر هذه الاحاديث روايات مفككة غير متصلة . اكرها غامض ومتناقض وافيها يدمر على محر واحد ووتر لا يتغير هو وتر "حبه للعلم" . اما بعض الشيء عن حياته المدرسية او عن احتكاكه باساتذته او عن اتجاهاته المبكرة فلم تتعرض له البتة ولذا كان علينا ان نستنتج من بين السطر او من وراء الكلمات . وانها لعمري مهمة نجشمنها على صموتها وقلة الاطمئنان الى نتائجها حبا واهلا في ايجاد شبه صورة واضحة للرجل .

ولذا سنتكلم عن المدارس التي التحق بها ثم عن الاساتذة الذين اخذ عنهم واخيرا نلقي نظرة عامة في نيج هذه الثقافة التي نغفها صاحبنا .

١ - مدارسه = لقد درس الجاحظ نال علومه واخذ ثقافته من مدارس كثيرة ليست واحدة منها تشبه مدارس اليوم . ولكي تتكون عندنا صورة متكاملة عن تلك المدارس نسردها فيما يلي - متكلمين عن حياته في كل منها ومن اثرها فيه ومن المادة التي نلناها فيها .

الكتاب كمادة القيم في تلك الايام ابتد الجاحظ حياته العلمية بالتردد على شيخ الكتاب . وفي هذه المدرسة تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جانبها من القرآن والشعر واطلع على بعض الشيء على الحساب وجود الخط . وقصة الكلب التي مر ذكرها تكاد تكون الوحيدة التي بقيت لنا من ذلك العهد . وهي تزيننا بوضوح مقدار ثقتهم في الجاحظ وتطلعه الى كشف غلاب الحقيقة عارية كما هي . ونحن لا نشك في ان هذه الميزة (اي حب الوقوف على الحقيقة) قد رافقت طيلة حياته تنهوا مع السنين وتشتد بالتجارب حتى كان ما كان منه في كتاب الحيوان من تحقيق وتدقيق لم يعمرنا قبله . وملاحظة اخرى نجبا نقولها عن هذه الفترة وهي ان حياة الكتاب كانت مرهقة وان معاملة شيخه كانت خشنة زرع كره الكتابيب وعلمها في قلبه . ولم نضعف تلك الفترة في صدره بل على العكس ازدادت قوة ونشاطا مع السنين . ولذا كان بهاجمها في كل مناسبة . ومن جملة تلك المهاجمات اولا ما جاء في البيان والتبيين حيث قال لا تستشتر معلم اولاد ولا راعي غنم ولا كبير القعود مع النساء ١ . وثانيا رساله كامله ألفها في السفر به بالمعلمين سماها نواذر

المعلمين موجودة الان في المتحف البريساني ومطبوع قسم منها في هامش الكامل الاول .

المسجد اما المدرسة الثانية او الابتدائية (اذا كان الكتاب هو بستان الاطفال) فهي

المسجد . والمسجد في تلك الايام كان المتدنى الواسع او الجامعة الرحبة التي يتقاطر اليها ائمة العلم كل ياخذ قُرْنة او سارية من قُرْنة وسواره . يلتف حوله الراغبون في علمه ثم ياخذ يلقي عليهم ما تَجَمَّع في صدره من دقائق ذلك العلم . وكان لا يَكُنَّ كان الحق في حصر اية حلقة والاستماع الى اى شئ . حتى اذا ما تكونت عند احدهم فكرة واضحة عن علم ما ومال اليه بقلبه لانه شئيه حتى ينال منه ما يريد . وندها يقال " تخرج فلاس على فلان او اجاز فلان فلانا " . ^١ نقول جا الجاحظ الى المسجد بعد ان استعد في الكتاب . وجلس الى اكر حلقاته واستمع الى اكر مشايخه ولهذا كان له في علم الادب باع وفي علم الدين ذراع وفي علم الكون صاع اكمال به اكر من غيره . وعند الكلام على نوع ثقافته والكلام على اساتذته سنعرِّف الشئ الكثير عن هذه الازرع والابواع والصلوات . ^٢ لقد اغرم الجاحظ في المسجد كثيرا وهام بمجالسه حتى انه نسي اكله وشربه ونسي كل شئ ^٣ عداه . بالرغم من فقره وبالرغم من انه ^٤ يُطالبا بمساعدة اُمة على مهام الحياة . ونصة الكرايسر التي اوردھا السندوي في مقدمة البيان والتبيين شاهد صادق على ما نقول .

اما اثر المسجد فيه فقد كان عظيما لانه في الحق كان المدرسة الاولى التي كَوَّنَ فيها عقله "وتَوَقَّى" فيها ميوله وحدد فيها اهدانه وراى فيها نهر الحق من بعيد . وقد تكلم عن ذلك في البيان والتبيين فقال (ادركتُ المسجدين والمريدين واخذت عن اكرهم ^١) الا انه لم يكن اعى بل كان واسع العينين يربط المليح والقبيح وكان فيما بعد حر القلم يدون كل شئ . فكانا انه مدح جماعة المسجدين في البيان لم يفته ان يسخر من بعضهم في البخلا^٢ نغعد فصلا كاملا بعنوان قصص المسجدين ^٣ . ساهم فيه اصحاب الجمع والتمع^٤ وحكى عن بخلهم ونظرياتهم في الدناع عنه ما يثير الضحك " في نشر من نقد اباء " .

المرشد المرشد مكان بظاهر البصرة كانت تند اليه جمهرة العلماء وكثير من الاعراب الذين لم تفسدھم الحضارة . فيتبادلون الاشعار ويتدارسون اللغة ويتسامعون للهجات وتدر بينهم المناقشات في موضوعات اكر من ان تُحصر خصوصاً في الادب وفي الدين ^١ . واذا كان الكتاب هو بستان الاطفال والمسجد هو المدرسة الابتدائية ، فاننا نعتبر المرشد مدرسة الجاحظ الثانية التي التحق بها لينال فيها العلم من مصادره اى من الاعراب الحلص . ^٢ نقول اكر الجاحظ من

من التردد على المرید مدة من الزمن استفاد فيها الكثير مما كان الحصول عليه صعبا في المرید المسجد . خصوصا رواية الاشعار الجاليلية ونوادر الاعراب الطريفة وحكايات اخرى لا تدخل تحت حصر مما استعان به فيما بعد - في استطراده الكثيرة في البيان والحيوان التي قال ان غرضه من ايرادها ترويح نفس القارئ وازالة السأم والملل اللذين قد يعتريانها من طول الاستصاق بالجد . اما اثر المرید في كتاباته فأكبر من ان يؤتى على جزماته . الا اننا نعتقد ان فيما ذكرنا الكتابة . لكي يسمح لنا الوقت بالانتقال الى مدرسة اخرى من مدارسه .

دكاكين الهرايين هذه هي المدرسة الرابعة او بالاحرى هي الجامعة التي اطمأن اليها الجاحظ . وليت جامعات ايم مثلها او على الاقل تسمح على متواليها في حرية الدرس وفق البحث وتوفر المصادر وخلق الرغبة الحققة في نفوس التلاميذ . على كل ما لنا وهذا . أحب الجاحظ هذه الدكاكين واولع بدروسها حتى رويت عن غوامه بها الروايات . قال ابو هفان كان الجاحظ مولعا بدكاكين الهرايين ينم فيها طول الليل . هكذا كان " يكرى دكاكين الهرايين وهو الفلاس ينم فيها يطالع . وينقب وهو بحاجة للراحة من تعب النهار " . بهذه الدكاكين اطلع الجاحظ على ما لم يكن في الكتاب لانه صعب وما لم يتوفر في المسجد لانه كثر وما لم يسمح به في المرید لانه ليس من بضاعة الاعراب . هذا الشيء هو " فلسفة اليونان " . فلسفة اليونان العميقة في الالهيات وطرقهم القوية في الكلام ونظرياتهم " المحيطة " فيما وراء الطبيعة . في الكتاب كان مثل هذا صعبا لا طاقة للصغار به . وفي المسجد كان حراما الخير كل الخير في تحاشيه . وفي المرید ليس للاعراب به دخل . الا ان الوحيد الذي كان يلجئ به ونحث الناس عليه في المسجد هو النظم . وقد جلس الجاحظ اليه وسمع منه واحبه وتلمذ عليه خصيصا . ولهذا نقول ان النظام زرع بذرة حب الفلسفة والكلام في الجاحظ ايام المسجد وبعد ذلك سهر الجاحظ عليها يربعاها وتغذيها في دكاكين الهرايين . ولم تكن فلسفة اليونان هي الوحيدة التي صالحت في تلك الدكاكين ، بل تزود من ادب الفرس وحكمة الهند بترجمة كل ما وقعت عليه يده . اما اثر هذه التفافات في نفسه فقد كان واضحا في كل ما كتب تقريبا = فأكبر مصدر من مصادره في الحيوان كان ارسطو وكتابه فيه . بالاضافة الى افلاطون وجالينوس ومفرد وحيث قرأت في البيان وجدت امثال " فان حكيم الهند " . اما المفردات الفارسية فحدث عن انتشارها في تأليفه ولا حرج . ولم يشأ الجاحظ الا ان يسطر ولو هزات يذكر الناس بها بعد موته اختباراته الجمة في تلك الدكاكين ولهذا كتب رسالة في " مدح الهراية " واخرى في ذمها ، لسوء الحظ ضاعت معا .

مجالس الادب = هذه المجالس كانت خاصة نردية . اشبه بما يعقده بعض ادباء اليوم في دورهم من حفلات واجتماعات للرقص وشرب الكأس وانما للبحث والذاكرة والدرس . من امثال ما كانت تعقده الانسة مي في بيتها او كان يدعو اليه احمد زكي باشا في مكتبته الزكية . نقول الى هذه المجالس تحول الجاحظ لا لياخذ منها بقدر ما يعطي اليها . وفي الاجتماعات كان يلتقي بالحنين بن وهب وسهل بن هرون وبالحسن بن سهل وابي العيناء وغيرهم كثير . يتذكرون العلم ويتداولون الاراء ويتناقشون في شتى الوان المعرفة . وقد احب الجاحظ هذه الطلقات واجتهد في حضور اكثرها ولهذا كثر تردده على بغداد مبكرا . وعندما سألته احمد بن غناترها فيه قال (لقد استفدت منها اكثر مما استفدت في السجدا)

الرحلة في طلب العلم = الرحلة مدرسه عليية لا غنى لمحبه علم عنها . وقد تنبه العرب الى هذا في قديمهم فكانت الرحلة في طلب العلم تكاد تكون المدرسة الاخيرة لكل من احب التبهر . وعرفها الاجانب ايضا ورحلات شيلي وبايرون وغيرها مسروقة للجمع . نقول جريا على العادة وجبا في اخذ العلم من مصادره ، رحل الجاحظ الى اماكن كثيرة نوه اليها في الحيوان^٢ . منها بغداد^٣ والموصل^٤ وواسط^٥ وانطاكية^٦ والشام^٧ واخيرا الى قيل انه رحل الى مصر^٨ . وهذا الاخير ضعيف لا نأخذ به او لا لحكاية السروكي وثانيا لان مثله مستبعد على الجاحظ . اما ما استفاد من هذه الرحلات نصعب الكلام عليه لانه اختبارات شخصية عديدة ومتنوعة واطلاعات ذاتية كثيرة ومتفرقة . جمعها من السنة الناس ومن مشاهدات العين ومن دفاتر الرافين . الا ان الكلام على انرها في كتاباته يكون اسهل . وبرزت تلك الانار اولا كتابه 'البلدان' الذي تكلم فيه عن كثير من البلدان التي زارها . الا انه لسو الحظ فد ضاع ولم يبق منه الا ما يتعلق بمكة والمدينة والكوفة والظائف . ثانيا هذه المعرفة الدقيقة في طباع البشر مما لا يمكن ان يعرفه دون اطلاع سابق او احتكاك مباشر مثل قوله (قال الغنى اسكن مصر فقال الذل وانا معاك^٩...)

مدرسة الحياة = هذه المدرسة لا يحدّها الكيرون مدرسة عندما يعددون المعاهد التي تلقى فيها رجل من الرجال نفاثته . لانهم يظنون انها صبيعية ولازمة . ونسوا انها هي اهم واحدة يجيب عليهم ان يذكروها وان يطيلوا الشرح في آثارها التي تركها فيه لانها في الحق اقوى المدارس واكثرها مفعولا . يعني الجاحظ في مدرسة الحياة ستا وتسعين سنة كما بينا . تعلم فيها علوما مختلفة ولفن اقوالا متعددة واختبر اختلاوات متنوعة . وبالاختصار موبّ فيها

كثيرا من حقيقة الاشياء وَهَرَفَ اكثر طرق الحق للوصول اليها . اما الدروس التي استعان بها للوصول الى هذه الغاية فتلاثة . الاول الاحتكاك بالناس على اختلاف طبقاتهم ومشاهدتهم في اعمالهم وسؤالهم عن خفايا تلك الاعمال . والثاني التجربة النفسية والعقلية والتطبيق الذاتي الحضر لكثير مما كان يرى ويسمع . واخيرا التفلسف العقلي واستخراج قوانين عامة وحكم جامعة لكل مظاهر الحياة هذه . اما اثر هذه المدرسة وهاته الدروس فابعد من ان يوصل الى قراره . فالاحتكاك ^{ولا} وسع معلوماته فكان دائرة المعارف والتجربة قربته من الحقيقة في كثير من الامور فكان العالم الحق والتفلسف قاده للحكمة فكان صاحب القدح المعلى في النظر العقلي . واقره في الجاحضية واضح .

هذه مدارس الجاحظ وهذه معلوماته فيها وهذه اثارها عليه . فالى نظرة في اساتذته تتحول .

٢ - اساتذته = ان تعداد اساتذة الجاحظ يطول لانه في الحق لم يترك مخلوقا يمكن الاستفادة منه ولم يأخذ عنه او يجلس اليه سوا . بسؤال خطي او استفهام شفوي او رواية اقوال . الا اننا في هذه العجالة سنقتصر على اشهرهم بل على اهم ما يمكن ان يقال عن ذلك ^{الاجنبي} الاشهر .

الاصمعي = كان صاحب لفة ونحو واخبار ونوادر وفرائب وطلع . قال اسحق الموصلي (لم ار الاصمعي يدعي شيئا من العلم فيكون ان احد اعلم به منه) . وقال الشافعي رضي الله عنه (ما عبر احد عن العرب باحسن من عبارة الاصمعي) . جمع شتيت اللغة في الشجر والنبات والاشاء والوحوش وغير ذلك قالوا انه كان يحفظ ثلثه اللغة . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٦ . على اختلاف في الروايات . سمع عنه الجاحظ في المسجد ولازمه مدة طويلة . اما انزه فيه نقد كان ابين من نور الشمس في رابعة النهار . وبرز مظاهره حب الجاحظ للغة وولعه بما يتعلق بها . فاورد كثيرا من الخريب ومن التفاسير وغير ذلك في اماكن سنطلع عليها عند البحث في لغته . ومن مظاهره ايضا كوة محفوظه من الاحبار والنوادر خصوصا عن الاعراب ما نراه موزعا هنا وهناك خصوصا في البيان والتبيين .

ابو عبيدة = قال ابو نواس (ذاك اديم طوى على علم) . وقال الريح (هذا علامة اهل البصرة) . وقال الجاحظ (انه جماع العلم) . وقد بلغ من العلم درجة كان الاصمعي فيها يخافه . ولد سنة ١١٠ ومات سنة ٢٠٩ على اختلاف في الروايات . صنف في البازي والحمام والنفار

والحيات والزعر . وكان الغريب اغلب عليه واخبار العرب وياهمم على لسانه . كان يرى رأى الخواص . وتشجيع للشعوبية . وقد كتب كثيرا في الدفاع عن وجهة نظر اصحابها . اما الجاحظ فقد جلى اليه واستمع له وروى عنه كثيرا في مختلف فنون المعرفة من علم " وخصوصا علم الحيوان " لادب " وخصوصا اخبار الاعراب ونواديرهم " لغير ذلك ما تعودت ان نراه يملأ صفحات وصفحات من البيان والحيوان على وجه التخصيص . الا انى الجاحظ لم يتأثر بتأثيريتين من نواحي استاذاه هما التعصب للشعوبية ومظاهرة الخواص . ولعل لذلك اسبابا لما نفذ عليها لحد الان .

ابو زيد الانصارى = كان صاحب لغة ونوادير وغريب . حدث ابو عثمان المازني قال (رايت الاصمعي وقد جاء الى حلقة ابي زيد المذكور فقبل راسه ونال انت رئيسنا وسيدنا من خمسين مينة !) . ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ٢١٥ على اختلاف في الروايات . الف في القوس والترس والفضيب والابل والوحوش وخلق الانسان والطر والنبات . اما اثره في الجاحظ نواضح اولا بكثرة الانسجار التي نقلها عنه وثانيا لى بكثرة النوادر التي نسبها اليه والتي كان يجعلها مطبه يستطرد بها ليروج عن قارئه طله

الاخفشر = كان من اكبر ائمة النحو في البصرة . حدث عن نفسه فقال (ما كتب سيديوه شيئا الا عرضه علي) . ويرى انه قال حينما دخل الفراء عليه (جاء سيد اهل اللغة وسيد اهل العربية . فما كان من الفراء الا ان قال اما مادام الاخفش يعيس فلا) . ولعمري لقد نطق الفراء بالصواب لان الاخفش في الحق كان امة في النحو . ولد في سنة لم نعرف تاريخها ومات في سنة ٢١٥ كما تقول الروايات . ولقد اخذ عنه الجاحظ كثيرا وتأثر بروحه لدرجة انه كان في كثير من الاحيان ~~يقلد~~ يترك الكتم على الديك والطلب الذي هو بصدده ليحدثنا عن النحو وضرورة اقامته وتجهين الحسن والهجم عليه . مما سيأتي الكلام عنه في باب اللغة . وقد كان هذا منه في اكر من موضع خصوصا في الحيوان والبيان رسالة ثم اعمال السلطان .

النظام = كان النظام رئيسا من رؤساء المعتزلة ومدرسا بارزا في المسجد . صحبه الجاحظ مدة وتأثر به كثيرا خصوصا في علم الكلام ورائه في المعتزلة حتى تغلغل هذه في صميم فؤاد الجاحظ فاجبها حبا جما وعار من غلاة المعتزلة فيما بعد . روى العريضي ان الجاحظ قال (ان الله يبعث في الناس كل الد سنة رجلا يهديهم سواء السبيل . راس هذه الالة هو النظام) . وفي موطن اخر قال عنه (هو اعلم الناس فاطمة بالثق والكلام . هو مصدرهما واليه يرجع في حل مشاكلكهما) . وفي مقام ثالث قال (كان مأمون اللسان قليل الؤل والزيغ في بابي الصدق والكذب) . وفي رابع قال (لا ترتاب بحدينه اذا حكى عن سماع او عيان) . هذا هو النظام وهذا هو موقف الجاحظ منه .

اما اثر الاول في الثاني فواضح لا يحتاج لتحويل نسخ . فما الجاحظية الا نوع من المعتزلة ولعت بالمنطق واعتنت بالكلام واعتدت على العقل ^{واعتبرت} اعتمادا اظهر تطرفها في اعين الكبريين .

هؤلاء هم اشهر اساتذة الجاحظ ونعم النخبة هي الا ان الجاحظ اخذ عن كثيرين غيرهم ممن لا نائذة من تعدادهم مثل صالح بن جناح اللخسي وعروبن كركه وعروبن العلاء وغيرهم كثيرين .

٣ - نوع ثقافته = من هذا نرى ان الجاحظ اخذ عن اكثر واشهر اساتذة عصره شفاها ودارسة بالاضافة الى ما استفاد من كتب دكاكين الرافيين ولقاء الاعراب الخلس . وعلى هذا تكون قد اجتمعت له عناصر الثقافة العربية كاملة من لقاء الاعراب في المرء والاستماع للاساتذة في المسجد وصحبة ائمة الدين في الحلقات المختلفة . وتكون قد اجتمعت له عناصر الثقافة الفارسية ايضا من مطالعة ما كان قد ترجم الى وقته وسبالة الجماعة المهتمين بذلك النوع من الثقافة خصوصا المترجمين او الذين هم من اصل فارسي مثل ابن الفقع وماسرجه . ويكون قد توفى لديه فسط لا بأس به من الثقافة اليونانية وخصوصا الجانب الفلسفي والفلسفة الطبيعية على وجه التخصيص . اما مصادره او بالاحرى طريقه لهذه الثقافة فكان ما وقع عليه مترجما في دكاكين الرافيين وما سمعه شفاها من الظلمير على تلك الثقافة مثل حنيس بن اسحق وغيره . أشهر الفلاسفة الاغريق الذين طالع لهم الجاحظ أرسطو وافلاطون وجالينوس هذا بالاضافة الى ديمقراط ودسموس وتيمقراط وفليمون وموريسطوس وماسرجوس وارشخانس وغيرهم ما تجد اسماءهم منتقصة في كتبه وسقولاته عنهم . حتى لقد نال البندادى ان الحيوان الذى نال الجاحظ انه من تاليفه لم يُعَد في الحقيقة اكثر من نسخ لعدة مواضع من كتاب أرسطو فيه ضم اليها تحببا من مختارات ما عرف واتسع له عقله من خرافات واحاديث قال بها العدائني . الى كل هذا اطلع على جانب كبير من الحكمة الهندية . تفهمها أولا وتذوقها ثانيا وسخر منها الكثير في كتبه اخيرا .

وانه . ليحسن بنا قبل الفراع من هذه الناحية ان نذكر بعض مواضع التي ركز درسه عليها في الادب والعلم والدين . اشهر هذه الكتب كتاب أرسطو في الحيوان وكتاب الفارسي لافليمون وكتاب طباع الالبان لما سرجه وكتاب الهندسة لافليدوس وكتاب المنطق لارسطو . هذا بالاضافة الى مقولات كثيرة دون تسمية كتب من بختيشوع وحنيس بن اسحق وجالينوس وغيرهم كثير منه سترد اسماءهم في فهرس المصادر .

ثالثا - نسي وناسه

لقد مات الجاحظ، لكن كيف مات . لقد ورث ابن أبي دؤاد للمامون سنة واحدة بعدها مرضي النالج فاضطر لاعتزال الوظيفة . لكنه قبل ان ينتحى بالكيفية اوصى ^{ابنه} ~~ابنه~~ من بعده بالجاحظ خيرا . وهكذا كان . لكن الابن لم يكن كالأب ولهذا لم يظل عهد الجاحظ مع الابن طويلا . أولا لتنكر المتوكل للمعتزلة وثانيا لتغير الابن عن الاب وثالثا لاستيلاء العرش والهرم على الجاحظ نفسه . فاضطر تحت هذه العوامل المتعددة أن يعود الى مسقط راسه في البصرة .

في هذه الفترة الاخيرة - بين اهله واخوانه القداما - عاثر الجاحظ مدة من الزمن هي التي نسميها في تاريخ حياة العرش بفترة الشيخوخة - شغلها فيها ثلاثة اشياء . أولا الكتابة وثانيا التعليم واخيرا مدارة العرش الذي كاد يطبق عليه من جميع الجهات.

اما في سبب ذلك العرش فقد رُويت روايات . اشهرها تلك التي تقول إنه اجتمع ومعه اصحابه على مائدة بلبل الوزير حيث قدم لهما سمك وضيرة . قال صاحبه الطبيب (انصحك يا ابا عثمان ان لا تأكل منهما معا . لان الجمع بينهما مضر . فضحك ابو عثمان وسأل لماذا . الا ان الطبيب اكفى بهز راسه وتأكيد ضررهما اما ابو عثمان فابتسم وقال اسمع يا هذا لا بد ان يكون السمك والبلبن اما ذوى اثر واحد او ذوى اثرين مختلفين . فان كانا من نوع واحد ناكل من كليهما ونفترض اننا اكلنا من واحد وشبعنا . وان كانا من نوعين فكلنا ناكل من كليهما فيبطل مفعول احدهما مفعول الآخر . فسكت الطبيب ثم قال لقد قلت ما قلت عن علم اما المنطف فقال في دروسه قدم^(١) . وكان ان اكل الجاحظ مات ليلته وفي الصباح اعتراه الباع^(٢).

لقد رويت في اخبار مرضه روايات كثيرة كلها تدل على ان المرض كان قد اعياه حوالى سنة ٢٤٧ الا انه كان موجودا بالفعل قبل سنة ٢٤٧ لذكره ذلك في الحيوان والحيوان قدم ^{لأحمد} لحمد ابن الزيات الذى توفي حوالى سنة ٢٤١ .

هذا عن سبب الحلة ومن تاريخها اردناه كما جاء في الروايات . اما عن انواعها فقد قيل أن الفالج والنفرس وحصر البول كانت بعض نواحيها . والروايات على هذا متوافرة ولطاعتها بالتفصيل راجع قصصها في ملا مواضعها الاصلية مثل ياقوت وابن خللكان وابن ابي اصيبعة وغيرهم .

بعد اجتماع هذه الملل لا نبله "نام" الجاحظ . وبعد تكانتها جميعها عليه انزوى في البيت لا ليصحح او ينصح او يندب حظه المشؤم واخذ في فلسفة سلبية كما كان من امر ابي الملا المعري - بل ليتابع رسالته الادبية والعلمية والدينية التي وفد نفسه من اجلها . فكان في هذه الفترة وتحت هذا الضغط اولا يعلم تلاميذه وثانيا يستقبل زواره وثالثا يتابع كتاباته في شتى ميادين المعرفة . اما ما يثبت التعليم فقصه الاندلسي الذي سمع به وجاء يطلبه من الاندلس^١ . واما ما يثبت كره زواره واستقباله اياهم بالترحاب وافادته اياهم بكل ما لديه فقص المبرد^٢ والخولي^٣ رسول المتوكل والبرمكي^٤ وغيرهم مما لا يمكن التناضي عنهم . في حين ان كتاب البخلاء الذي كتبه في شيخوخته وكتاب الخيوان كذلك تشير الى انه لم يتحل عن الكتابة حتى النفس الاخير .

بقي يعاني مفعول هذه الامراض نعماني سنوات على الاقل . حتى انهالت عليه رنوف الكتب التي كان يرصفها امامه وهي جوانبه . فمات في البصرة لا في غيرها كما قيل سنة ٢٥٥ هـ . وما يؤيد هذا قول المهلب (^١ / ^٢ / ^٣) لابن المعتز ورد الخبر بوفاة الجاحظ يا يزيد . نقلت لامير المؤمنين طول البقاء^٤ .

المقالة الثالثة - الجاحظ في معترك الحياة

بعد ان اجتمعت كل هذه العوامل الثقافية والتيارات العقلية لديه تَشَرَّعَتْ رَوْحُهُ وتغلَّغت في نفسه - اخذ يصهرها في اتونهِ وقولبها في دماغه واخيرا بدأ يخرجها للناس كأنها جديداً ومخلوفاً نريداً هو ما عرف بهلْذ بادب الجاحظ . لقد بدأ الجاحظ الكتابةً بالبصره وفعلاً طرح هناك للسوئهِ بعض الشيء الا ان القوم لم يكونوا قد تعودوا على مثل هذا الأدب الصريح في لهجته المتخلي عن كل تصنع في لفظه . وسبابة مختصرة وفقوا وفقه المرتاب من هذا الاديب الواقعي لاخر حرد . ولهذا لم ترجح كُتبه الرواج الذي انتظره . ولم تأت الاموال دنانها كما تأمل . ولا عجب فبالبصرة ليست بالسوق الذي يتسع لمنل عُرْضِ الجاحظ . نليفتر عن سواها .

في هذه الفترة كانت معركة الامين والمامون قد انتهت . ووروى الامين التراب وقدم المامون بخداد ليتبوا العرض وتولى ادارة دفة السفينة . نقول في هذه الفترة على العمم وفي سنة ٢٠٤ على الخصوص قدم المامون بخداد . وتقاطرت اليها الوفود لتنهى* . وتواندت اليها النعماء لتقول ما يقال في مثل هذه المناسبات . وبالطبع قدم الجاحظ ليفول كلمة الادباء* . واية كلمة هي ... كانت كتاباً كاملاً هو كتاب العباسية او امامة ولد العباس على اختصار في الرواية . سلمها للمامون وغاب ينتظر . وما هي الا ايام حتى جاءه الامر بالحضر والمثول بين يدى الخليفة الهوى قال له لقد ارى الميمان على السماع^١ . ومن هنا بدا نجم صاحبنا بالارتفاع .

ولم تطل المدة بعد ذلك حتى اخذ يتردد على ديوان الصولي بين الفينة والفينة يساعدهم في هذا ومرشدهم في ذاك حتى كان أن شغرت رئاسة ديوان الرسائل . طلبه المأمون ليملاها فاعذر لكفيه اضطر للقبول نزولاً عند ارادة امير المؤمنين^٢ . وتقول الرواية انه بقي في الديوان ثلاثة ايام فقط بعدها استقال فاقبل^٣ . أما لماذا ؟ فالجواب لا يزال سرا من الاسرار . الا ان الظواهر تدل على ان عاملين قومين عمل في المسألة اولهما حسد اعداء الجاحظ وثانيهما كبر نفسه وجبه للحرية . اما الاول فيشتم من سهل بن هارون عندما سمع بامر التعيين (اذا بقي الجاحظ في الديوان فقد اقل نجم الكتاب^٤) . واما الثاني فيستنتج من كتابه الذي كتبه بعد ذلك في ذم اخلاق الكتاب حيث وصفهم تارة بالذل والخضوع واللقى واخرى بالرياء والخبائة والغفلة^٥ ؟

الا ان الجاحظ لم يعتزل ديوان الرسائل المأموني الا ليتعرف الى كاتب من اعظم كتاب عصره ومنشئي من اقوى منشئي ايامه نعتي ابن الزيات الذي صار مؤرخا وزيرا للمؤمن .
لقد ازداد التعارف بين الرجلين فظهر الى صُحبة واستدت الصحة نادت الى رنع التكليف حتى قيل انهما كانا ياكلان على مائدة واحدة^١ وحكاية السمك والمضرة التي تلج الجاحظ على انرها قيل انها كانت على مائدة ابن الزيات . نقول باختصار ان كلا من الرجلين احب صاحبه واغرم به وتحسين الفرص لارضائه واعلاء كلمته وتوفير سبيل الهناء والعز له . فابن الزيات من ناحيته كان يجزل العطايا للجاحظ ويقدمه في المجالس وسمع كلمته في كثير من الامور حتى قيل انه اقظه ارمعثة جريب تدر عليه مالا وفيرا^٢ . وسّر له سبيل الرحلة للشام^٣ لياخذ ما هو بحاجة اليه من مكاتيبها وغير مكاتيبها وتفرج على مجملها . في حين كان الجاحظ يقابله من ناحيته بما يملك الاديب فكسبه كتاب الجد والهزل وهنون باسمه رسالة الحاسد والحمود واهدى اليه كتاب الحيوان^٤ غرة كسبه رمز ادبه . هكذا عاش الرجلان كل منهما يحسب صاحبه ويقره منه حتى ارتفعت الكلفة كما قلنا وحتى استطاع الجاحظ ان يذكره في الحيوان^٥ مثلا وفي البيان كذلك بدون اى لقب او كلمة تبجيل .
وان يروى عنه الروايات التي اقل ما يقال فيها انها (بلدية) مثل حكاية الكلب^٦ الذي كان يانس بابن الزيات ويشتره . وكان من نتيجة هذه الصُبة ايضا ان تحسنت حالة الجاحظ المالية وارتفع مركزه الاجتماعي واضحا كاتبنا تكاد تكون له الصبغة الرسمية كما سنرى .

لقد عرف الجاحظ ابن ابي دؤاد في صفوه كما قال في مقدمة المعاد والمعاس^٨ . الا انه تجانى عنه في شبابه للعداوة او بالاحرى للمنافسة التي كانت بين احمد وسعيد . لكه اضطر للمودة اليه عندما دارت الایام على محمد وارتفع نجم احمد . وتفصيل هذا انه يموت الوافي واستلام المتوكل زمام الحكم نفي اليه ان محمدا كان من القائلين بعدم نسج المجال للمتوكل لكي يكون وصي المهدي^٩ . هذا بالاضافة الى ان ابن الزيات كان شديد الحفاطة على المتوكل بذاته^{١٠} . عندما كان الاول وزيرا نافذ الكلمة وكان الثاني شبه ولي للمهد تنناوشه الاراء وتلاففه الارباع . نقول باستلام الوافي^{١١} الحكم عزل ابن الزيات وارسل الى ابن ابي دؤاد يضعه في مكانه . اغتنم هذا الفرصة وانهم المتوكل ان لا سلامة للدولة مع بقاء ابن الزيات حيا . وهكذا طارده الجواسيس وحاصروه الميون فاضطر للهرب . لكه اخيرا وقع في الفخ وقُبض عليه ونُفي في التنور الذي كان قد اعد له لتعذيب من تقع عليه الشبهة من ذوى المظالم . تحت هذه الظروف لم يجد الجاحظ سوى

التستر والانزواء والمزلة مهرا . لكنه لم ينجح بل قبض عليه اعوان ابن ابي دؤاد بـ رموه في السجن اياما حتى تذكّره القاضي وارسل في طلبه للمحاكمة نافيل يؤسف في اغلال الحديد .
 سأل ابن ابي دؤاد لماذا هربت ؟ فقال لثلاثا اكون ناني اثنين اذ هما في التنوير . فضح
 ابن ابي دؤاد وطلب من حداد ان يفتك قيوده فنظر الجاحظ الى الحداد وقال اعمل عمل سنة
 في ساعة وعمل ساعة في دقيقة فان اطرافي تكاد تذوب ؟ فضح ابن ابي دؤاد وامر له بكسوة
 واعطيه واقبل عليه يبتسم وقال له (هات حدثنا يا ابا عثمان) ومعهها ضمه الى بطانته . بعد هذا
 لان الجاحظ القاضي احمد طيلة السنة التي شغل فيها هذا الوزارة . الجاحظ يكتب له امثال
 المعاد والمعار رسائل اخرى خاصة ويهدي له الهجوي البيان - الموسوعة الادبية المعروفة . واذك يُغدق
 عليه الفتح والعطايا ويجزل له الهبات حتى مرض احمد واعتزل الحكم .

بالرغم من ان الجاحظ انضم لحاشية الوليد بن القاسي مدة من الزمن اكرمه
 فيها واحسن مقامه الا ان الايام كانت قد تغورت والأصحاب تبدلت ولم تعد بغداد بدار
 مقام . ولهذا عاد الجاحظ للبصرة لاسباب التي مر ذكرها . لكنه قبل ان يعود كان قد
 تعرّف الى شخص له مكانته وصار فيما بعد والي الشام على عهد المتوكل نعمي الفتح بن خاقان .
 احب الفتح الجاحظ وقربه . وأتى الجاحظ بالفتح وأحضر له . الا ان الايام ابت الا ان تفرق بينهما
 فعندما ذهب الفتح للشام اضطر الجاحظ " بالرغم من دعوة الفتح اياه لمرافقته " نفوس اضطر
 للعودة الى البصرة . لكنه مع ذلك بقي على اتصال به ومن اثار هذا الاتصال وذاك الولا بقي لنا
 اولا اهداؤه له كتاب مناقب الترك وثانيا ارسال الفتح للجاحظ تلك العبارة التي تعبر ببخوص
 عن مقدار ما يكرهه صاحب المخلص لصاحبه ٣ .

هوذا هم اشهر من اتصل بهم الجاحظ من عظماء الدولة . لكنه يحسن بنا ان
 لا نترك الكرم قبل ان نشير الى ان هناك كثيرين اخرين اتصل بهم الرجل في مناسبات ولا راض
 مختلفة . نذكر منهم سهل بن هارون صاحب بيت الحكمة والحسن بن سهل الكاتب المعروف
 والحسن بن وهب الذي استمع له في المسجد وابن رباح الذي كان على بيت المال وابراهيم
 الصولي الذي تولى الديوان مدة من الزمن وابنه محمد الذي ذكره ابن خللكان وآخر اسمه ابو الوليد
 الذي كتب له رسالة استنجاز العهد ونجاح بن سلمه الذي قال فيه قصيدة نذكرها في الفهرس
 وارسل له كتابا خاصا نذكره في سرد كُتبه . هذا بالإضافة الى كثيرين غيرهم من من لم يكن لهم
 بهم اتصال مباشر .

اما نتيجة هذا الاتصاف فهو كما قلنا تحسين مركزه المالي وارتفاع مستواه الاجتماعي واخيرا اعطاه الصبغة الرسمية في الكتابة لانضمامه تحت لواء هؤلاء الكبار . فاستطاع ان يقول في خلق الفراء وفي حرية الطباع وفي الرد على كل النثر الاخرى تقريبا بجملة ووضع وعناد وقوة نفس ايام الامون .

ثانيا - نصيبه من الحياة

كلما ذكرنا الحياة ونصيب الجاحظ منها ترتسم امامنا صورة الجاحظ الظفل الاسود المشوه الخلقة . الذي مات ابوه فاضحى يتيمًا والذي قل ماله فعاس فقيرا والذي جفاه اصحابه فانزوى وحيدا والذي كرم عاد من المسجد وليس في بطنه شيء الى بيت ليس فيه شيء لا يحسن الا كتابا في يده ولا يملك الا ثوبا خلفا على جسمه والله يعلم ما اذا كان قد احتذى شيئا في رجليه - نقول ترتسم امامنا صورة على هذا الشكل وقد دخل على امه يطلب منها ما ياكل فتقدم له طبق الكواريس وتقول له كل/بدا لك .

هذا الطفل المسكين البائس ، الاسود ، المشوه ، الفقير ماليا ، الحقير اجتماعيا ، الضعيف نسبيا ، العاشي في مهب الريح - هو الذي ستنذر به اديام ويحلوه به النجم صغير به زحل الى سعد فيصن بجرامٍ وابسامة أُمَل (لا ينقصني الا ان تكون الخلافة بيدي وان يعمل ابن الزيات بامرئ) . لهذا الحد وصل الجاحظ والى بعض الشرح في كيفية ذلك التغير نتحول

١ - ماليته = لقد ظل رزق الجاحظ قليلا ومورده ضئيلا . تارة يعتمد على بخيل واخرى يبيع السمك وثالثة يلون لأُمه ، حتى بلغ سن الرشد على ما نظن ، وحتى آنس من نفسه الكفاة للكتابة . فاختار يستعمل قلمه ويخط اول رسائله ويبعث بها للمسوق عساها تعود اليه بما يتبلغ به ويساعده على مهام الحياة . الا ان القوم كما قلنا قد تنكروا له وجهمرتهم اعرضت عنه واكثروهم راح يطعن قلمه ويغمز كبه . ولعل للحسد الذي فُطر عليه اكثر الناس نصيبا في ذلك وقد اشار الى كل هذه المضايقات في اول كتاب الحيوان حيث سرد جانبها لا بأس به والحق نورا مفيدا على غِيَابِ كُبّه ومُتَنَفِّسي اديه . وصرح بان سياسته ازاها لم تزد على سياسة " انهم

قوم جهال علينا يقع عبء تعليمهم ولذا يجب علينا ان لا نغضب".

الا ان سمة الصبر بطول البال وكثرة الحلم اضرت بالرجل . فأنه لم تعد تُجده والبخيل قد ازداد شدّه والأمال التي كان يبنّيها على كعبه لم تتحقق. والبصرة كما يبدو ليست بالبلد الكبير . لهذا رحل لبغداد حوالي سنة ٢٠٤ لغرض لا نعرفه الا اننا نرجح انه لم يخرج عن نطاق ثلاثة : إما لطلب العلم الذي اتى علي ك مصادره في بلده . وإما لطلب الجاه والمال اللذين يسمي لهما كل مدلول اجتماعي . وإما لاعطاء العلم والتدريس في بغداد بعد ان شعر بان في وطنه شيئاً . ونحن نرجح ان الثلاثة قد عملت متأثرة في نقله من البصرة لبغداد . على كلٍ جاء بغداد واحتك بالمامون فاعطاه واكرمه . واحتك بابن النيات فآخذ منه خمسه الا على كتاب الحيوان واربعمائة جريب هبة لسوابق وغيرها وغيرها كثير . ثم التحق بابي دؤاد فاعطاه خمسة الاف على كتاب البيان وامده بما لا نعرف على وجه التاكيد الا اننا نستنتجه من تلميحاته اليه في المعاد والمعاس . ولا ننسى ابراهيم الصولي الذي وهبه ضيعة كاملة^(١) اما التت بن خافان فقد كاد يقطع لسان الجاحظ عن كل سؤال . بالاغاقه الى التعمينات التي كان يقبض من بيت المال والهدايا التي كان يستلم من اماكن مختلفة والبهات التي كان يستقبل من المعجبين بلامه . وان نسينا قلن ننسى مورداً من اهم موارده خصوصاً في هذه الفترة خصوصاً بعد ان تآخ صيته وتناقلت الناس اقواله نعني ببيعات كعبه .

هذه هي الموارد التي حسنت حالته العالية . اما مظاهر ذلك التحسن فاليك احبارها بكل اختصار منقولة لا عن غيره وبماخوذة لا عن سواء بل منسوخة بالحرف من كعبه المختلفة قال الجاحظ كان لي غلام^(٢) وغلام اخر^(٣) . وقلت لنفيس غلامي^(٤) . وكان لي خادم خدم اهل الثروة واليسار واشباه الطوك^(٥) . وكان لهنز^(٦) ان رم لي غلامي^(٧) . كل هذا عن الغلمان . اما عن الجوارى فقال انما انا جارية وجارية تخدمها^(٨) ناسم بالله . اما عن المظاهر الاخرى فقال كان لي نجار^(٩) وكان لي ملا^(١٠) وكان لي بستان زرعت فيه الاراك^(١١) . هذا بعض ما استطعنا ان نهتدي اليه ونستقطه في كعبه وهو مما لا نشك فيه جانب بسيط مما كان عليه الجاحظ . ولو لم يكن له الا خادم خدم الطوك ، او لو لم يكن له جارية عادية وانما جارية لتخدم الجارية او بالاحرى "مسرة" لكفي اشارة الى المركز المالي العظيم الذي وصل اليه ذلك الطفل الاسود المشوه الذي اشرنا اليه . ولكي يؤكد لنا بجلالة لا يشوهه شك بجماله صحة ما استنتجنا

قال بلبهجه التي طالما عرفنا ، وصدق الدلالة ، والقصد الى المعنى الواقعي فيها ، جوابا على سائل ساله كيف حالت يا ابا عثمان (انك انا وجارية وجارية تخدمها . اهديت الحيوان لابن الزيات فاخذت عليه خمسة الاف دينار واهديت البيان لابن ابي دؤاد واخذت عليه خمسة الاف اخرى . فعدت الى البصرة ولي ضيعة لا تحتاج لتسميد وانا الان بانتظار الفرج . قال وما الفرج يا ابا عثمان فان ان تاتيني الخدعة وان يتكلم باسمي ابن الزيات^١ . الى هذه الدرجة وصـ ابو عثمان والى هذه الغاية امتدت به الاحلام . ونحن نحمد الله على ان لم ياته الفرج والا ضاع علينا الكثير من درره . الا انه يحسن بنا ان نذكر الى جانب هذا ان الجاحظ مات فقيرا وهذا مستنتج من جوابه لس ساله في مرضه كيف حالت يا ابا عثمان فقال

مرضى من مكائين من الافلاس والدين

وقبيل ذلك اضطر لتعليم الاولاد في كتاب . بعضهم قال انه كان يُعَلِّم ليفيد وبعضهم قال بل ليكسب فوة يومه . ونحن الى الثاني اميل . والسبب في ضياع كل هذه الثروة على ما يظهر لنا من مجمل اطلاعنا على سيرته اولا حبه للمتع بالحياة . والمتع لا يكون " لا يكثر ببلال^٢ " فالذي يفتني جارية وجارية تخدمها لا يمكن ان يقال عنه انه احجم عن الحياة . نانيا كرمه وسخاؤه واحتقاره للمال فهو في حين يقول قاتل الله الطمع واخذ الحرص يروح يكتب رسالة كاملة في ذم البخل وكتابا طويلا يعد من درره في الهز^٣ بالبخل^٤ .

٢ - مركزه الاجتماعي = هذا عن الناحية المالية . اما الاجتماعية نحدث عن البحر ولا حرج . فالجاحظ وان لم يتبوأ مراكز رسمية بد على العكس استفاد منها بعد ان نالها - نقول بالرغم من ذلك كان صاحب كلفة في اكبر الحافل وذا رأى لدى اكبر الناس . ولانفا^٥ ضو^٦ على هذه الناحية نورد لك اولا رسالة التثني اليه ثم نذكر ان كثيرين من الناس كانوا يتشفعون به لدى الولا^٧ واخيرا نرجع القارئ الكريم ثانية الى القرا^٨ ومعيد النظر فيما قال هو بنفسه^٩ على جواب السائل الذي مر ذكره بخصوص حكاية الخلافة وابن الزيات .

اما رسالة التثني اليه فيستنتج منها اولا انه يحبه كثيرا . نانيا ان الخليفة ييسر اليه نالنا ان كبه كانت تقدم للعظماء اولا رابعا ان له اعطيات معينة لدى الخليفة . وللتفصيل^{١٠} وللتحقيق في هذا راجع رسالة التثني المنشورة في معجم ياقوت .

اما حكاية الشفاعة فهي وان كان لا يعنيننا نصها في هذا المقام الا انها تشير بوضوح الى انه وصل المركز الذي اغْطَوْه الناس في ايامه الى ان يرجعوا اليه ليشفع لهم او يحيي بهم عند الولاة . والجاحظ وان لم يكن قد قِيلَ ان يتشفع، الا ان الرجل لم ياته عدوا بل عن سابق ارشاد وتدبير . ولعل السبب في رفضه هو انه كان يفضل ان يعيش حرا من فيود الشفاعة والوساطة ولاقى الناس المتشابهة التي تبعده عن درسه من ناحية وتُفلق راحته من اخرى . وانا اعرف كثر كثيرين من هذا النوع همهم الدرس والكتاب وكل ما عداهما نعلى الهامس . —

اما جوابه على السؤال الذي وُجِّه اليه فلما لا يحتاج لشرح . لقد قال السندوي ان تصريحه بخصوص الخلافة لم يكن معنيا بالحرف ان كان حقا قد صرح به وانا على سبيل البالغة والدلالة على مقدار توفّر اسباب الدنيا لديه . ولمعنى لقد اصاب السندوي كبد الحقيقة . فاجتماع الجاحظ لا يدل على امال من هذا النوع قط . نعم لقد كتب في الامامة وتحدث عن الادب السلطان واصر الخلفاء وله في كل هذه اراء جلييلة الا انه لم يورد عنه مثل هذا القصد في يوم من الايام انما نعتقد مع الاستاذ السندوي انها لم تكن مفصودة بالحرف وانا كان لعامل النكته وخفه الروح التي عرّب بها الجاحظ نصيب كبير في الموضوع .

ولنذكر قبل ان نختم هذه اللوحة ان الجاحظ اضطرّ أخيرا للانزواء في بيت حقير في البصرة بعيدا عن كل الناس . الا انه لحسن الحظ لم يفكر في العزلة والانزواء والحبس ولم يكره البشر ومسيّ الظن في كل شيء كما كان من امر ابي العلاء المعري . بل على العكس فتح بابا ووسع بيته ولم تلاميذه واستقبل زواره الذين توافدوا اليه من كل الاقطار حتى من الاندلس . روي ان احدهم صرق الباب عليه ودخل . فوجده في زمرة حوالي عشرين طفلا . فالتقى السلام وقال ايكم الجاحظ . وبيل بل دخل عليه في بيته مع امراته فالتقى السلام وسال ايكم الجاحظ . فطلع فيه الجاحظ وقال ممن الرجل . فقال من الاندلس فقال طينة حقا وما تفصد قال علم ابي عثمان . فقال الجاحظ انصحك ان تعود مسرعا لانه لا خير فيك .

٣ — مركزه الادبي = هذا عن العالية وعن اجتماع الجاحظ . اما عن الناحية الادبية تحدث عن المحيط ان كت فيما قبل حدثت عن البحر ولا حرج . لقد خلّق الجاحظ لكي يكون اديبا ولهذا نمقله بالقطرة منقده . وحسه بالطبع مرهف . وقلمه بحكم الظروف كان سيالا . كتب

في كل شيء تقريباً واصفاً نارةً وناقلاً أخرى وموصياً باراً من اجمل ما يكون في عدة اماكن .
 للعلم في ادبه جانب وللدِين اخر وللحياة العامة والخاصة زوايا وفن . ليست مادته هي التي
 جذبت اليه الناس فقط بل للطريقة الواقعية البسيطة التي اتخذها واهطة لعرض تلك المادة اثر
 في نفوس الناس وقع في قلوبهم فحببتهم به وفرتهم اليه . لقد انقسم الجمهور الى عدو وصاحب .
 لكن هذه سمة من سمات العظمة وواسطة لا بد منها لنشر اسم الرجل ومعه فضله . ولكي
 نشير الى (ولا نقول نشر) مركزه الادبي الذي وصل اليه نود القصص التالية مكتفين بها دون
 تعليق (روى ان كعبه وصلت الاندلس وان احدهم قد اتى الى بغداد خصوصاً ليستفيد من
 الجاحظ شخصياً وياخذ عنه شفاهاً^(١) . روى ايضاً (ان ابن الاخشاد مع فضله وعلو كعبه في
 الادب ارسل من يبحث عن كتاب الفرق بين النبي والتمني في عرقات^(٢) . وقال احدهم [الجاحظ
 ذاك رئيس ادباء العربية بلا مدافع^(٣) . وقال هو نفسه في التريخ والتدوير مخاطباً ابن عبد
 الوهاب (^١تعلم يا هذا من تطاول^(٤)) وقال ابو هلال عندما فير له لما لا تهجو الجاحظ (ائني
 يخدع عن عقله فوالله لو كتبني رسالة لما اخضت الا وذكرها في الصين . ولو قلت نية الله
 بيت لما طن منها بيت واحد في الف سنة^(٥) كل هذه قصص روايات واقوال ان كانت لتدل
 على شيء فاننا على الدرجة التي وصل اليها الرجل من العزة والمنعة وسعة الانتشار .

ثالثاً - اخلاقه وشماله

كان الجاحظ مرمواً^(٦) . فيه ميل للفقر كما دافع عن نفسه في التريخ والتدوير ضد
 هجوم ابن عبد الوهاب على القصرين^(٧) . وكان اسود البشرة . كما قال عنه اكثر مؤرخي حياته
 مثل ياقوت^(٨) وكما اكده ابن العزق في رواياته عن سواد جده فكانه اراد ان يقول " والسواد لون
 متأصل في اسرة الجاحظ وليس طارناً عليها " . وكان جاحظ العينين كبير حدقتيهما^(٩) . كما حدث
 هو نفسه مما مر ذكره وما الصرب هذا اللقب الذي كان يحقته فكره سماعه . والى جانب هذا
 كان صاحبنا دقيق العنق صغير الراس والاذنين^(١٠) . كما صرح بلسانه في التريخ والتدوير ايضاً
 اما السندوي من المحدثين فقد زاد على هذا فتصوره بلحية عريضة كبيرة كثة^(١١) هي رمز الفج في
 اي مخلوق التفت به . وكانه عز على السندوي ان يغوت هذا النوع من الفج الجاحظ او صعب
 عليه ان يغوت مؤرخي حياته ذكره نجاة متأخراً يلصقه به ولو في رسم تخيله له . اما من اين اتى

بهذه اللحية ^{فد} نمرت . إذ ان واحدا من المصادر لم يذكرها . لكننا نظن ان السندوي تخيل ضرورة وجودها لان ارخاء اللحي كانت " المؤه " السائدة في تلك الايام . فاحب ان لا يحرم جاحشنا من لحيته . الا ان غيره كان اجمع منه (ان من السندوي) في وصفه للجاحظ
 إذ قال لو يمسح الخنزير منسحا ثانيا ما كان الا دون فبح الجاحظ
 رجل ينوب عن الجحيم ^{برهيم} وهو الفضلي في كل طرف لاحظ

كل هذا ما استعصنا ان نجعله من صفات الجاحظ سواء من كتيبه رسائله او من كتابات من جاء بعده عنه . وهي كما ترى ملاحظات قصيرة مقتضبة الا انها مع ذلك تعطينا فكرة عامة عن صورة الرجل الشخصية يستطيع الفنان الماهر بمساعدتها ان يصنع له رسما يدل لا على شخصه فقط بل وعلى روحه ايضا . اما هذه الفكرة العامة فهي ان خِلقة الرجل كانت في غاية الفبح والدمامة . وقد تواترت الروايات على هذا حتى لم يعد هناك اى مجال للشك فيه . ومن احسن ما بني لنا من هذه الروايات او الحكايات او النوادر او سمعها ما شئت ما يلي

اولا اجتماع رجلين يتحدثان عن هذا الفبح . وبعد ان اتفقا على انه كان في الذروة منه قال احدهما لبيته يعود الى بطن امه لعل الله يصلحه ثم يخرج من جديد . فلما كان من الثاني الا ان قال وهو نطن ان الله بحاجة الى ارشادات . انه لن يفعل هذا ابدا لانه يعلم ان خلقه من جديد اسهل عليه من محاولة اصلاحه .

ثانيا قال هو عن نفسه ما اخجلني الا امرأتان ادولى طلبت مني ان اتبعها في احد اسواق البصرة . فتبعتهما حتى اتينا دكان صانع تماثيل . فاشارت الى الرجل وقالت : مثل هذا وانطلقت من فورها . سألت الرجل الخبر . فقال جاءتني تطلب مني ان اصنع لها تماثل شيطان فلما قلت لها لا اعرف جاءتني بك . واما الثانية فضيلة جميلة تظلم فيها وقد لها انزلي الى عالمنا يا هذه . فقالت ما لك لا تصعد فتري وجه الله .^(١)

ثالثا وقال هو عن نفسه ايضا : فابلت طويلا فنظر الي شزا وقال
 كانك صعوة في أر حش اصاب الحشر طش بعد رش
 وسكت . فصعدت فيه وقلت له اما انت . فقال ماذا . قلت اما انت و
 كانك بحرة في ذيل كبش تدل دل هكذا والكبش يمشي

فضحك الطويل وضرب على كتفي وقال غلبتني يا ابن الخبيثة."

رابعا - رويوا ان احدا هسن أعجبت بعقله نحاولت ان تراوده عن نفسه باعتراضها اياه في الشارع إثر خروجه من الكتاب . قالت له ما رايتك يا ابا عثمان لو نتزوج نتجنب ولدا يجمع بين جمال جسي وكمال عقلك فيكون اعجوبة عصره . نسكت الجاحظ واعرق قليلا ثم امسك بلحيته فتره بعدها تطلع فيها وحدجها بنظرة عابرة وقال وهو يمير الطريق . كفك يا هذ وما يدريك لعله يأتي بفتح خلقي وكمال غرورك . ثم سار فما راته بعد.

كل هذه الحكايات تدل دلالة واضحة على قبح جُلُفه سوا في الوجه او في الطول او في مجل التكوين . بعضها قالها بنفسه وبعضها حاكه حوله للناس . والان نتنقل الى وصفه الخلقي بعد ان القينا نظرة على وصفه الخلقي .

كثرة الاخلاق التي اتصف بها الجاحظ والتي برزت واضحة جليلة في كتبه رسائله وما كتبه عنه المحققون . ولو حاولنا الاتيان على جميعها بالسرد وللشرح والتعليق لإحتجنا بكتيب لكتاب كامل . لكننا مراعاة للظروف التي نحن تحت حكمها في هذه الرسالة سنذكر اهم تلك الاحاديث ونقول اهم ما يمكن ان يقال عن ذلك اهم نقط .

١ - عدل الجاحظ = اول خلقى نجب ان نقول فيه هو العدل . هذا الخلق

الذى كاد يسمى بميسمه كل ما ترك الجاحظ من ادب سوا في الدين او في العلم او في غيرها وطبع بطابعه كل ما ورد عنه من روايات سوا في السخرية او في الجد او فيما بينهما . حتى لقد اصبح يخيّل الي انه لا يمكن الفصل بين السنطين " الجاحظ والعدل " - في نقله كان عادلا . فقد نقل عن اعدائه منذ الحواشي وقرظهم في كثير من الاحسان كما نقل عن اصحابه وفرضهم عندما راي ضرورة لذلك . واحسن مثال يمكن اخذه على هذا هو مثال استاذة النظام . والنظام انسان معرض للخطأ كما هو معرض للصواب . عند الخطأ يجب ان يلام منه الى خطاه وعند الصواب يجب ان يشكر ويشار الى صوابه . لا ان يُتغاضى عن جانب موهذ بعين الاعتبار جانب واحد وقع من قلب الكاتب موقع هوى . والا كان ذلك الكاتب ظالما لا عادلا . وسعيد من الجاحظ وصف الظلم . فهو عندما راي في النظام جعيلا لم يتوان ثانية عن منحه رفعة الى عنان السماء .

وفي حين انه عندما وقع له على ما لا يجوز من الغلط لم يحجم عن^١ يسئل سيفه^٢ السيات ويقول انه لم يكن ثقة. هذه كلمة في عدله في النقل الادبي. اما في العلم فلك من تحقيقه الدقيق وخصه بالحقيقة العارية دون سواها ما يبههر العقل خصوصا اذا عرفت ان مثل هذا التحقيق لم يمرنه احد من سابقه او معاصره. ولولا ان لتحقيقه بابا كاملا لافضنا في جريئاته. هذا عن عدله في الادب وفي العلم اما في الدين نيكلي ان نقول انه كان من المعتزلة الذين يسمون اصحاب العدل والتوحيد وكني ان يكون رئيس^٣ الجاحظية تلك الفرقة لا المعتزلة. نحسب بل والمتطرفة في الاعتوال. سئل احدهم لماذا تسمون انفسكم باصحاب العدل. قال لاننا ننفي القضا^٤ والقدر. قال وما شان ذاك بالعدل. قال لانه لا يجوز ان يقال كما تقول الفرق الاخرى ان الله قدر علينا المعاصي ثم يعود ليعاقبنا عليها. لان هذا لا ينجيه من تهمة الظلم. اما نحن فنقول ان اعمال الانسان من خلقه وانه حر في تصرفه بل انه ليس مسؤولا عن كثير من اعماله غير الارادية ولهذا كان اذا ما احطأ هذبه الله كان الله عادلا ولم يكن له على الله حجة في انه ظلمه. لقد اعتنى الجاحظ الاعتزال وتطرف في عقيدة العدل حتى لقد كفره من اجلها الكثيرون من الفقهاء^٥ روموه^٦ في الزندقة. والذي يطالع البغدادي في فترته يرى من انواع السباب والشتائم ما يتقره القلم الاديب عن تكراره.

الا انه يحسن بنا ان نذكر ان عدد الجاحظ لم يكن نظريا سطره^٧ في الكتب وفتره^٨ في الرسائل ليطلع عليه الناس من بعده وهو عنه في عزلة انما كان عمليا عاصر فيه طول حياته. روى ان احدهم جاءه ليشفع به عند حاكم فرفض. وعندما سئل لماذا قال لان الشفاعة لا تخلو من قول زور. والزر^٩ لا شك فيه ضرب من الظلم واخفا^{١٠} الحقيقة. وروا الى جانب هذا حكايات كثيرة اخرى نسكت عنها لان الغرض ليس التعداد بقدر ما هو الاستشهاد.

٢ - كرم الجاحظ = هذا ناني خلق يبرز جليا في كل حياته. الكرم بالرغم من فقره. والكرم بالرغم^{١١} من فقراته. طبع على الكرم والسخا^{١٢} فليس له عنهما احجام. لقد قلنا فيما سبق انه ولد فقيرا. ثم قلنا انه غنى بعد ذلك. فكان علينا ان نسميه من الجماعة الذين يغنون دفعة واحدة. وكان علينا ايضا ان نستنتج كما هو المعروف انه كان بخيلا. لكن الحقيقة غير ذلك. فقد كان كريما وكان يكره البخلاء^{١٣} واليك بعض الشواهد. في اخر رسالة استتجاز الوعد قال (قاتل الله الحرص واخفوى الطمع) وهذا ان دل على شيء فليس الا على ثروة كامنة في نفسه على هاتين النعتين غير عنها بكل هدوء^{١٤} وسماطة^{١٥} بهاتين الجملتين. قد يقول البعض ان هذا كان

ان هذا كان نظريا في حياته وليس له من العملية نصيب .^١ فكثيرا ما اوحى الجاحظ بامور كان هو ابعد الناس عنها - لكن هذا يفسق عندما يعلم هؤلاء البعيران الاولوف المولدة من الدنانير التي جمعها من هدايا كبة وان الضيعة الغنا التي زرع فيها الاراك واهل فيها مع جارية وجارية تخدمها . وان الخادم الذي خدم ذوى البسار واشباه الموك كلها ضاعت هباء - ولكن كيف ضاعت لست ادري . الا انني ادري انه عندما مات مات فقيرا . وانه قبيل ذلك اضطر لان يكسب قوته من عرق جبينه بالتعليم في كتاب . وانه عندما سأل احدكم في اواخر ايامه والعرض يحزنني ضلوعه والده يسرى في عظامه نيكاد يهداها = كيف -الك يا ابا عثمان لم يكن من جواب الا مريض من مكانين من الانسلاسل والديس .

لم يمت الجاحظ فقيرا نحسب . وانما كان مديونا ايضا . مديونا^٢ والله اعلم بكم . ولو كان بخير لما وصل الى هذه الدرجة . فديقال إن ههنا أُمّال و أقوال تُضرب وتقال في مناسبات . يعتمد عليها من يريد وينكر صحتها من يشئ في الار نهاتوا لنا غيرها . الا اننا قبل ان تأتي بنيرها نقول اننا قد تأكدنا من صحة نسبة كل ما مر عن كرمه ومع ذلك خذوا هذا الدليل الثالث . احسن كتاب الجاحظ على الاطلاق واقربها الى روحه وادلها على نفسه هو كتاب البخارة . قال هؤلاء المنكرين نقدم هذا الكتاب . لا لنناقش ونحاور ونبرهن ان الرجل كان كريما بل لتتركم بفروته لوجههم ويغفروا ارائهم بانفسهم . كتاب البخارة هو اعجوبة الدهر في ذم البخر والسخرية من اهله . كتاب البخارة هو السيف الداحل الذي يمكن شمه في وجه كل بخيل ليسكت عن نثرته ويترك الدفاع عن نزعده ان لم يتحوّل نريما . اقرؤا كتاب البخارة .

٣ - حسب الجاحظ للحياة = ثالث ناحية من نواحي خلفه نحب ان نتكلم عنها

هي - ناحية حبه للياة . وهي كما يظهر غامضة يمكن وضع نواحي كثيرة تحتها والكلام عنها جميعا ضئيل . منها مثلا ما يبيح^٣ الزمان ومنها كذلك الميل للتحلل ومنها ايضا الانانية بالاضافة الى المفهوم اوسع من التفتي بالحياة . ومن الاسطر القليلة التالية سنحاول ان نلقى نظرة على كل من هذه وان كانت جميعها يجمعها قولنا = حسب الحياة .

اما ميله للتحلل - وان كانوا لا يقولون تحلا كماه - فهو خلق رماه به اعداؤه لما رأوه من حلمه وسعة صدره واتساع افاق عقله . فهو اذا نفى تحريم انواع الشراب في رسالة التبذ ولم ير بأسا من شربه قالوا هو متحلل من الفيرد الدينية . واذا سجن الى الجوارى واكثر

منهن قالوا هو متحلل من القيود الخلقية . واذا سحر وتهكم قالوا لا وزن للجمتع
 وحدوده عنده . وما دروا ان كل حكيم متزن يقول بما قال الجاحظ يرى بما رأى . هذا من
 ناحية تحلله اما ملايسة دهره نعم اذا راه سائر السلطان وتب يويده قالوا ليس بغريب فهو
 متعلق . واذا جرد قلعه يقول في العامة قالوا هو مداهن لا يثق الا بالاسهم وما دروا ان الحيلة
 ليست وجها واحدا بل ذات وجه وان على الاديب الحق ان يقول فيها كلها . وكأن الاستناذ
 السندي لم يكتف بكل هذه العظاين حتى راج "يضيف الى الحروف نقطها" فيتمه بالانانية . اما
 من اين اتى بهذه الانانية او من ماذا استنتجها او كيف اهتدى اليها فلان بالرغم من اننا طالعا
 اكثر ما بقي لنا من ادبه وما قيل فيه لم نجد لعل هذا رائحة . لكننا نقول ان هذا كان
 استنتاجا شخصيا استنتجه السندي من ابتعاده عن الناس وحلوه للخلوة . فهو لم يقبل
 وظائف الدولة وهو لم يوافق على استشفاع من استشفع به وهو الى جانب ذلك كان ناثرا على
 اكثر النظم ولم ينقدها كأنه لا يرى الا نظامه . نفوس لمن هذه الظواهر التي فادت السندي
 الى استنتاجه . ولو علم صاحبنا ان العالم الحي هو الذي يفعل ذلك واكثر منه اى يعتمد عن
 الناس لخلوا الى كبه لما استنتج ما استنتج ولما قال ما قال . والجاحظ كان عالما وكان ادبيا
 وكان الى جانب ذلك فيها له في الفز نرفة مشهورة . فكيف يكون كذلك وهو اناني . كيف يتبعه
 اصحاب نرفته وهو اناني . وكيف تكون فيه صفة العدل وهو اناني . بل كيف يكون كريما وهو اناني .
 الجاحظ لم يكن انانيا اولا لان المظاهر لا تدل على انانية وثانيا لان احدا لم يذكر ذلك واخيرا
 لان عندنا دلائل كثيرة تدل على العكس .

انما يقال باختصار ان الجاحظ كان يحب الحياة . لكنه لم يكن يحبها كما يحبها غيره الكيرون . اى يفضحها كل شيء في سبيلها . او لم يحبها لانه اضعف من ان يقام مغرباتها
 انما احبها لنزعة فيه تالفة تحكت بعقله واستبدت بكما ما فعل . احبها لانه كان واقعا .
 خياله ضعيف ولذا لم يحلم بمدينة فاضلة . وهقله حفيف ولذا لم يتطرن كثيرا للنظريات البعيدة . هنا
 نعيش . وحسب هذا يجب ان ننكف . لا ان نعيش جسميا في عالم مروجيا في لوج اخر .

٤ - واقعية الجاحظ = هذه الواقعية جاءت الرابعة في العدد الا انها
 في الحق الاولى عندي في الاهمية . وقد سكر الجاحظ كل ما لديه من جسم وهقل روح للعيش
 بحسبها . وقد هيمنت هي عليه فطبع كل حركة وسكة منه بطابعها . الواقعية هي كل شيء

عنده وهي الخاتم الذى تجد اثره على كل ما ترك . في الدين كان واقفيا ولهذا بطلت عنده اولا النظريات الخيالية والاافوال الهوائية التي تعود غيره الصاقها بالدين وحل محلها تعاليم جديدة عملية يتفهمها من يحاول مطالعة تعاليم الجاحظ . ومطلت عنده ثانيا تلك الدرق العقيمة في انبات الدين والدفاع عنه مما كان يسميه (مهارات) وحل محلها المنطق والعقل واستعمال القوى المميزه. والذى يطالع لا كتاباته في الدين نحسب (حجج النبوة) بل وحتى الحيوان وما قيل فيه يتأكد من صدق ما ذهبنا اليه . ادبه كان ادبا واقفيا وعلمه كان علما واقفيا ودينه كان دينا واقفيا وحياته في كل جزئياتها كانت كذلك . اما لماذا ناعتقد لانه سبر الحياة في جميعها ونعيمها واطلع على كل خفاياها .

هـ - هزله وجده = على هذين ~~نظير~~ فطر الجاحظ . ومن الغريب انهما متناقضان وقل ان يجتمع في واحد ما لم يكن من الذين يجمعون المتناقضات . الا ان الجاحظ كان صاحب تضداد وقد جمع بينهما . وعلى هذا فليس من الغريب ان يجمع بين المتناقضات انما الغريب فيه ان يكون مبرزاً في كليهما . فننكة الجاحظ لا يكاد يعدلها نكة وحكمة الجاحظ لها في المناسبات وقع كبير . ونحن نرى ان الجاحظ في طبعه قد رُكِبَ على الجد والمبوس . لان حياته الاولى لا تولد ولا توجي بعمر ذلك . لكنه غني وتيم فيما بعد نجائته الابتسامه والسعور وعندما تطورت به الايام وهرسه السنون وتجمع لديه العناصر صهرهما في اتونه ثم خلق منهما كيانا جديدا هو الكيان الادبي الخاص بالجاحظ الذى يبرز فيه هذان العناصر واضحين . والدليل على هذا ان رسائله الاولى مثل العباسية مقلدا كلها جادة رتيبة لا عبث فيها ولا مداعبة . في حين ان رسائله الوسطى قد طفئت عليها هذه النكهه طغيانا عظيما مثل رسالة الجد والهزل . واذا تقدمنا الى ما الع في شيخوخته ونعني البخلاء والحيوان والبيان وجدنا التوسيع مما قد دمجتا واحسن دمجهما . كثيرون الذين قالوا ان جانب الضحك في خلق الجاحظ اقوى من الجد . واكثر منهم الذين راوا العكس . الاولون يستشهدون بهذه النكات الكثيرة الواردة عنه . ويذكرون هذه الرسائل المضحكة التي خلفها اذا ما طُلب ذلك - في حين ان الآخرين يستشهدون بجمل حياته وهذه الرسائل الدينية الجامدة التي خلفها ايضا اذا ما طلب ذلك . اما نحن فاننا نميل الى الراي الثاني وهو ان الجاحظ كان في مجمل طبعه جادا لكنه كان في كثير من الاحيان (وهو يرفب الناس في برجه العاجي) كان يرى سيرهم على غير هدى وكان يلاحظ حماقاتهم دون ان يدركوا ، فما كان يملك من ان يعود الى دفتره مسطر هذه السخانات ومضحك من هذه الحفافات حتى يكل .

ثم يخسر هذه الكتب فيضحك لها من بعده جميع الناس .

٦ - اخارى اخرى = مثل حلمه ومثل دهائه ومثل اعتداده بنفسه وشروء ذهنه ومثل تواضعه ومثل غيرها كثير نمسك عن الاغاضة فيها ونكفي بالتلميح اليها اولاً لان الظروف لا تساعد وثانياً لانها لم يكن كبير اثر في حياته الخاصة واخيراً لانها لم تبرز واضحة في ابدعه لدوحة نضجنا معها أن نتكلم عنها باسهاب .

هذا هو الجاحظ . الفقير الغني . الحفيظ العظيم . ~~الجهل~~ المكروه المحبوب
الجاهل العالم الذي بكل اختصار جمع المتناقضات ووفق بين الاضداد بل حتى اصطلحت عليه
حتى ^{وعفوا} اضداد الامراض . نعمت رحمه الله ~~نعمه~~ حفظه ~~يا بوسرا~~ الرايم

لظروف فنية قاهرة اضطررنا لاتباع هذا الاسلوب في الاشارة الى المراجع التي
رجعنا اليها في كتابة الفصل الاول من الرسالة . نعتذر والسلام .

صفحة	رقم	مراجع	صفحة	رقم	مراجع
١١	١	سندوي ١٧٢	١٥	١	مج ١٢٦
	٢	ح ٥٤/٧		٢	كامل ٢٨٣/١
	٣	مج مسعودي ٣٨/٨		٣	كرد ٣١٥
	٤	ياقوت ٥٦/٦		٤	ياقوت ٥٦/٦
	٥	وفيات ٥٥٣/١		٥	ابن حنم ١٩٥/٤
	٦	ابو الفداء ٤٩/٢		٦	كورلي زاد ٨٣
	٧	ابن الوردى ٢٣٣/١		٧	طه حسين في " الباهلي "
١٢	١	ياقوت ٢٨/٦	١٦	١	كرد ٣١٥
	٢	سندوي ١٥		٢	كرد ٣٢٤
	٣	ابو الفداء ٤٩/٢		٣	سندوي ١٩٧/١٠
	٤	ابن الوردى ٢٣٣/١		٤	بيان ١٨/٢ ١٥/٣
	٥	بيان ٢٤٢/١	١٧	٥	كرد ٣١٥
	٦	البغدادى ١٦٢		١	سندوي ١٣
	٧	السيوطي ٢٥٤		٢	ياقوت ٦١/٦
	٨	ابن حنم ١١٥/٤		٣	ح ١١٤/٣
١٣	١	ياقوت ٥٦/٦	١٨	١	ح ٦/١
١٤	٥	وفيات ٥٥٣/١	١٩	١	سندوي ١٢
	١	ياقوت ٦٢/٦	٢٠	١	سندوي ١٦٩
	٢	سندوي ١٥		٢	ح ١٣٤/٣
	٣	مقدمة البيان ٢/١		٣	ح ٢٠٢/٢
	٤	مقاييس ١٢	٢١	١	ب ٢٤٣/١
	٥	مقاييس ١٤٨		٢	ح ٥٦/٢
	٦	مقاييس ١٢		٣	ح ١٥/٢

صفحة	رغم	مراجع	صفحة	رغم	مراجع
٢٢	١	ياقوت ٨٠/٦	٢٩	١	كرد ٣١٧
		ونيات ٥٥٥/١		٢	ح ١٥/٧
	٢	ياقوت ٥٦/٦		٣	ح ١٠١/٣
	٣	مقدمة البيان ٦/٢		٤	ح ٤٥/٢
	٦/٤	شفيق ٠٠٠١٠		٥	ح ١٠٠/٣
	٧	مقدمة البيان ٦/٢		٦	ح ٥١/٤
٢٣	١	ياقوت ٧٩/٦		٧	ح ١١٣/٥
	٢	ونيات ٥٤٤/٨		٨	ح ٥٦/٤
	٣	عصر الامون ٤٢٨			صبح ٣١٨/٣
	٤	ياقوت ٥٦/٦		٩	ونيات ٠٠٠
	٥	ونيات ٥٥٤/١	٣٠	٥/١	شفيق ٦٧ ٠٠٠
٢٤	١	سندوي ١١	٣١	٤/١	شفيق ٦٧-٦٨
	٢	مقابسات ٠٠٠١٠		٥	مرئض ٣٠
	٣	البغدادى ١٦٢		٦	ح ٨٣/٢
	٤	ابن شهيد في مبارك		٧	ح ١٠٦/٤
	٥	ياقوت ٥٦/٦	٣٣	١	مقدمة البيان ١٦/١
	٦	كرد ٣١٥	٣٤	١	ياقوت ٧٥/٦
	٧	بخ ١١٤		٢	ياقوت ٧٩/٦
	٨	ياقوت ٥٦/٦		٣	سندوي ١٨٩
٢٥	١	ح ٥/٢		٤	ياقوت ٧٤/٤
	٢	مقدمة البيان ٧/٢		٥	سندوي ١١٢
	٣	ح ١٦٧/٣		٦	ياقوت ٨٠/٦
٢٦	١	ب ٧٠/٢	٣٥	١	ب ٢١١/٣
٢٧	١	٢٢٤/٣		٢	ياقوت ٥٨/٦
	٢	ج ٥٠		٣	ياقوت ٥٨/٦
٢٨	١	ياقوت ٥٦/٦		٤	ننكل ٤٣ ٠٠٠

صفحة	رقم	مراجع	صفحة	رقم	مراجع
٣٦	١	ابن عساكر ٥٢/٦	٤٠	١	سندوبي ٣٣
	٢	مرتضى ٣٨		٢	ياقوت ٦٢/٤
	٣	مرتضى ٣٩		٣	ياقوت ٦١/٦
	٤	كراوس ٦١	٤١	١	ياقوت ٧٥/٦
	٥	مج ٢	٤٢	١	ياقوت ٧٤/٦
	٦	سندوبي ٣٣		٢	ياقوت ٧٣/٦
	٧	حيوان ٠٠٠		٣	ادباء البكوريا " جاحظ "
	٨	كراوس ٢		٤	مج ١٢٦ ٠٠٠
	٩	كرد ٣١٨		٥	ياقوت ٧١/٦
	١٠	نفسه		٦	مج ٨٨
٣٧	٢/١	ياقوت ٥٨/٦		٧	ياقوت ٥٦/٦
	٣	ياقوت ٧٢/٦		٨	مج ٩٠
٣٨	١	سندوبي ٣٣		٩	ابن خلكان ٣٨٨/١
٣٩	١	ياقوت ٧٦/٦		١٠	اول " ابي الجاحظ "
	٢	ب ٢٢٢/٣	٤٣	١	دائرة البستاني " جاحظ "
" ٢ "	٢	ج ١١/٤		٢	نفس المرجع
	٣	ب ٢٢٦/٣		٣	سندوبي ١٦٦
	٤	ب ٢٣٠/٢	٤٤	١	سندوبي ١٧٠
	٥	ج ٤٦/٢		٢	ادباء البكوريا " جاحظ "
	٦	سندوبي ٣٣			
	٧	ج ٨٥/٣			
	٨	ب ١٣٥/٢			
	٩	كرد ٢٨٧			
١٠	١٠	ج ٨/٣			

المصنف البستاني : كُتِبَ الجافّة

١. سرديتهم
٢. تحقيقه في ذيل الرد
٣. وصف الباقيات . ونظرة تقدير

المقالة الاولى في تعداد كتبه..

- ١ - الابل - مذكر في ياقوت ٧٦/٦ . لا مخطوطة . لا مطبوعة . ضاع
- ٢ - ابو النجم (رسالة الى - وجوابه) = ذكره السندوي ٤ . لا مخطوطة . لا مطبوع.
- ٣ - ام السكر (رسالة في -) ذكره ياقوت ٧٨/٦ .
- ٤ - احالة القدرة على الظلم = ذكره ياقوت ٧٧/٦ .
- ٥ - احتجاج البخلاء = ذكر في الحيوان ١٢/٢/١
- ٦ - الاحتجاج لنعم القرآن = ذكر في الحيوان ١ / ٥ / ١ - وطبع في هامش الكامل الثاني بين ١٢٢ و ١٤٦ . قال السندوي ان الباقلي طعن فيه في الاعجاز .
- ٧ - احذوثة العالم = ذكره السندوي ٢ .
- ٨ - الاخبار = ذكر في الحيوان ١ / ٥ / ٦ وفي ياقوت ٧٧/٦ .
- ٩ - الاخبار وكيف تصح = ذكره ياقوت ٧٦ / ٦ .
- ١٠ - الاخطار والتراتب والصناعات = ذكره السندوي ٩.
- ١١ - اخلاق الشطار = ياقوت ٧٨ / ٦ .
- ١٢ - اخلاق الفتيان ونضائل اهل البطالة = التلج ٢/٣/٠ .
- ١٣ - اخلاق الملوك = ياقوت ٧٦/ ٦ .
- ١٤ - الاخلاق الحمودة والاخلاق المذمومة = لم يذكر . توجد منه مخطوطتان الاولى في الموصل رقم ٣/٢٦٤ والثانية في داماد رقم ١٤٩ / ٢ .
- ١٥ - الأخوان = ياقوت ٧٧ / ٦ .
- ١٦ - الادب = العقد الفريد ١ / ٣١١ / ٢٥ .
- ١٧ - الاستبصار والمشاركة في الحرب = ياقوت ٧٨ / ٦ .
- ١٨ - استحقاق الامامة = لم تذكر . منها مخطوطة في الملحق البريطاني رقم ١١٢٩ / ٢٠
- نشرت في ثاني الكامل ٢٢٠/٢١٢ و ٢٦٩ / ٢٩١ . وفي رسائل السندوي ٢٦٠/٢٢٤١
- وفي ريشر ١٦٨ / ١٢٩ .
- ١٩ - الاستطاعة وخلق الافعال = ياقوت ٧٧ / ٦ . والسندوي ص ١١٨ .
- ٢٠ - استطالة الفهم = خفاجي ١٠٤ . منشور في الخفاجي ١٠٤/١٠٤ .
- ٢١ - استبصار الهدى = لم يذكر . منه مخطوطة في الملحق البريطاني ١١٢٩ / ٢١

- ٢١ - منشور في المجموعة ١٧٣ في ١٧٧ وفي ثاني الكامل ٢٢٠ - ٢٢٧ . وفي ريشر
١٩٥ - ١٩٩ . ومخصوصه راجع ص ١٧٥ و ١٧٦ منه .
- ٢٢ - الاسد والذئب = ياقوت ٦ / ٧٨ .
- ٢٣ - الاسماء والكسوف = بيان ١ / ٢٢٢ وكذلك بيان ١ / ١١١ .
- ٢٤ - الاسم والحكم = حيوان ١ / ١٤٩ / ٧ .
- ٢٥ - الاشجار (كتاب في) = كرد على ٤٠٣ .
- ٢٦ - اصحاب الالهام = حيوان ١ / ٥ / ٥ .
- ٢٧ - الاصنام = حيوان = ١ / ٣ / ٥ . راجع السندوي ١١٩ .
- ٢٨ - اصول الدين = ابن خلكان = ٣٨٨ / ١٠ .
- ٢٩ - اصول الفتيا والاحكام (في -) = حيوان ١ / ٤ / ٢٣ .
- ٣٠ - اطعمة العرب = الدائني ٢ / ٤٩ / ٢٩ .
- ٣١ - الاعتزال وفضله = السندوي ١١٩ .
- ٣٢ - اقتنار الشتاء والصيف = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٣ = افعال الطبائع = سندوي ٢٤ .
- ٣٤ - اقسام فضول السلخات و مراتب التجارات = حيوان ١ / ٢ / ٢٠ .
- ٣٥ - الامامة = بيان ٣ / ٢١١ .
- ٣٦ - الامامة على مذهب الشيعة = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٧ - امامة امير المؤمنين معاوية = ياقوت ٦ / ٧٦ .
- ٣٨ - امامة بنى العباس = سندوي ١٢١ / ٧ .
- ٣٩ - امامة ولد العباس = مرج ٦ / ٥٥ / ٧ .
- ٤٠ - امامة الغزنائية = مرج ٦ / ٥٢ / ٢ . راجع ياقوت ٦ / ٧٦ والسندوي ١٢١ . وبروكلمن ١
- ٤١ - امتحان عقول الاولياء = ياقوت ٦ / ٧٦ . وهي رسالة لأبي الفرج .
- ٤٢ - الامثال = ياقوت ٦ / ٧٧ .
- ٤٣ - امر الحكيم = لم يذكر . منه مخطوطة في ميلانو امبروزيانا ن ١٢٩ راجع بروكلمن ١٥
- ٤٤ - الامصار = سندوي ٧ .
- ٤٥ - الامصار وجانب البلدان = مسمودي ١ / ٢٠٦ . راجع بروكلمن ب ٩٠ وسندوي ١٢٤ .

- ٤٦ - الامل والامول = يافوت ٧٨/٦
- ٤٧ - امهات الاولاد = سندويي ٣٣
- ٤٨ - الانس والسلوة = سندويي ٣٤
- ٤٩ - الاوطان والبلدان = ملحق البريطاني ١٥/١١٢٩
- ٥٠ - الاوقات والرياضات = حيوان ٢١/٣/١
- ٥١ - اى القران = يافوت ٧٧/٦ - راجع السندويي ص ١١٧
- ٥٢ - البخلاء = مروج ١٠/٣٤/٨ وكذلك يافوت ٧٦/٦ . طبع باشراف الساسي ثم في دمشق
ثم في دار الكتب ثم في لايدن وترجمه ريشر ٢٧٦-٢٨٨ . راجع كرد علي ص ٤٣٠ واحمد امين
في ضحى الاسلام ص ١٠٧ .
- ٥٣ - بصيرة غنام الرمد = حيوان ٦/٥/٢ يافوت ١٠٠/١٦ والطبوى ١٣/٣/٨ . راجع
رسالة الفتح ابن خاقان اليه في يافوت ٧٥/٦ وكذلك بروكلمن نمره ١٧ ب .
- ٥٤ - البخل = يافوت ٧٥/٦ . قال انه ملحق
- ٥٥ - البلاغة والاعجاز = ملحق البريطاني ١٦/١١٢٩
- ٥٦ - البلدان = يافوت ٧٧/٦ وكذلك بلدان يافوت ٧/٥٩٣/٢ وكذلك سندويي ١٢٥ .
- ٥٧ - بني امية - زيدان ٤/١٦٩/٢ منشورة في رسائل السندويي ٢٩٢-٣٠٠ .
- ٥٨ - البيان والتبيين = مروج ٧/٣٤/٨ يافوت ٧٦/٦ وابن خلكان ١٣/٣٨٨/١ ونصية
السيوطي ص ٢٩٥ . من مخطوطاته في الاسكهرال ٢/٢٢٨ ثم لينغراد ١٥٨ ثم داماد
زادى ١٥١٤ ثم في فاس ١٢٥٢ ثم في الموصل ١/١٥/٢٠٨ . منشور في نسخة
١٣٠١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٤ ، ١٩٢٤ . راجع السندويي ١٢٦ بروكلمان نمره ١
- ٥٩ - بيان مذاهب الشيعة = المجموعه بين ١٧٨ - ١٨٥ ثم ريشر ١٩٧-٢٠٤ .
- ٦٠ - بين الصدق والكذب = حيوان ١٣/٢/١
- ٦١ - التاج = فهرس العقد الفريد لمحمد شفيح ١٢/٢٦/١ . الا ان العقد بذاته لابن عبد
ربه ذكره! لغيره ١٣/٢٨٧/٢ . وهذا الخصوص راجع مقدمة احمد ذكي باشا .
- ٦٢ - التيسر بالتجارة = منشورة في المجمع العلمي ١٢/٢٢٦-٣٥١ . وهذا الخصوص راجع
الكرملي ١٣/٢٨١-٢٩٩ ثم كرد علي ص ٤٣٠ ثم مجلة المجمع العلمي بالشام ١٣/٣٢٦ .
- ٦٣ - تحسين الاموال = سندويي ٤١
- ٦٤ - التريع والتدوير = يافوت ٧٦/٦ . مخطوطة في الملحق البريطاني ٣/١١٢٩ . منشور
في المجموعه ٨٢-١٤٢ وفي هامز اول الكامل ٤٠-٩٧ وفي مثلت فلوتن ٦٨-١٥٧ وفي
رسائل السندويي ١٨٧-٢٤١ وفي ريشر ٢٥٥-٢١٢ .
- ٦٥ - التسوية بين العرب والمجم = يافوت ٧٧/٦
- ٦٦ - تصحيح الاخبار = سندويي ١١٨ . راجع ضنية الامل لاحمد ابن يحيى ٢/٣٨٨٧/٢
وكذلك لفه العرب ١٧٤/٣/٩ وما بعدها وراجع ايضا ريشر ٥٥٢ وما بعدها
- ٦٧ - تصويب علي في تحكيم الحكيم = يافوت ٧٦/٦ . يوجد منه مخطوطة في امبروزيانا في ميلان
نمره ١٢٩ . وخصوصه انظر المجلة الالمانية ٧٧/٦٩ وانظر مقالة جريفي في مجلة
القرن لذكرى المستشرق هارمى ١/٤٠٢-٤١٥ . وقال السندويي ص ١٢٨ انه وجد قسما
منه . ونحن نقول ولعله " امر الحكيم ذاته الذى مر سابقا " .

- ٦٨ - التفاح = سندوبي ٤٤ . ولعله اشجار كرد علي الذي مر ذكره .
- ٦٩ - تفضيل الاعتزال على كل نحلة = حيوان ٢/٥/١ .
- ٧٠ - تفضيل البطن على الدهر = ملحق البريطاني ١٢/١١٢٩ .
- ٧١ - تفضيل صناعة الكلام = فهرست ٢٥/٣٠٠ . فان السمودي لملها العاشية
وهذا الخصوص راجع السنديوي ١١٢ .
- ٧٢ - تفضيل النطق على الصمت = ملحق البريطاني ٢٢/١١٢٩ . منشورة في المجموعة
١٤٨-١٥٤ وفي هامش الكامل الثاني ٢٢٧-٢٣٧ وفي ريشر ١٨٢-١٨٦ . راجع ص ١٤٨
منها . ونحس نقول ولعلها فصل من البيان والتبيين .
- ٧٣ - التفكير والاعتبار = ياقوت ٧٢/٦
- ٧٤ - التمثيل = ياقوت ٧٧/٦
- ٧٥ - تنبيه الملوك = زيدان ٢٣/١٦٨/٢ . السنديوي أسماء - والمكايد ص ١٥٢
- ٧٦ - تنبيه الملوك والمكايد = سندوبي ١٥٢ منه مخطوطة شمسية بدار الكتب ٢٣٥٤ .
- ٧٧ - تهذيب الاخلاق = رأيته في مكتبة الجامعة اليسوعية معنونا باسم الجاحظ .
- ٧٨ - الجد والهزل = ملحق البريطاني ١٣/١١٢٩ وداماد ٦/١٤٩ والموصل ٩/٢٦٥ .
- نشره كراوس ٦١-٩٩ . اسماء السنديوي المن والجد ص ١٢٩ .
- ٧٩ - الجز الذي لا يتجزأ = سندوبي ٧٨ .
- ٨٠ - جمهرة الملوك = ياقوت ٧٢/٦ .
- ٨١ - الجوابات = حيوان ٥/٥/١
- ٨٢ - جوابات المعرفة = ياقوت ٧٢/٦ .
- ٨٣ - جوابات في الامامة = ملحق البرستاني ٢٦/١١٢٩
- ٨٤ - الجوارح = بيان ٨٠/١ .
- ٨٥ - الجوارى = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٨٦ - الحاسد والحسود = ياقوت ٧٦/٦ . الملحق البريطاني ١/١١٢٩ . نشر في المجموعة
٢-١٣ وفي هامش الثاني ٢-١٦ وفي ريشر ١٨٠-١٨٢ . راجع ص ٢ منه .
- ٨٧ - حانوت عطار = ياقوت ٧٢/٦
- ٨٨ - الحجاب = طراز الخفاجي ٧٣ . مخطوط في داماد ١٢/١٤٩ والموصل ١٠/٢٦٥
منشور في طراز الخفاجي ٢٣-١٦٥ وسائل السنديوي ١٣٥-١٦٨ ريشر ٥٣٣-٥٥٠ .

- ٨٩ - الحجاب وذمه = هكذا اسماء السندوي ١٥٥ .
- ٩٠ - الحجات = سندوي ١٢٩
- ٩١ - حجة او حجج النبوة = ملحق البريطاني ٨/١١٢١ . منشور في هامر الاول ٢٩٦-٢٧٥ وفي هامر الثاني ١-١٢٢ وفي رسائل السندوي ١١٢-١٥٤ وفي ريشر ١١٢-١٥٩ .
- ذكر في الحيوان باسم الحجة في تثبيت النبوة ١/٥/٥٠ . راجع كرد علي ٤٣٨
- ٩٢ - الحجر والنبوة = ياقوت ٧٢/٦ .
- ٩٣ - الحنم والحنم = سندوي ٥٨
- ٩٤ - حكاية سر قول العثمانية والضرارية = حيوان ٥/٦/١ .
- ٩٥ - حكاية عثمان الخياط في اللصور ووصاياه = موصل ١/٢٦٥ .
- ٩٦ - حكاية اصناف الزيدية = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٩٧ - الحلبة = سندوي ١٦٠
- ٩٨ - الحلبة = سندوي ١٣٠ .
- ٩٩ - الحلبة = ياقوت ٧٨/٦
- ١٠٠ - الحنين = فهرست ٢٣/١٥٥ . ذكره على انه لغيره . ٧/٧٨
- ١٠١ - الحنين الى الاوطان = منشور في القاهرة سنة ١٣٣٣ . راجع ص ٤ منها .
- ١٠٢ - حيل صراق الليل = بخلاء ٢/١
- ١٠٣ - حيل لصور النهار = بخلاء ٣/١ .
- ١٠٤ - حيل اللصور = حيوان ١٠/٢/١ وبنغدادى ٨/١٦٢ . راجع ما قال البنغدادى .
- ١٠٥ - حيل الكسدين = بنغدادى ١٣/١٦٢ .
- ١٠٦ - الحيوان = بيان ٦٠/١ ، ١٣٨ . بيان ٣/٣٢٣ . مرق ٨/٣٤/١٠ . ياقوت ٧٥/٦
- ابن خلكان ١٢/٣٨٨/١ . بخية السيوطي ص ٢٦٥ . مخطوط في عاشر ائندى ٥٨٤ وكذلك في عاشر ائندى ٨٢٦ . منشور في القاهرة ١٣٢٥ . راجع ما قاله عنه هو٥٥٠ بالانرافة الى ما قال السندوي ١٣١ وكرد علي ٤٢٣ و ٤٦٤ و بروكلمن نمرة ٢ .
- ١٠٧ - خلق الفران = حيوان ٢١/٤/١ .
- ١٠٨ - الخراج = ياقوت ٧٥/٦ قال انه ملحق .
- ١٠٩ - خصومة الحول والعمور = ياقوت ٧٨/٦ . اسماء السندوي-النول والدور .
- ١١٠ - دلائل النبوة = ياقوت ١٦/١٠١ . راجع حجج النبوة .

- ١١١ - الدلائل والاعتبار على الحل والتدبير = منشور . راجع بخصومه كرد علي ٤٢٨
- ١١٢ - الدلالة على ان الامامة نور = ياقوت ٧٦/٦
- ١١٣ - ذكر ما بين الزيدية والرافضة = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١١٤ - ذم الكتاب = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١١٥ - ذم اخلاق الكتاب = داماد ٣/٩٤٩ والموصل ١٣/٢٦٥ منشور في فنكل ٤٠-٥٢
- وفي ريشر ٦٢-٧٨ .
- ١١٦ - ذم الرضا = ياقوت ٧٢/٦
- ١١٧ - ذم العلم ومدها = ناتج ٣٣٩٨ و (م.ف.و.) ٥٠١/٥
- ١١٨ - ذم القواد = داماد ١٠/٩٤٩ راجع صناعات القواد .
- ١١٩ - ذم اللواط = بغدادى ٩/١٦٢ منشور في هامر الاول ٣١-٤٠ . وفي ريشر ١٠X الح .
- ١٢٠ - ذم التبسيد = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٢١ - ذم الوراق = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٢٢ - ذم الرافة = سندوي ٧١ .
- ١٢٣ - ذم العاهات = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٢٤ - الرافضة = مجموعة ١٨١ . ولعله ذكر ما بين الزيدية والرافضة .
- ١٢٥ - الرجل والمرأة = حيوان ١٦١/١ .
- ١٢٦ - الرد على اصحاب الالهام = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٢٧ - الرد على الجهمية في الادراك = حيوان ٧/٥/١ .
- ١٢٨ - الرد على العنانيه = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٢٩ - الرد على القويله = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٣٠ - الرد على المشبهه = حيوان ٢٢/٤/١ . وياقوت ٧٦/٦ .
- ١٣١ - الرد على من الحد = ياقوت ٧٢/٦ .
- ١٣٢ - الرد على من الحدي في كتاب الله = سندوي ١٣٢
- ١٣٣ - الرد على من رم ان الانسان جز لا يستجزا = سندوي ٧٨ .
- ١٣٤ - الرد على النصارى = ياقوت ٧٦/٦ . منشور في هامر الثاني ١٤٨-٢١٩ وفي رسائل فنكل ١/٣٩ وفي ريشر ٤٠-٦٢ . ومخطوط في البريطاني باسم رد النصارى ١/١١٢٩ .

- ١٣٥ - الرد على اليهود - يافوت ٧٧/٦ .
- ١٣٦ - رسائل متعددة = حيوان ٢٢/٣/١ .
- ١٣٧ - الزرع والنخل = بيان ١٦٣/١ .
- ١٣٨ - الزرع والزيتون والأعناب = حيوان ١١/٢/١ .
- ١٣٩ - سحر البيان = زيدان ٢٥/١٦٨/٢ . مخطوط في كوبري ١٢٨٤ راجع (م. ١٠٩٠) ١٣٤/٧ .
- ١٤٠ - السلطان وأخلاق أهله = يافوت ٧٧/٦ .
- ١٤١ - سلوة الحريف بمفاخرة الربيع والخريف = منشور بحلب .
- ١٤٢ - الشارب والمنشروب = يافوت ٧٦/٦ . ملحق البريطاني ٢٨/١١٢١ . منشور في ثاني الكامل ٢٥١-٢٦١ وفي رسائل السندوي ٢٧٦-٢٨٤ . وفي ريشر ١٦٣-١٦٨ .
- ١٤٣ - السكر = صبح الاعشى ١٧٤/١٤-١٨١ .
- ١٤٤ - الشعوبية = بخره ٣٦٧ ، ٣٧٤ . ولعلها تلحج لما جاء في البيان والتبيين الثالث .
- ١٤٥ - السرحاء والهجناء = مجموعته ٥٤ . حيوان ١٥/٢/١ . حيوان ١٢/١١٦/٣ . يافوت ٧٧/٦ .
- ١٤٦ - صناعات الفواد = الخفاجي ٦٧ . منشور في الخفاجي ٦٧-٧٢ وفي رسائل السندوي ٢٦٦-٢٦٧ وفي ريشر ٥٢٧ وما بعدها . بخصوصه راجع لغة العرب ٥/٢١٤ .
- ١٤٧ - صناعة الكلام = منشور في هامر الثاني ٢٣٨-٢٦٥ وفي ريشر ١٥٩-١٦٣ . قال بروكمن وتسمى أيضا في فضيلة - . وسأها المسمودى تفضيل - .
- ١٤٨ - صياغة الكلام = يافوت ٧٦/٦ .
- ١٤٩ - الصوالج = يافوت ٧٧/٦ .
- ١٥٠ - الطب = فهرست ٣٠٠/٢٤ .
- ١٥١ - الطبائع = يافوت ١٥/٩/٥ .
- ١٥٢ - طبائع الحيوان = بخدادى ١٦٢ .
- ١٥٣ - صفات المغنين = زيدان ٦/١٦٩/٢ . ملحق البريطاني ٥/١١٢١ منشور في أول الكامل ١٢٠-١٣٠ وفي المجموعه ١٨٦-١٩٠ . وفي ريشر ٢٠٤-٢٠٦ .
- ١٥٤ - الطيّلين = مروج ١٠/٣٤/٨ . يافوت ٧٦/٦ .
- ١٥٥ - العالم والجاهل = يافوت ٧٨/٦ .
- ١٥٦ - المباسيه = حيوان ١٤/٦/١ . منشورة في رسائل السندوي ٣٠٠-٣٠٣ . يقول

١٥٧ - العبر والاعتبار = ملحق البريطاني ١٨٤ .

١٥٨ - العثمانية = مرقى ٠٨/٥٦/٦ منشورة في رسائل المسندوي ١٣/١ . راجع سندويي ١٣٤

١٥٩ - العداوة والحسد = نشرها كراوس ١٩-١٢٤ . وطبعتم في لايدن .

١٦٠ - العرافة والزجر على مذهب الفرس = زيدان ٢/١٦٩/٢ . مطبوعة في لايدن سنة ١٢١٠

١٦١ - العرب والعجم = حيوان ٣/٣/١ .

١٦٢ - العرب والموالي = حيوان ١/٣/١ .

١٦٣ - العرجان = بيان ٤٢/٣ .

١٦٤ - العرجان والبرصان = يافوت ٧٦/٦ .

١٦٥ - العرجان والبرصان والفرعان = بغية السيوطي ص ٢٩٥/٢

١٦٦ - العرس والعروس = سندويي ١٢٩

١٦٧ - العشق والنساء = ملحق البريطاني ٦/١١٢٩ منشورة في المجموعة ١٦١-١٦٩ .

وفي هامش الثاني ٣٠-١٦٦ . وفي رسائل المسندويي ٢٦٦-٢٧٥ ويشر ١٨٨-١٩٤ .

١٦٨ - عصام العريد = يافوت ٧٦/٦ .

١٦٩ - العقو والصفح = يافوت ٧٨/٦ .

١٧٠ - عمروا (نيمن يسمى من الشعراء -) = يافوت ٧٨/٦ . يشك بولكن فيما اذا كان

هو نفس كتاب محمد بن داود الجراح ص ٢٢٥ .

١٧١ - عناصر الادب = سندويي ٩٨ .

١٧٢ - غنى الصناعات = حيوان ١٠/٢/١ . يافوت ٧٨/٦ . بخدادى ١٦٢/٩ .

١٧٣ - الغيرة - حيوان ١٤/٢/١ .

١٧٤ - الفتيان = يافوت ٧٦/٦ . بخدادى ١٦٢

١٧٥ - الفتيان = يافوت ٧٦/٦ .

١٧٦ - فخر السودان والبيضان = داماد ٥/٩٤٩ . الموصل ٦/٢٦٥ . منشور في المجموعة

٨٢/١٤٧ . وشك فلوطن ٨٦-١٥٧ ويشر ٢١٠-٢١٢ .

١٧٧ - فخر هاشم وعبد شمس = سندويي ١٠٢ .

١٧٨ - الفخر بين عبد شمس ومخزوم = يافوت ٧٦/٤ . راجع سندويي ١٠١ .

١٧٩ - فخر القحطانية والمدنانية = يافوت ٢٦/٦ . سهاها في المجموعة ص = ٨١ فخر

عدنان على قحطان .

- ١٨٠ - فرط جهل يعقوب بن اسحق الكندي = ياقوت ٧٨/٦ .
- ١٨١ - الفرس على الهملج = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٨٢ - الفرق ما بين النبي والمنتبي = حيوان ٨/٥/١ . سماها ياقوت النبي والمنتبي ٧٦/٦ .
- ١٨٣ - الفرق في اللغة = قروان فاس ١٢٦١ . مجلة المعارف ٥٢/١٤ .
- ١٨٤ - الفرق ما بين الجن والانس = حيوان ١٨٧٢/١ .
- ١٨٥ - الفرق ما بين الحيل والمخارق = حيوان ٥/٥/١ .
- ١٨٦ - الفرق ما بين الذكور والاناث = حيوان ١٥/٢/١ .
- ١٨٧ - الفرق ما بين الملائكة والجن = حيوان ١٨/٣/١ .
- ١٨٨ - فضل اتخاذ الكتاب = سندويي ١٠٧ .
- ١٨٩ - الفضل ما بين العداوة والحسد = موصل ٨/٢٦٥ . ولعلها العداوة والحسد .
- ١٩٠ - فضل الفرس = ياقوت ٧٧/٦ .
- ١٩١ - فضل الفرس على الهملج = سندويي ١١٠ .
- ١٩٢ - فضل العلم = ياقوت ٧٦/٦ .
- ١٩٣ - فضل الموالي على العرب = عقد ج ثاني ٢٥/٧٤/٢ . ومخداي ٢/١٦٢ .
- ١٩٤ - فضل هاشم على عبد شمس = منشور في رسائل السندويي . ١١٦-١٢٧ .
- ١٩٥ - فضيلة المعتزلة = ياقوت ٧٦/٦ . قال السندويي وهو الذي رد عليه ابن الرواندي بكتاب فضيحة المعتزلة ص ١١٩ . وقد ذكره ايضا الخياط في الانتصار ٦/١٦٤ .
- ١٩٦ - فضيلة الكلام = فهرست ٢٤/٣٠٠ . كتابه الذي يدعى فيه ٢٧١ .
- ١٩٧ - فضيلة صناعة الكلام = ملحق البريطاني ٢٣/١١٢٩ .
- ١٩٨ - فنون شتى مستحسنة = داماد وادي ١٢٥/٨٥ .
- ١٩٩ - الفجاء والكذاب واللاطف = بسندادي ١٢/١٦٢ .
- ٢٠٠ - الفطائية والمعدنانية في الرد على الفطائية = حيوان ٢٣/٢/١ ومخداي ٢٣/١/١٦٢ .
- ٢٠١ - القضاء والولاة = ياقوت ٧٨/٦ .
- ٢٠٢ - الفلم ياقوت ٧٧/٦ .
- ٢٠٣ - القواد = ياقوت ٧٦/٦ .
- ٢٠٤ - القواد واسباب الصناعات = سندويي ١٣٩ .
- ٢٠٥ - القول في البغال ومنافعها = داماد ابراهيم ١٦/٩٤٩ . والموصل ١٤/٢٦٥ .

- ٢٠٦ - القيان = داماد ابراهيم ١٤/١٤٩١ منشورة في رسائل ننگل ٥٣-٧٥ . ريشر ٧٨-١٠٠
- ٢٠٧ - الكبر المستحسن والمستفح = سندويي ١١٩ .
- ٢٠٨ - كمان السر = يافوت ٦/٧٢ .
- ٢٠٩ - كمان السر وحفظ اللسان = داماد ٣/١٤٩١ والموصل ٤/٢٦٥ . منشورة في كراوس
- ٢١٠ - الكرم = يافوت ٦/٧٨ . راجع لغة العرب جلبي ٨ سنة ١٩٣٠ . بروكلمن ٤٣ .
- ٢١١ - الكيما = يافوت ٦/٧٨ .
- ٢١٢ - اللاشي والمتاشي = سندويي ١٤٩١ .
- ٢١٣ - اللصوص = يافوت ٦/٧٦ . بلدانه ٤/٢٣١/٢١ . ويغدادى ١٦٢ .
- ٢١٤ - مئة امثال علي = برلين ٧/٨٨٥٦ . ثم برلين ٧/٨٢٥٧ . يقول بروكلمن انه طبع في صيدا سنة ١٣٤١ . وانه املاء في اواخر ايامه لتلميذه احمد بن زاهر . وان محمد بن عبد الرشيد نقله للفراسية .
- ٢١٥ - ما بين الرجال والنساء = حيوان ١/٢/٢٠ .
- ٢١٦ - ما بين الخوالة والعميه = حيوان ١/٢/١٩ .
- ٢١٧ - الحاسن والاضداد = منشور في مصر وارويا .
- ٢١٨ - المخاطبات = في التوحيد = يافوت ٦/٧٦ .
- ٢١٩ - المختار من كلام ابي عثمان = برلين ٥٠٣٢ .
- ٢٢٠ - مدح التجارة وذم اعمال السلطان = ملحق البريطاني ٢٤/١١٢٩ . منشور في هامش الثاني ٢٤٦-٢٥٠ . وفي المجلد ١٥٥-١٦١ . وفي ريشر ١٨٨-١٨٨ .
- ٢٢١ - مدح الكتاب = يافوت ٦/٧٨ . اشك في التهجئة
- ٢٢٢ - مدح الكتب والحض على جمعها = عاشر القدى ٥/١٤٤/٧ . راجع المجلة الاسيوية الالمانية ج ٦٨ ص ٣٨٩ . ثم راجع صفحة ١٤٤ من بروكلمن نكرة ٧ .
- ٢٢٣ - مدح النبيل = يافوت ٦/٧٢ .
- ٢٢٤ - مدح النبيل وصفه اصحابه = بريصاني ٤/١٩٢٩ . قال بروكلمان انها رسالة الى الحسن بن وهب وانها منشورة في اول الجامل ٩٧-١٢٠ . وفي رسائل السندويي ٢٨٥-٢٩١ . وفي ريشر ١١١ وما بعدها .
- ٢٢٥ - مدح الهراق = يافوت ٦/٧٨ .
- ٢٢٦ - المزاج والجند = يافوت ٦/٧٢ .

- ٢٢٧ - المسائل (كتاب) بخلاف ٦/١٠ . حيوان ١/٥/١ .
- ٢٢٨ - المسائل في القرآن = ياقوت ٦/٢٦ .
- ٢٢٩ - مسائل القرآن = نهريست ١٤/٣٨ .
- ٢٣٠ - مسائل العنمانية = مرج ٦/٥٢/٦ .
- ٢٣١ - مسائل المعرفة = ياقوت ٦/٢٦ .
- ٢٣٢ - مسائل وجوبات في المعرفة = ملحق البريطاني ١١/١١٢٩ .
- ٢٣٣ - المضاحك بغدادى ١٥/١٥٨ . اللهم
- ٢٣٤ - المعاد والمعاني = ياقوت ٦/٢٧ . مخطوط في ملحق البريطاني ١٢/١١٢٩ وفي داماد ١٤٩/٤ . وفي الموصل ٥/٢٦٥ . نشرها بول كراوس في مجموعته .
- ٢٣٥ - المعادن وبافي جواهر الارض = حيوان ١٤/٣/١ .
- ٢٣٦ - معارضة الزيدية = حيوان ١/٥/٢ .
- ٢٣٧ - المعارف = بغدادى ١/١٣٣ .
- ٢٣٨ - المعرفة = ياقوت ٦/٢٦ .
- ٢٣٩ - المعلمين = ياقوت ٦/٢٦ . ملحق البريطاني ٢/١١٢٩ . منشورة في هامش الاول ١٧-٣٢ . ويرى ١٠١-١٠٨ بحث عنه الاستاذ هرنستفيلد في الدراسات الشرقية لذكرى براون . ص ٢٠٠ وما بعدها ومنها مخطوطة اخرى في الموصل ١٢/٢٦٥ .
- ٢٤٠ - المغنين = ياقوت ٦/٢٨ .
- ٢٤١ - المغنين والغناء والصنعة = ياقوت ٦/٢٢ .
- ٢٤٢ - مفاخرة الجوارى = داماد ١٣/٩٤٩ .
- ٢٤٣ - مفاخرة الغلمان والجوارى = موصل ١١/٢٦٥ /ملاحة/الله
- ٢٤٤ - مفاخرة السودان والحرمان = حيوان ١/٢/١٨ .
- ٢٤٥ - مفاخرة السودان والبيضان = ياقوت ٦/٢٧ .
- ٢٤٦ - مفاخرة القحطانية /السكانية و سائر المدنانية = بغدادى ١٦٢ . في المجموعة سماها الجاحظ نفسه مفاخر القحطانية . ص ٨١ .
- ٢٤٧ - مفاخرة المسك والرماد = سندوبي ١٤١ .
- ٢٤٨ - مقالة الزيدية والرافضة = ملحق البريطاني ١١/٢٣ . منشورة في هامش الثاني ٢٩١-٣٠١ .

- ٢٤٩ - مقالة العثمانية = ابن هكيبه ٧ وما بعدها . مخطوط في الملحق البريطاني ١٠/١١٢٩ .
وفي كوبرلي زاده ٨١٥ . لخصها السنديني في رسائله ١-١٢ . ورد عليها ابو جعفر الاسكاني راجع المجلة الاسيوية الالمانية ٣٩١/٦٨ راجع ايضا مجلة اسلاميكه .
- ٢٦/١٨ . قال بروكلمن - سميت كذلك لانه دافع فيها عن موقف العثمانيين في الامامة
- ٢٥٠ - المكتابه (رسالة الى ابراهيم بن المدبر-) = ياقوت ٢٦/٦ .
- ٢٥١ - المكيد = زندان ٢٣/١٦٨/٢ .
- ٢٥٢ - الملح والظرف = حيوان ١١٧٢/١ .
- ٢٥٣ - الملوك والام السالفة والباقية = ياقوت ٢٨/٦ .
- ٢٥٤ - من ابن وجوب الامامة = حيوان ١٤/٦/١ .
- ٢٥٥ - مناقب جند الخلافة = ياقوت ٢٦/٦ .
- ٢٥٦ - مناقب الترك وهامة جند الخلافة = ملحق البريطاني ٢/١١٢٩ داماد ٢/١٤٩٩ باريس ٦٠١٨ موصل ٠٢/٢٦٤ منشورة في فلوتن ١-٥٦ . وفي المجموعة ٢-٥٤ وفي هامض الناني ١٦٦-٢٢٥ . وفي ريشر ٢٠٢-٢١٠ .
- ٢٥٧ - الموالي = العقد الفريد ١/٢٦٩/٣ .
- ٢٥٨ - الموالي والعرب = العقد الفريد ٢/٩٢/٠٨ .
- ٢٥٩ - موت ابي حرب الصنار البصري = ياقوت ٢٨/٦ .
- ٢٦٠ - المودة والخلافة = ملحق البريطاني ١٩/١١٢٩ . منشورة في رسائل السنديني ٣٠٣-١٠ .
- ٢٦١ - الميراث = ياقوت ٢٨/٦ .
- ٢٦٢ - النابتة = كرد ٢٦٠ مخطوطة في داماد ١١/١٤٩٩ . طبعها فولتن . ومن اجلها راجع هوتسمن في (ز . ١٠) ج ٢٦ ص ١٨٦ راجع مقال رتر في مجلة اسلاميكا
- مج ١٨ ص ٣٦ . راجع كذلك لود جليبي في لغة العرب ج ٨ سنة ١٩/٢٠ . راجع كذلك فولتن في مجموعة المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين الدولي في القسم الثالث ص ١٥٥ .
- ٢٦٣ - الناشي والتلاشي = ياقوت ٢٢/٦ .
- ٢٦٤ - النبيل والتنبيل = وذم الكبير = ملحق البريطاني ١٨/١١٢٩ . منشورة في هامض الناني بين ١٨٤-١٩٩ .
- ٢٦٥ - النبي والنتبي = ياقوت ٢٦/٦ .
- ٢٦٦ - النبيذ = كرد علي ٣٨٠ .

- ٢٦٧ - الترد والشرطي = يافوت ٧٨/٦ .
- ٢٦٨ - النساء = يافوت ٧٥/٦ . ملحق البريطاني ٥/١١٢٩ .
- ٢٦٩ - النصراني واليهودي = حيوان ٣/٥/١ .
- ٢٧٠ - نظم القرآن = يافوت ٧٦/٦ . نهريست ١/٣٨ .
- ٢٧١ - الفعل = سندويي ١٥٢ .
- ٢٧٢ - نفي التسبيح = داماد ٩٤٩ راجع (م.ف.و.ج) ٥ ص ٥٢٩ مسطوطة اخرى موصل ٢/٢٦٥
- ٢٧٣ - نفي التشبيه = موصل ٦/٢٦٥ .
- ٢٧٤ - نفى الطب = نهريست ٢٤/٣٠٠ . ابن القفطي ١٨/٢٧٤ ابن ابي اعبيد^{١٦٩} ١/٢٢
- قال ابن القفطي ان الرازي نفذه وان الاصنهاي فعل مثل فعله .
- ٢٧٥ - نوادر الحسن = يافوت ٧٦/٦ .
- ٢٧٦ - نوادر المعلمين = مستطرف الاشيهي ٣٣/٢٢٦/٢ .
- ٢٧٧ - النوايس بخدادى ١٠/١٦٢ .
- ٢٧٨ - الهانسيات (رسائل-) = حيوان ١/٤/١ .
- ٢٧٩ - الهدايا = يافوت ٧٧/٦ . قال انه منحول .
- ٢٨٠ - وجوب الامامة = يافوت ٧٦/٦ .
- ٢٨١ - وصف النبيذ وصفه اصحابه = سندويي ١٥٠ .
- ٢٨٢ - وصف العوام = الخفاجي ١٧٥ . منشورة في ريشر ٥٥٠ وما بعدها .
- ٢٨٣ - الوكلاء والمتوكلين = يافوت ٧٦/٦ . ملحق البريطاني ١٤/١١٢٩ . منشورة في هامنر
- الثاني ٢٢٠-٢٢٧ وفي المجموعة ١٧٠-١٧٣ . وفي ريشر ١٩٤-١٩٩ .
- ٢٨٤ - الوعد والوعد = حيوان ٢/٥/١ . سماء يافوت الوحيد نقط ٧٦/٦ .
- ٢٨٥ - اليتيم = السندويي نقلا عن طراز الخفاجي ص ١٥٩ .

- المقالة الثانية - تحقيق في تعداد كتبه -

x-x-x-x-x-x

لقد اختلف المهتمون بالأمر اختلافاً بَيِّنًا في العدد الصحيح الذي خلفه الجاحظ من الكتب والرسائل . فابن سبط الجوزي في القرن السابع للهجرة قال = رأيت كتب الجاحظ على مرأى من أبي حنيفة النعمان وكان عددها يتجاوز الثلاثمائة . ثم تناولت الروايات على إثر هذه كل منها يوئيد مقدار تحقيق صاحبه . فذكر علي قال = ترك الجاحظ ٣٦٠ كتابا . وأحمد زكي قال بل ترك ٣٥٠ . وتنازل الاستاذ النشاشيبي الى ٣٥٠ . في حين فر فرار . وكلمان على ١٧٤ . أما السندوقي فلم تتسع ذمته العلمية لأكثر من ١٥٩ - . أما نحن فلنا في الموضوع عدد آخر يختلف عن هؤلاء . تمام الاختلاف سنراه عما قريب . وهكذا تختلف الأعداد بالاختلاف اصحابها ومقدار بعدهم أو تُرجم من التحقيق العلمي الصحيح .

ونعتقد ان السبب في كل هذا الاختلاف راجع الى ارسع ظواهر -
الاولى كتابة باسم غيره . الثانية تسمية عدة كتب من كتبه باسماء مختلفة .
الثالثة كتابة غيره باسمه . الرابعة ضياع عدد آخر من كتبه .

- اولا الكتب التي كتبها باسم غيره -

x-x-x-x-x-x-x

هذه الظاهرة - نعتي استفادة ناشئٍ وصغار الكتاب من اسماء من سبقوهم الى عالم الشهرة ودينا الجدد - كانت فاشية في صفوف ادباء العباسيين على العموم^(١) . وقد عِيلَتْ كثيرا أيام النزاع بين المرويين والشموسيين . ولا تزال مُتَبَعَةً مُعَالَةً حتى يومنا هذا . وآخر ما اذكر عنها ما قرأته مؤخرًا في الكشف من ان كاتبين شهيرين من كتاب العصر الحاضر لم يشتهرا الا باسمين قديمين .

على كل امتثل الجاحظ - وخصوصا في مطلع حياته الادبية - هذه الظاهرة وراح يؤلف الكتب في شتى الاغراض وينحلها امثال ابن المقفع وسهل بن هرون والخليل بن احمد وغيرهم . وقد اشار الى هذا هو بنفسه في

الرواية

... فاصحح باسم غيره ... مثل ما به المقترح ...
 البديهة والحد الحيوان حيث قال = وايد ذات الرواية السمودي في تنبيه الاشراف حيث نقلها معلقا عليها بالايجاب .

اما ما هي تلك الكتب التي كتبها باسم غيره ، والتي لا بد وان تكون قد سقطت من القوائم التي جُمِعتْ باسماء كتبه ، والتي يجب على الباحث المدقق ان يعثرها ويضعها الى تلك القوائم تقريبا من الحق - فمن الصعب جدا معرفتها . والسبب من ذلك هو أن الكتب التي خَلَّفَهَا هؤلاء الناس اولا قليلة وثانيا معروفة وثالثا لا سبيل للشك في صحتها . ولهذا نعود لنقول تفسيرا وتوضيحا لما قال الجاحظ = ان تلك الكتب النسبوية الى غيره مله اشار البوم لا بد وان تكون قد ضاعت مع الكثير غيرها مما قد ضاع .

- ثانيا - الكتب المفردة ذات الاسماء المتعددة -

————— x-x-x-x-x-x-x —————

وهذه ظاهرة ثانية عطلت عقلها في تشويش الانتكار واضطراب الارحام التي أوردت حصراً الكتب الجاحظ . وهي ظاهرة كانت معروفة في عصره ومُتَّبَعَةٌ فيها بعده أيضا . ولعل للسُّهولة وحب الاختصار اخرى او تسمية الكتب بأهم موضوع فيها (وهذا الموضوع يختلف طبعا حسب رأى القارى) بالاضافة الى عوامل التصحيف والتجريف وتبديل اماكن الكلمات واستعمال حرف بدل حرف او كلمة بدل كلمة او زيادة كلمة او تنقيص كلمة او الاهتمام بمسمى العنوان دون التقيد بنصه او غيرها كثير دخلا في الموضوع كما سنرى . ويلمنا هنا تصفية حساب هذه التشويشات ومعرفة اسماء الكتب كما هي أو على الاقل كما يجب ان تكون . لنكون على بينة من حقيقة الامر .

ولكن يحسن بنا قبل البدء - أن نشير الى أن هذه الظاهرة لم تلعب في كتب الجاحظ وحدها وانما لعبت في غيرها كثير . ويكفي ان نورد مثالين فقط املهما كتاب ياقوت = فقد ورد باسم "إرشاد الاديب" المعروفة الاديب . وورد ايضا باسم "معجم الادباء" وورد ايضا باسم "طبقات الادباء" وكذلك باسم "معجم ياقوت" .

وبما ان ياقوت لم يترك كتاب واحد بخصوص الادب - لذا لزم ان تتفاضل عن كل هذه التسميات المختلفة ، وتأخذ بالجوهر الاصيل فنقول ان ياقوت كتبها واحدا فقط موضوعة كذا وكذا . وتانيهما القرآن الذي لم يصل من هذه التفسيرات الطائفة . فالقرآن يعرف اولا بالقرآن ، وتانيا بالقرآن ، وثالثا بالمصحف ورابعا بالكتاب الكريم . وبغيرها كثير يعرفه مشايخ الازهر اكثر من معرفتي .

نعم الان لنرى ما هي الكتب المفردة التي عرفت باسماء متعددة لنبحث اولا في ما هي الاسم المفرد . وتانيا لماذا لا نقبل غيره . واخيرا نجعل ونطرح لنقف على الصافي بخصوص هذه المشكلة .

عقد / ٢٥ / ٣٠ / سنديوي . x x زيدان وكوپرلي - برلين
١ - الادب ، عناصر الادب ، البيان والتبيين ، سحر البيان ، المختار من كلام ابي عثمان الجاحظ

من هذا المرض السريع لهذه الاسماء نستنتج : اولا . ان العادة التي يدور عليها الجميع هي تانيا - ان بعضها ذكر ذكرّا وليس له مخطوطات في حين ان الثانية لها مخطوطات وليس لها ذكر .

واخيرا ان هناك واحدا له ذكر وله مخطوطات وهو معروف مشهور ويمكن ان يحويها جميعا . لذا نميل الى القول بان هذه جميعها اسماء مفردة عن البيان والتبيين " الذي مداره الادب وما اليه . " اما عناصر الادب " فلم يرد له ذكر الا في السنديوي . والسنديوي طبعا لا يمكن اعتباره ما دام محدثا وما دام لم يذكر مصادر لهذه التسمية .

في حين ان " المختار " له مخطوطة في برلين ولكنه لم يذكر في المصادر . واخيرا لم نجد لنا الجاحظ ان يجمع مجموعات من كلامه وينشرها في كتاب خاص . ولهذا نقول اننا نشك في اُسالة المخطوطة ونميل الى انها من وضع المتأخرين .

واخيرا نُنهي بقولنا ان كل هذه الاسماء ما هي الا اسماء لوحيد موضوعه " الادب " . وبما ان " البيان " به كل محتوياتها - لذا نقول انها اسماء متعددة للبيان والتبيين .

ملحق ومطبوع مرتين - ياقوت - حيوان - ياقوت - ملحق
٢ - استحقاق الامامة - وجوب الامامة - مَنْ أبى وجوب الامامة - الدلالة على ان الامامة فرض - جوابات
في الامامة

نظرة بسيطة الى هذه الاسماء تريتنا -

اولا - أن الرجل أُلّف في الامامة .

ثانيا - أن تأليفه فيها اتخذ صيغة المجادلة . نبرهن اولا على انها حقة ونفذ - نانبا
اراء من انكروها . واخيرا أجاب على اسئلة لا بد وان تكون قد وردت عليه
بخصوصها .

من هذا نرى أن الاول والثاني والثالث والرابع لا بد وان تكون ^{سببا} ~~سببا~~
لكتاب واحد هو هذا الذى بقيت مخطوطة في المتحف البريطاني . اما لماذا .
فالاولا لما مر وثانيا لأن الجاحظ نفسه ذكر واحدا منها في حين عدّد يقبولى ياقوت
اثنين . وياقوت ليس بالذى نؤمن به على المعنى لانه غلط في هذا كما سنرى .

في حين ان الرابع لم يرد له ذكر . إنما بقيت ^{سببا} ~~سببا~~ المخطوطة . واخيرا
لان رسالة الامامة نشرت مرتين في هامش الثاني من الكامل بين ٢١٢ - ٢٢٠ -
٢٦٦ - ٢٦١ وقاروها لا يستطيع الا ان يقول إنهما كتاب واحد .

بقي الأخير اى "الجوابات" واسره مشكوك فيه . فنحن اذا اخذنا
بمعين الاعتبار طريقة الجاحظ في التأليف وخصوصا فيما يتعلق بالدين حيث
يستخدم "الكلام" كثيرا - ليورد اقوال اعدائه واسئلتم اولا لم يحاول ان يرد
عليهم نانبا ثم يسألهم ليعجزهم نالنا كما كان اسره في الرد على النصارى وفي
الشارب والشروب - لم نجد بُدّا من ان نقول - ان الكتاب الاخير ليس
اكثر من صدر لهذا الكتاب الواحد في الامامة . اما اذا تفاضينا عن الواقع
المعروفه فالامر مشكوك فيه وجعله كتابا منفردا ارجح .

وعلى هذا تكون النتيجة عندنا ان هذه الكتب اسماء لكتاب واحد
سبحت "في الامامة" .

ياقوت — تاج — ياقوت — كرد — — موصل

٢ - الفتيان ، اخلاق الفتيان ، اخلاق الشطار ، تهذيب الاخلاق . الاخلاق الحمودة والمذمومة

هذه مجموعة اخرى . اذا نظرنا الى مجموعها وجدنا اولاً - ان موضوعها "الاخلاق" سلباً وإيجاباً . ثانياً - ان واحداً منها بقيت محفوظة في الموصل . واخيراً ان واحداً منها نعتي اخلاق "الفتيان" ذكره التاج (والتاج بذاته لم تثبت اصله) . وأن شيئاً آخر نعتي "تهذيب الاخلاق" لم يذكره الا كرد علي (وكرد مع قيمته المحلية الا ان انعدام المصادر الاحولية والاعلاط الاخرى التي وقع فيها في بحونه عن الجاحظ لا تحلنا على الاطعتان الى اقراره على نسبة هذا الكتاب) . بقي الاول والثالث . اما الأول فنفي "الفتيان" واما الثاني فنفي "الشطار" وما اظن الكاتب قصد منها شيئاً مختلفاً قط ، خصوصاً وهو يكتب عن الاخلاق الحمودة والمذمومة ..

وعلى هذا تكون النتيجة ان الجميع اسلموا لشيء واحد نبيل الى القول بانه " الاخلاق الحمودة والاخلاق المذمومة " لانه ادل على المعنى المقصود من المادة لا لانها تعتمد على مصدر علي موثوق به .

نهرس المقد ، ياقوت - ٢٢/٦ ياقوت ٢٦/٦ زيدان — سندوبي ١٥٢ ياقوت ٣/٦
٤ - التاج - جهمرة الملوك - اخلاق الملوك - تنبيه الملوك - تنبيه الملوك والمكائد . المكائد . السلطان
واخلاق الملوك

وفي هذه الجهمرة ماذا نرى .. نرى اولاً - انها تدور حول السلطان واخلاقه . اي هي من نوع الادب "البلاطي" . فهل نشك في صحتها كلها ونقذف بجهمرتها عرض الحائط . كلا . فهذا غير صحيح لان الجاحظ عاش مع السلطان وكان مقرباً من الخلفاء مثل التأمون والمعظم - واهوانهم مثل الزيات وابن ابي داود . لذا نبسطا على ان يكتب عنهم وان ينصح لهم . ورسالة المعاد والمعاض لاحد ابن ابي داود التي لا يتطرق شك الى صحتها دليل قوي على ما نقول . ولهذا نقبل ان يكون قد كتب في السلطان مبدئياً . لكن بكل حيطة وحذر . لانه لم يحش هم طويلاً ولا قَرَّب من الخلفاء كثيراً ولم يصح بيني ساسان الا من بعيد .

اما التاج فاننا نرفعه رضا باننا كما سيجي عند الكلام على الكتب
 الضوئية ، هذا بالاضافة الى ان واحدا من المصادر القديمة لم يذكره انما كان
 اول ذكر له بقلم "شفيح" فهرس العقد الفريد ^{الذي} ~~حيث~~ اشار الى صحة نسبته .
 ونحن مع احترامنا للسيد شفيح نقول ان قبول هذه النسبة من الصعب
 ما لم تدعمها المصادر الاصلية او على الاقل السرايين الجلية .

والان نتقل للثالث والرابع والخامس والسادس لنقول اننا نرى فيها
 اكثر من اسماء مختلفة لسمى واحد حول الملوك . تارة اختُصِرَ فيها وتارة
 اقتُطِعَ منها وثالثة جُمِعَت كاملة . هذا بالاضافة الى شكنا في اصلها لان
 الاول كما نرى مصدره زيدان والثاني السندوبي والثالث زيدان من المحدثين .
 ولا مخطوطات . بعد هذا نتقل للثاني من السلسلة فنشتم من تسميته انه في
 التاريخ الا اذا كان الاسم مضللا وهو في الحق مكتوب في الاخلاق . اما
 الاخير من السلسلة فهو الصريح اذ يجمع بين الخلق والتاريخ . ولهذا
 نقول ان الاحسن ان نطلق الاخير عليها جميعا اولا لدلالة اسمه على موضوعاتها
 وثانيا لانه يتسع الموضوع الثاني اذا كان تاريخيا . وعلى كل فنحن لا نرى في
 هذه المجموعة اكثر من كتاب واحد " في اخلاق السلطان " ان لم يكن كتابين
 ثانيهما في تاريخه .

سروح ياقوت حيوان ياقوت مدائي
 من البخلاء . احتجاج البخلاء . فوط جهل الكدى . واطمة العرب .

يَخْفَى النظر عن المصادر وعن وحدة دلالة التسمية خصوصا بين
 الاول والثاني نقول دون اى شك ان هذه كلها اسماء لكتاب واحد لا ثاني
 له هو كتاب البخلاء المعروف . اما الثاني بمعنى " احتجاج البخلاء " فليس اكر
 من تسمية الكتاب بمنصر بارز فيه وهو دفاع البخلاء عن مذهبهم مما اشار اليه
 الجاحظ نفسه في اول الكتاب . في حين ان الثاني ليس اكر من فصل خاص منه
 يدور على بخل الكدى ومدون بين صفحتي — من طبعة دمشق . اما
 الاخير فهو الفصل الاخير في اطعمة العرب الذي رآى الجاحظ ان من الضروري اضافته

تتمة للبحث وهو يقع بين صفحتي — من ذات الطبعة .

وعلى هذا نجد ان ذات الكتاب مَبْنِيّ تارةً بضمير بارز فيه هو احتياج البهلاء وتارةً باحد نصوله مثل جمل الكندي واخيراً بفصل مضاف مثل اطعمة العرب . فإلى مثل هذه التشويشات يجب ان نتنبه دائماً عند حل مشاكل تسمية كتب الرجل .

ياقوت — ملحق — سنديوي — سمودي —
٦ — البلدان — الاوطان والبلدان — الامصار — الامصار وجانب البلدان .

لا شك في الامر ان الجاحظ كَتَبَ كتاباً في الجغرافيا جمل تركيزه فيه على عدد من البلدان . قال بروكلمان ان قسماً منه ضاع ولم يبقَ لهُ منه الا ما في المخطوطة التي في المتحف البريطاني مما يدور حول الكوفة والطائف وبضعة مدن اخرى . كل هذا لا شك فيه . لكن ما اسم ذاك الكتاب من بين هاتين . اما " الامصار " فاني لا اقبله لانه من محدث لم يؤيد بأصل . واما ما جاء به السمودي فما اظنه اكثر من حكاية شيء عن محتوياته المقيمة التي لا يمكن للجاحظ ان يتركها . في حين ان اضافته " الاوطان " لمُسَقِّ المخطوطة لم يَعدْ تائِثراً من كتابه الاخر في " الحنين " اى انها تسمية محدثة . وبعد هذا يبقى عندنا الاول الذي ذكره ياقوت اى البلدان . نحن لا نشك في ان الجميع اسماه لكتاب واحد . لكن ايها هو الاسم الصحيح . في هذا الشك . لكننا بعد الشك نرجح انه الاول فقط .

حيوان — ياقوت — سنديوي —
٧ — الاخبار . الاخبار وكيف تصح . تصحيح الاخبار .

في هاتين نقول للإلاولا اننا لا نقبل الاخير لانه من وضع السنديوي . وثانياً نضيف ان بروكلمان قال " ولعل هذه كلها اسماً لسمى واحد " وبروكلمان وان كان لم يعط اسباباً الا ان دلائل التسمية كلها بجانبه .

هذا بالإضافة الى ان ما نقل من الكتاب في هاتين النقطتين وردت فيه كثيرا كلمات - الاخبار ، الاخبار ، وكيف تصح ، ثم تصحح الاخبار متبادلة في امكانها ودلالاتها . ولهذا نقول إنها كلها عناوين لواحد هو "الاخبار" مثلا .

٨ - أ - الحيوان . طبائع الحيوان . البيان الجوان

اما الاول فمعروف انه له . في حين ان الشبهة تدور حول الثاني . اولاً لان الذى اوردته كان البغدادي الذى حاول ان يتنقص من الجاحظ بإيراد اسماء كثيرة لكتبه في موقف التنقص منها . وكان هذا احدهما وثانياً ان هذا معروف بكونه نزعة حاول الجاحظ ان يوضحها في كتابه الحيوان لانه كتاب كامل . وعلى هذا تكون النتيجة ان كتاب "طبائع الحيوان" صفة بارزة لكتاب الحيوان وليس كتاباً بعبئيه . وليس هذا بجديد فقد رأينا كيف سعى البخله باحتجاج البخله لبروز هذه الظاهرة فيه .

والان نتقل للجوان . هذا الكتاب ذكره الجاحظ بنفسه في البيان وقال انه موجود في كتاب الحيوان . وعلى هذا تكون الجوان قسم من الحيوان لا كتاباً قائماً بذاته .

— داماد ياقوت سندوبي .
ب . القول في البغال ومناقبها . البغل . النمل .

اما الاخير فلا نقر به لان الوحيد الذى اوردته كان السندوبي . ولا نرى فيه اكثر من تصنيف للبغل . في حين ان الذى قبله اى البغل قال عنه ياقوت انه ملحق للحيوان وليس كتاباً قائماً بذاته . واما الاول فامر به بعد هذا واضح . اى اولاً انه ليس مستقلاً وانما ملحق

حُويلَ في تسميته التبسيط في الدلالة على مادته . ونرجو ان يُلاحظ أن التسمية مُحدثة لان احدا لم يذكره بهذا الاسم انما أخذ ذلك من مخطوطه .
والنتيجة تكون ان الكل اسماء لكتاب واحد بقيت مخطوطة لنا منه .
وان هذا الكتاب ملحق بكتاب الحيوان .

ياقوت - ملحق - ملحق - حيوان - كرد
ج - النساء . - العشق والنساء . - ما بين الرجال والنساء . - نفل ما بين الذكور والناث

نبدأ بالاخير لنفرغ من حسابه لاسباب صارت معروفة
وننتقل لما قبله . فنقول ان الجاحظ في البيان قال عند الكلام عن اشياء
اخرى - هذا موجود في كتاب ما بين الرجال والنساء من الحيوان .
وعلى هذا فهو من الحيوان . اما الاول اى النساء فمادته ^{المشتركة} تشير الى انه
مقطعات ما ذكر عن النساء في الحيوان من حيث غرامهن وعشيقن وخلف
عقولهن ولهذا لا تتوانى في ضمه للحيوان . بقي ^{الاشياء} الاخير الذى نشرني
المجموعة . ونشر في هاضم الكامل الثاني ايضا . ومادته تدل اولا انه نفل
مقطعة تارة في العشق ومراتبه واخرى ^{في} في النساء وحبيبن وثالثة في
المفاضلة بينهن وبين الرجال . وعلى هذا فهو لم يخرج عن نفل من
الاول والثالث جمعت دون ترتيب . وعلى هذا ايضا لا نستطيع الا ان نقول
انها كلها واحد وان هذا الواحد هو قسم من الحيوان لم يذكره نفل.

سندوبي - ياقوت - عاشر - ياقوت
د - نفل اخاذ الكتاب . مدح الكتاب . مدح الكتاب والحض علي جميعها . القلم .

هنا اشياء طريقة غامضة نحس بان نجلوها . أما ان الجاحظ
كتبَ بمدح الكتاب والكتب نسا لا شك فيه . فهو نفل طويل استغرق
صفحات كثيرة من الحيوان الاول . لكن الذى نشك فيه اولا ان تكون
هناك كتب كثيرة في ذلك وثانيها ان تغاير هذه الكتب في مادتها ما جاء في
الحيوان . فلننظر لغيره .

اما الاول فنهضه لانه من صنع المندوبي غير المؤيد. أما الثالث فليسوا الحظ لم نعرف كيف يَنْطِق . فان كان الكِتَابُ فهو ذاته فصلُ الحيوان . وان كان الكِتَابُ فهو ، اما مَعارضَة لكتابه الاخر في ذم اخلاق الكِتَابُ أو كِتَابٌ غير جديد عن الكتائب . الا ان بروكلمان ولا نعرف كيف - هجاء - " كِتَاب " . ولهذا تبقى الشبهة حوله . ننقل للثالث الذي لم يخرج في مادته عن الموضوع ~~فكر~~ بالرغم من انه لسوا الحظ لم يطبع بعد . لكننا سألنا شتراوس فقال إنه هو ذاته الفصل الذي اورد الجاحظ في الحيوان وبهذا اطمان البال . اما الاخير فما لا شك فيه انه الذي تكلم عنه الجاحظ في الحيوان .

ومن هذا نرى اننا لثالث مرة امام مشكلة تسمية كتاب واحد باحد اصوله سواء كانت مُهِمة او غير مُهِمة . وعلى كل تَخَلُّص من هذا البحث بالنتيجة الثالثة وهي - ان هذه الكتب جميعها اسما لفصل واحد من كتاب الحيوان الذي يدور حول الكتب ومدح الكتاب . الا اذا تَبَيَّنَتْ تهجئة الثاني بشكل الكِتَابِ جِما لكتاب . فان المجموعة تتجلي من كتابين لا واحد .

ومن هذا البحث الطويل نجد او بالاحرى نستنتج ان جميع ما مر ليس اكثر من حسيات متعددة لكتاب واحد هو الحيوان . تارة بظاهرة بيئية ، فيه وتارة بفصل ، وتارة بتفسير نقطة ، واخرى بتغيير في اسم ذاك الفصل . هذا ما توصلنا اليه وتحيي ان تلخص في [ان ذات الكتاب (الحيوان) وزد على فجله انه ١٥ كتابا] وهذا يستلزم الانتباه ويتطلب الدقة المتزايدة في في البحث

ياقوت كرد ياقوت بريطاني وصفه اصحابه كرد
١ - اثم الشكره النبذ ، ثم النبذ ، مدح النبذ / وصف النبذ وصفه اصحابه واخيرا الشارب والمضروب

لسوا الحظ لم يصل الينا من كل هاته الا قطعة نشرت في هامش

الكامل الثاني بعنوان = الشارب والمشروب واليك موادها = اولا فتمرض الى
 اثم السكر ^{فَقُولُ} ان الله حرم اشياء كثيرة مسكرة . ثم يقول لكن الله جمل
 لكل تحريم استثناء واستثناء السكر كان بالنبيذ . ثم اخذ في مدحه ذاته
 ثم في وصف انواعه واخيرا اخذ يتكلم عن صفات اصحابه من حيث اثره الجليل
 يهيم اذا قلّ واثره القبيح اذا كثر .

ومن هذا نرى اولا ان الرابع والسادس اى ذا الخطوطة وذا
 العنوان كتاب واحد . ثم نرى بعد اسقاط الاسم الذى اتانا به كرد
 ان جميع مدلولات الاسماء الاخرى محتواة فيما نشرت تحت اسم الشارب
 والمشروب . وعلى هذا تكون جميع هاته اسماء لكتاب واحد ^{لِأَخْصَاصِهِ} تسبته
 بالشارب والمشروب لانه أهم . اذ تكلم الكاتب فيما وصل اليه عن صفه
 الشاربين وعن جميع انواع المشروبات لا عن النبيذ وحده ..

ياقوت بغية السيوطي ياقوت ^{البيهقي} البيان

١٠- ذوو المعاهات . المرجان والبرمان والقمران . المرجان والبرمان . والمرجان

ما لا شك فيه ان الرابع اختصار من الثالث . وان
 الثالث اختصار من الثاني وان الاول اسم لكل قَصِد منه الدلالة على محتيات
 الكتاب . والنتيجة هي ان الجاحظ الفديكتا في ذوي المعاهات أتى على كثير منها
 وعند الاشارة اليه ما قام للتعظيم ولحب اخرون الاختصار في حين احب
 صاحب " البغية " مثلا ذكر اكبر عدد ممكن منها في العنوان . ومن هنا
 كان منشأ الاختلافات . ولو راجعت قول الجاحظ نفسه في البيان يشير
 اليه — لما خالفنا في شك فيما ذهبنا اليه من انها كلها لم تُسَدَّ كتابا
 واحدا (في ذوي المعاهات) .

ياقوت مسندوبي

١١- الرد على من أَلْعَد . الرد على من الحد في كتاب الله

اورد الاول ياقوت واورد الثاني السندوبي . اما من اين ات
 (في كتاب الله) فلا نعرف الا انها زيادة من السندوبي تدل دلالة اوضح وتخصص

تخصيصا ادق ما في الكتاب .

١٢ - على النصراني واليهودي . الرد على النصارى . الرد على اليهود . ياقوت
حيوان ملحق رد النصارى .

هنا لنا وثقة لا بد منها عند العنوان الاول . فانه من غير المعقول ان يسعى الجاحظ كتابا بهذه التسمية العامة المبهمه . واختصار نقول انه لا بد من وجود كفة قبل (على) اطارها النسخ ونميل الى القول بانها لا بد وان تكون من جنس "الرد" لان اكثر مواضعه مع هذين موافق رد . ولى هذا يكون العنوان الاول هو - الرد على النصراني واليهودي . ومعه يكون من السهل علينا ان نعرف ان المؤلفين ليسا الا ذات الكتاب أشير اليه مرتين مختلفتين باعتبار موضوعيه . واخيرا لننتقل للاخير هذا الذى بقيت منه مخطوطة التي نشرت في ثلاث رسائل لنلاحظ على مادتها ما يلي = اولاً انها فصول مختارة من رسالة كبيرة

ثانياً انه في هذه المختارات اولاً اورد ردود النصارى فانتهى العنوان الرابع . ثم رد عليها فانتهى العنوان الثاني . ثم سأل اسئلة وانتهى بها جمة اليهود ففرغ حساب العنوان الثالث . ومنتهى من كذا هذا الى ان الجميع كتاب واحد في الرد على النصارى .

ياقوت داماد

١٣ - ذي الكتاب وذم اخلاق الكتاب

ما لا شك فيه ان ^{التي} بقيت مخطوطة ولم يذكر اسمه ، هو ذات الكتاب الذى ذكر اسمه واختلف كل مخبر عن مخطوطة . ولى هذا يكون الاسمين لمسمى واحد . هذا اذا صحت القراءة . اما اذا كانت تهجئة الاول "كتاب" فاننا نضطرب لان نعتبره كتاباً جديداً كتبه الجاحظ معارضة لكتابه الاخر الذى مر ذكره في مدح الكتاب والذى قلنا انه فصل من كتاب الحيوان .

١٤ - ذم الزنا . ذم اللواط . ياقوت هاشم اللطيف بغدادى والسيوطى ياقوت خفاس سندوي القواد . صناعات القواد . القواد واسباب الصناعات

اما الاول والثاني والثالث فتكاد تكون ^{مكرر} وحدهما مفروغا منها . وشملها وحدة الرابع والخامس والسادس . لقد ظننا هذا وسكتنا عن دمج الكل في واحد خوفا من نُطْقُ القواد . فاننا بادئ الامر ظننا انه يعني الكلام على فن القيادة وما اليها قلنا انه اتخذها نحا من ~~البحر~~ انواع طرق الكسب ولذا كتب فيها . لكننا عندما قرأنا الكتاب منشورا بها من الكامل الاول تحت اسم ذم اللواط ووجدنا القواد وصناعة القواد ثم قرأنا منشورا في طراز الخفاف وفي رسائل السندوبي تحت عنوان صناعات القواد ووجدنا ذات الشيء يتكرر وذات المعنى يتكرر لم يسبق لدينا شك في ان الستة اسما ليست اكر من مختلفات لكتاب واحد في الزنا وما اليه . ~~والله اعلم بغيره من القواد ومنه القيادة~~ .

سندوبي ياقوت ياقوت
١٥ - ذم الوراقه . ذم الوراق . الوراق .

الاول نُسِفَته لعدم كفاة سنده . في حين يبقى الثاني والثالث . ونحن نرى ماداما لم يُطَبعا ولم يُنقِص لهما مخطوطات انه يجوز - خصوصا ماداما لم يُنَكَّلَا - لنا ان نقول انهما كتاب واحد وان احدهما يتفسير فنحن من الاول . او ان نبقيهما على حالهما ونقودهما اثنان مختلفان الواحد منهما كتب ضدا للآخر . وهذا غير غريب ولا بعيد عن الجاحظ . وتكون النتيجة ان هذه المجموعة انتهينا منها بكتاب واحد او باتنين .

سندوبي كرو
١٦ - التفاح . الاشجار .

كلا الروايتين ضعيفه . وعلى هذا نقول ان الرجل لم يكتب في النبات ابدا وان كان قد كتب نعم الاراك الذي زرعه في حديقة ^{مكرر} وتكلم عنه في الحيوان لا عن التفاح .

حيوان ياقوت
١٧ - اصحاب الالهام . الرد على اصحاب الالهام

كلا الروايتين صحيحة وموثوقة. لكن الجاحظ اشتهر بحب الايجاز حتى في تسمية كتهبه . ولذا فنحن لا يساورنا الشك في ان الاسمين لمسى واحد اولهما اضبطهما . في حين قصد من ثانيهما بعض التدقيق . وامثال هذه الاختصارات كثيرة هذ مثلا الاحتجاء لنظم القرآن وكيد اهرده الجاحظ .

ياقوت حيوان
١٨ - النفسيا . اصول النفسيا والاحكام

هنا تنعكس الاية فالجاحظ يطوّل ياقوت يختصر .

يزدان مروج ياقوت
١٩ - بني امية امامة الرواية . امارة امير المؤمنين معاوية

اذا عرفنا ان الرواية هم بني امية واذا اضفنا ان معاوية هو رأس بني امية يسهل علينا ان نقبل القول بان هذه الثلاثة اسما لواحد . ويؤكد هذا القول قول السعدي ان الثالث ليس الا تسمية فرعية للثاني ويؤكد ايضا مانشر في رسائل السندوي بشكل نصول مختاره تحت عنوان (بني امية) وهو شواظ من نار صبه الكاتب على كل بني امية خصوصا معاوية والعروانيين فانهمم بكل تهمة وفضحهم في كل خطة ويّين جهد استطاعته عدم اُحْيَيْتَهُم بالخلافة وانهم اغتصبوها اغتصابا من ابي بكر وغيره من المستحقين .

مطبوعه ياقوت
٢٠ - بيان مذاهب الشيعة . الامامة على مذهب الشيعة .

بالاضافة الى ان الاول لم يذكر في المصادر الاولى ، والاضافة الى ان اسميهما يدلان على وحدتهما ، فنقول بالاضافة الى كل هذا فقد قرأنا قسما منها منشورا في ثلاث رسائل " بشكل نصول مختارة . وآخر منشورا في هامش الكامل الثاني بشكل نصول مختارة ايضا . فكانت النتيجة ان كثيرا من المختارات قد تكررت وان ذات الفكرة معادة . وهي تبين انواع الشيعة وقول كل منهم في الامامة . واخيرا لما اذا اتفقوا على امامة علي . وعلى هذا فنحن لا يدور

بخلدنا أى شك بخصوص ضرورة الكتابين .

٢١ - تفصيل الاعتزال على كل نحلة (حيوان) . فضيلة المعتزلة (ياقوت) .

ما لا شك فيه انهما واحد . وقد قال السندوبي ولعلهما واحد كتب بالاسم الثاني . وهو ذاته الذى رد عليه الرازيدي بكتاب فضيحة المعتزلة . ونضيف نحن نقول وهو الذى دافع عنه (اى الجاحظ) بسببه الخياط في (الانتصار) .

٢٢ - العرب والمجم (حيوان) . التسمية بين العرب والمجم (ياقوت) . العرب والفرس (ياقوت) .

المرس والعروس (كرد) . فضل الفرس (ياقوت) .

اما الاول والثالث فلما لا نشك فيه انهما واحد . واما الرابع فلما لا نشك فيه انه تحريف لما قبله . بني " التسمية " وفضل الفرس . من الاول والثالث لا نفهم أراد الرجل / الفرس تفصيل العرب لم تفصيل المجم ام المساواة بينهما . فان كان تفصيل العرب ، فالثاني والاخير كتابان جديدان . وان كان تفصيل المجم فالثاني جديد في حين ينضم الاخير الى وحدة الاول والثالث . أما إن كان يريد التسمية فالاول والثاني كتاب . والاخير ثاني . وتكون " التسمية " كتابا ثالثا مستقلا . لكننا نميل ما دام ياقوت في الكتاب الاخير جليل الغامض الى القول بأنه يقصد تفصيل المجم . ولى هذا يسقط الرابع ويبقى لدينا الاول والثالث والاخير على انها كلها كتاب واحد بالاضافة الى " التسمية " على انه ثاني .

٢٣ - الموالي (عقد ٣) . الموالي والعرب (عقد ٢) . العرب والموالي (حيوان) . فضل الموالي على العرب (بغداد)

ذات الشيء يقال في هذه المجموعة . فاما أن تكون جميعها كتابا واحدا او كتابين . ولا يمكن ان تكون اكثر . اما كتاب واحد ، فعنوانه " في تفصيل الموالي على العرب " . واما اثنان فواحدهما " في علاقتهما " وثانيهما " في تفصيل الموالي " .

٢٤ - العبر والاعتبار (ملحق) . التفكير والاعتبار (ياقوت) . الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير (مطبوع) .

من هذا نرى ان اول من ذكر الكتاب ياقوت . وان مخطوطة موجودة . وانه مطبوع لوحده . لكن لسوء الحظ وجدنا كل هذه تحت عناوين بعددها . اذ من غير المعقول ان يكتب الرجل ثلاثة رسائل بذات الموضوع وتتفق المصادقات على ان واحدة منها يذكر اسمها وتضيق

مخطوطتها . وان ثانية توجد مخطوطتها لكنها لم تذكر . وان ثالثة طبعت لكنها لم تخط ولم تذكر . نقول ان القول بطلا بالراء الاخير بعيدٌ ومُتَقَدِّدٌ واتفاق ثلاثة عقلاء عليه غير معقول .

٢٥ - التمثيل (ياقوت) . الاشغال (ياقوت) .

بالرغم من ان الاسمين وردا في ياقوت في جزء واحد وفي صفحة واحدة بل وفي سطرين متتابعين ، نقول انهما لا يمكن ان يكونا كتابين مختلفين . لقد ضاعت مخطوطتهما ولم يبق منهما سوى اسميهما . في حين لم يشكلم احد السلف عنهما بكلمة تُثير الطريق . ولذا فمن الصعب علينا ان نقول بخصوصهما جزءاً . وليس لدينا ما يميننا على ذلك سوى الحدس والتخمين والمنطق الشكلي . لكن هذه ليست علمية . ولذا نقول : قد يجوز ان يكونا كتابين كما قد يجوز ان يكونا كتاباً واحداً . ونترك لاكتشافات المستقبل امر الحكم النهائي .

٢٦ - الجد والهزل (مخطوط مطبوع) . المعز والجد (ياقوت) .

اذا كما وقفنا حَيْرَى أمام السابقين فاننا لن نقف امام هذين . فالخطوط الثلاثة التي لدينا كلها تشير الى التسمية الاولى . ولى هذا لا يسعنا الا ان نتهم ياقوت بعدم الدقة في ترتيب كلمات العنوان لاسيما وان هذه ليست اول مرة . والرسالة معرونة ومطبوعة طبعا انيقا وقد كتبها لابن الزيات .

٢٧ - الحجاب (طراز) . الحجاب وذمه (سندوي) . الحجاب (سندوي) .

كما نظن انه في هذا سيتكلم عن حجاب المرأة المسلمة لكا قرانه في "الطراز" فاذا به يتكلم عن حجاب الملوك ورجال الدولة فعرفنا البهم . وقد ذم الحجاب عامة وذكر من ذم به . ولى هذا نقول ان تسمية السندوي الاولى ليست سوى توضيح للمادة . ثم اخذنا نفثش لعله الف في "الحجاب" بمعنى الحُجَج او النساء اللواتي ذهبن للحج او ما يشابه ذلك . لكننا لم نجد سوى "حجج النبوة" . ولذا عدنا نتهم السندوي بالتحريف وزيادة نقطة معكوسة على الحرف الاخير لا سيما وانه يقول (هكذا قال الطراز) والطراز لم يقل . ولى هذا تكون الثلاثة كتب كتابا واحدا في الحجاب .

٢٨ - الحنين (نهرس) . الحنين الى الاوطان (مطبوع) .

كتاب واحد بلا شك . لان الاول ورد في الفهرست على انه لخير الجاحظ . يبقى الثاني المطبوع . هو كتاب بلا شك . شك في صحة نسبته السنديي واما نحن فلنا في الموضوع راى اخر سنيينه في مكانه .

٢١ - العثمانية (مروج) . مقالة العثمانية (ابن قتيبه) . ملحق . مطبوعه) . مسائل العثمانية (مروج) .

الررد على العثمانية (ياقوت) . حكاية سير قول العثمانية (حيوان) .
والضاربة

اما الاول والثالث فقد اثبتهما له وتكلم عنهما السعدي في مروج ثم عاد نفهاهما عنه . على كل لا يهنا هذا في هذا الصدر بقدر ما تهنا وحدتهما . اما بروكلمان فيقول ان الثاني سعي بهذا لانه دافع فيه عن نظر العثمانية في الامامة ضد وجهة نظر علي وجماعته فيها . وقد قرأنا المطبوع في رسائل السنديي فوجدناه كما قال . بهذا يتفق بروكلمان مع السعدي مع ابن قتيبه مع ملحق البريطاني مع المطبوع في رسائل السنديي . عليه يكون الاول والثاني والثالث اسما للكتاب واحد . اما الرابع فنعتقد انه كتاب جديد عارض فيه الجاحظ اقواله فيما سبق . والدليل على هذا قول السعدي (ثم عاد فنقض اقواله في الكتاب الاول) . اما الاخير فلا علم لنا بشي عنه البتة . نعنوانه مبهم ومخطوطته مفقودة . ولم يأتنا عنه ائ شي . فنسبته كتابا فانما بذاته او نضمه الى احد الكتابين السابقين . ولذا نفول ان هذه المجموعة تنقشع عن كتابين او ثلاثة . احدهما مع العثمانية . وثانيها ضدها . وثالثها نحن في حيرة من امره .

٢٢ - حكاية عثمان في اللصوص ووصاياه (مخطوط) . كتاب اللصوص (ياقوت) . حيل اللصوص (حيوان) .

حيل سراق الليل (بخلاء) . حيل لصوص النهار (بخلاء) .

مما لا شك فيه ان ك هذه عناوين مختلفة لمعنون واحد في اللصوص . والدليل على هذا وصف الجاحظ بذاته هذا المعنون في اول كتاب البخلاء بقوله (ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابي في تصنيف حيل لصوص النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل) . مما يدل دلالة واضحة على ان الاسماء هذه ليست اكثر من اوصاف مختلفة لنواحي متعددة من محتيات الكتاب . فقد تكلم عن اللصوص وقد استفاد من عثمان وقد أسهب في لصوص الليل ومما لا شك فيه انه لم يغفل عن لصوص النهار . وقد عثرنا على نفرة من هذا الكتاب جميلة سندونها عند وصف الكتاب . انما يهنا ان نفول ان الجاحظ لم يكتب سوى واحد في هذا الموضوع . وان وصفه

لكبه ببعض فصولها أو ببعض مظاهرها لم يعد علينا جديدا .

٣١ - حكاية قول اصناف الزندية (ياقوت) . ذكر ما بين الزندية والرافضة (ياقوت) . مقالة الزندية والرافضة

(ملحق - هامش) . معارضة الزندية (حيوان) .

لا شك ان الثاني والثالث واحد . واذا ذكرنا ان الثالث مطبوع وان فيه حكاية اقوال الزنديين للدفاع عن مذهبهم ، عرفنا ان الثلاثة الاولى واحد . الا ان الشك يحرم حول الاخير . ونحن نميل الى القول بانه معارضة للمسايق على عادة الجاحظ . وعلى هذا فتتجلي هذه المجموعة عن اثنين فقط .

٣٢ - الحلبة (ياقوت) . الحلبة (سندويي) . الحلبة (سندويي) .

مع اننا لم نتأكد من وجود واحد من هاته . الا اننا نفترض وجود الاول لولا ثم ضياعه مع جملة ما ضاع . لكن الثاني والثالث ، ما القول فيهما ؟ القول فيهما ما دام لم يُذكر من قبل انهما ليحلم اكثر من تصحيف إما من السندويي وإما من نقل عنهم السندويي ، واننا نأسف لان الرجل عند سرده كتب الجاحظ لم يذكر المصادر التي استعان بها فنستطيع الرجوع اليها والتحقق في صحة سرده . لكن اغراء النسخ بالقراءة في الاول والسماع في الثاني - يشجعاننا على الاخذ بما قلنا والقول بخلط السندويي وتصحيحه لا سيما وان هذا ليس عليه بجديد . وعلى هذا بالاضافة الى اقتناعنا من ان الجاحظ لم يكتب في النباتات (الحلبة) نقول انه لم يولف في هذا الا واحدا ضاع .

٣٣ - المعارف (بخدادى) . المعرفة (ياقوت) . مسائل المعرنة (ياقوت) . مسائل وجوابات في المعرنة (ملحق) .

المسائل (بخلا*) . فنون شتى مستحسنة (داماد) .

أما ان الاول والثاني والثالث واحد ، فلا شك عندنا في ذلك بعد كل ما خبرنا . يبقى الرابع الذى ذكره الجاحظ في البخلا* ومن ضو* ما قال يلحق لنا ان ضمه الى الزمرة السابقة انزب للمعقول بالرغم من افتقارنا للمصادر الصريحة . ففي الخامس والاخير الذى وجدت مخطوطته في داماد . وهو في فنون شتى مستحسنة . ترى الا تكون هذه الفنون الشتى المستحسنة الوانا من المعرنة الواسعة الاطراف . قد تكون وقد لا تكون . بنا ميل لتوحيده مع مسابقاته . لكن الحدس والتخمين لا يُعتمدان . ولذا نتركه وفي النفس شك من انفراد حتى يُطبع .

٣٤ - خلق القرآن (حيوان مخلق) . المسائل في القرآن (ياقوت) . سائد القرآن (نهرس) . أي القرآن (ياقوت) .

نظم القرآن (نهرس) . الاحتجاج لنظم القرآن (حيوان) . البلاغة والاعجاز وقيل الايجاز (ملحق) .

لقد آمن الجاحظ بخلق القرآن ودعى له . فلا عجب ان يكون قد كتب كتابا او كتباً وضَّح فيه أو فيها موقفه . ولهذا نقول إنه من الثابت الاكيد ان الرجل كتب بالعنوان الاول . لكن الشك في الثاني والثالث للذين يكاد لا يساورنا شك في وحدتهما من اول نظرية . بقي الرابع والخامس والسادس والسابع . هاته التي نرى فيها واحدا ايضا . اما "الاحتجاج" فبطبع وقرأناه في هامش الكامل الثاني . وفيه ردت تعابير "نظم القرآن" و"بلاغة القرآن" و"اعجاز القرآن" . وفيه وَرَدَ تحليل طريف وتعليق لطيف على جملة من أي القرآن . اذا ذكرنا هذا وذكرنا قول السندي عن أيي من حيث أن الجاحظ جمع فيه نخبة طريفة . وأضفنا الى هذا القول أحدهم انه من ادلة اعجاز القرآن ايمان الجاحظ به - تَكُونُ لدينا شبهة يقين بأن هذه الاربعة كلها اسما لواحد . وتنتهي الأُرْثَةُ عن كتابين او ثلاثة = الاول في خلقه . والثاني في مسائله . والثالث في اعجاز القرآن .

٣٥ - النبل (ملحق) . النبل والتنبيل ودم الكبير (سندوبي) . كبريتكيد المشتبه (سندوبي)

قرانا الاول مطبوعا فوجدناه يتكلم عن النبل ويقول إن الطبيعي منه جميل لكن المتكلف رذيل لان النبل لا يتنبل وكل تَنَبُّلٍ ادلالة على نقص او انعدام شيء في نفس التَنَبُّل . هذا بالاضافة الى مروره على الكبر وتفرقه الى نهجين = مستحسن ومستقبح . وكلامه على كل منهما في ذات الرسالة . وعلى هذا فالاسمين لكتاب واحد إنما كان الاسم الثاني من صنع السندي تائسرا بفسم بارز من الموضوع . وهذا لم يعد غريبا علينا بعد كل ما راينا من الفوضى ودم الدقة وما ضربنا عليه الامثال من قبل .

٣٦ - نخر القحطانية والمدنانية (الجمومة) . القحطانية والمدنانية في الرد على القحطانية (حيوان وبنغادي) .

مفاخرة القحطانية على الكنانية وسائر المدنانية (البنغادي) .

كلها ضاعت . ولكن كيف ضاعت . لست أدري . وليتها او ليت بعضها بقي لنعرف شيئا عنها يُكُنُّنا من المقارنة بينها بالفعل . لكن ما الحيلة ! على كل يلوح ان الاول والثاني واحد ذكرهما الجاحظ نفسه . الاول في رسالة السودان والبيضان والثاني في الحيوان . في حين انفراد البنغاد بالثالث مما يُعَدُّ معارضة للكتاب السابق . ففي الاول نخر المدنانية على القحطانية وفي الثاني تنعكس

الاية نفتخر القبطانية على العدنانية . وتكون النتيجة ان كتابي برزا من هذه المجموعة متناقضي الموضوع .

٣٧ - النبي والمغنين (ياقوت) . الفرق ما بين النبي والمغنين (الحيوان) .

ما لا شك فيه انهما واحد . فقد ذكره الجاحظ باسمه المطول عند تعداد كتيبه ووقف بضعة اسطر على مدحه والاشادة باهميته في حين راج ياقوت يسرد حكاية ابن الاخشا كاملة مما يدل على مقدار علو قيمته .

٣٨ - كتمان السر (ياقوت) . كتمان السر وحفظ اللسان (داماد) .

لا يهنا اى الاسمين هو الاصيل بقدر ما يهنا الاشارة الى انهما إسمان لمسمى واحد . هو هذا الذى نشره كرواس والحاجري في مجموعتهما التي حوت اربع رسائل للجاحظ . ولعل الثاني الذى عُيِّنَ به المنشور في حين يكون الاول ليس اكر من اختصاره .

٣٩ - ما بين الملائكة والجن . فرق ما بين الملائكة والجن (حيوان)

كتاب واحد لا شك بذلك . انما التغيير نسخي بحذف او اضافة كلمة .

٤٠ - الزرع والنخل (بيان ٣) . الزرع والنخل والزيتون والاعناب (بيان ١) .

ذكرهما الجاحظ ونعتقد انهما واحد ورد اسمه منفصلا في البيان الاول . وعند الاشارة اليه في الثالث اكتفى بما قلّ ودلّ .

٤١ - المغنين (ياقوت) . طبقات المغنين (ملحق ونشر) . المغنين والغناء والصنعة (ياقوت) .

ما لا شك فيه ان كل هاتين لمسمى واحد . والدالة على هذا ما يلي = اولاً انه لا يُعَقَّل ان يكون العنوان منصوباً او مجروراً دون مسبب . ولذا يجب تقدير مسبب . واقترب مسبب هو اضافة " طبقات " قبل " المغنين " . فاذا كان ذلك وجدنا ان الاول والثاني اتحدا وان كليهما انضم تحت لواء الثالث وظهر ان الجميع اسماء لمسمى واحد . ثانياً ان ما نشر منه (اى الثاني) لم يَعدْ نصولا مقطعة مشوشة يُستنتج منها مقدمة لكتاب سيتكلم فيه صاحبه عن المغنين والغناء والصنعة وكل ما يتعلق بذلك . وهى هذا فالكمل واحد

٤٢ - صياغة الكلام (ياقوت) . صناعة الكلام (هامن) . تفضيل صناعة الكلام (نهرس) . تفضيل الكلام (نهرس) . العاشمية (سمودي) .

ما لا شك فيه ان الاول والثاني واحد . وان الثالث والرابع واحد وقد قال السمودي ان الاخيرة والرابع واحد . اذن بقي ربط الاولين بالباقيات وهذا صعب . لان الاولين يتضمنان وصفا حياديا للكلام في حين يحاول الكاتب في الاخرى تفضيل هذه الصناعة . على كل اذا روعيت الدقة في التسمية كان لنا من هذه المجموعة كتابان . الاول حيادي والثاني تفضيل . والا فالجميع كتاب واحد .

٤٣ - المباسبية (حيوان) . امامة بني العباس (سندويي) . امامة وليد العباس (مروج) .

قال ابن النقيش ان الجاحظ قدّم المباسبية للمامون وفيها يحتج لوليد العباس في الامامة . ولى هذا فالاول والثالث واحد واما الثاني فليس الا ذات الشيء بحكاية المعنى دون التقيد بالاصل لا سيما ~~بأنه~~ وأنه من محدث لم تؤيده الاصول القديمة . وحقق لو ايسدته فان لم يكن هناك اى فرق .

٤٤ - الاستطاعة وخلق الانمال (ياقوت) . الطبائع (ياقوت) . انمال الطبائع (سندويي) .
احالة السفرة على الظلم (ياقوت) .

نظرة بسيطة توينا ان الاول والثالث واحد . وان الثاني قد ينضم اليهما اذا فكرنا بالانمال . لكن اذا فكرنا بطبائع الحيوان التي كتب فيها انتك لنا كل غزل . اما الاخير فقد يكون رسالة دينية حرة لوحدها وقد يكون ذات الكتاب . على كل نستنتج من هذه المجموعة اولا اما ان الجميع كتاب واحد او انها على الاكثر ثلاثة كتب .

٤٥ - نخر السودان والبيضان . (مفخرة السودان والبيضان . نخر السودان والحرمان

كلها اسما' لواحد . لان النبي في حديث استعمل الاحمر بمعنى الابيض فقال ارسلت للاحمر والاسود ولان الجاحظ نفسه وضع ذلك ونسب غايه وازال الشبهة فيه في الرسالة المطبوعة .

٤٦ - مفاخرة الجوارى (داماد) . مفاخرة الجوارى والنلمان (موصل)

كلاهما واحد وقد اشار الى ذلك بروكلمن . ولا بد ان يكون قد اطلع على المخطوطتين

٤٧ - المعلمين . نوادر المعلمين .

كذلك . لا يمكن إلا ان يكون قبل المعلمين شي . واقترب شي للمغول هو " نوادر " . فاذا كان ذلك فان الكتابين كتاب واحد .

٤٨ - فخر هاشم وعبد شمس . فضل هاشم على عبد شمس .

٤٩ - فخر عبد شمس ومخزوم . الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم .

٥٠ - مناقب جند الخلافة . مناقب الترك وعامة جند الخلافة .

٥١ - الوعيد . الوعد والوعيد .

٥٢ - الناشي والمتلاشي . المتلاشي والناشي .

٥٣ - الوكلاء . الوكلاء المتوكلين .

كل مجموعة من هاته يجب ان تكون مقتصرة على واحد . والسبب واضح .

على كل - هذا ما توصلنا اليه عن طريق الشك العقلي اولا والمنطق

الشكلي ثانيا والتحقيق العملي ثالثا فكان ماراينا . ونتيجة له يجب ان نُطرح من قائمة كتبه المذكورة في الفهرس ١١٤ الى ١٢٧ كتابا . لكي نقرب من الحقيقة وان كنا لا ندعي أننا وصلنا اليها .

ثالثا - الكتب التي نسبت اليه -

-----x-x-x-x-x-x-x-x-----

هذه هي الظاهرة الثالثة التي نعلت فعلها في الاضطراب الكبير مما انتج

كل هذه الفوضى في الاعداد التي أعطيت لكتب الجاحظ . نعتي ظاهرة كتابة غيره باسمه .

كما قد كتب هو باسم غيره . ولا غريب في هذا اى ان يكتب غيره باسمه بعد ان

ذاع صيته وانتشر اسمه وعثره القاضي والداني . وشاهدنا على هذا اقتباسات من

"العداوة والحمد" بقلمه . لقد تحريتنا كثيرا ودققنا طويلا في كل ما وصل الينا من

كتبه . لوجدنا ان الشك في صحة نسبة الكتب التالية الى الجاحظ - اغلب من اليقين

في صحة نسبتها . واليكها مع بيان الاسباب .

اولا - كتاب الإبل = بالرغم انه لم يصلنا منه شيء لكننا اعتمادا على ملاحظة ياقوت (انه من الكتب التي نسبت اليه قديما) نقول انه ليس له وانما كتب باسمه .

ثانيا - التاج = لقد قرأنا كتاب التاج اولى وثانية . وقرأنا مقدمة الطويلة التي سهر عليها احمد زكي باشا وحاول ان يورد فيها كل ما يمكن ابراده من الحجج والدلة والبراهين لاثبات نسبه للجاحظ . لكننا لم نستطع ان نطمئن الى صحة نسبه اليه . ولسنا الوحيديين في موقفنا الشككي من نسبة الكتاب ، بل يؤيدنا ممن عرفنا الاساتذة بروكلمان وكُرد والسندوبي وغيرهم كثيرون . لكنهم لسوء الحظ لم يوردوا ادلة قاطعة تؤيد شكهم او نفيم لهذه النسبة . ولهذا اخذنا على عاتقنا هذه المهمة .

نحن نشك في صحة نسبة كتاب التاج للجاحظ . وذلك لما يلي =

اولا - لان واحدا من المصادر الاولى لم يذكره اليه . اما كما وقع له من ذكر كان في موضعين . الاول في العقد الفريد ، لكن على انه ليس للجاحظ بل لآخر غيره . والثاني في نهرس العقد حيث قال السيد شفيع معلقا في الهامش عند ذكره (وهذا الكتاب للجاحظ) . لكن بما ان شفيعا متأخر ولم يَشْتَدِدْ الى اصل مولف به ، لذا لا نستطيع ان نأخذ قوله بعين الاعتبار .

ثانيا - اسلوب الكتاب التالي ليس من اسلوب الجاحظ اليه . فمن ناحية إنعدام الاستطراد والتكرار والاستشهاد مرجح الدعاية التي اتصف بها اسلوب الجاحظ . ومن ناحية برزت ظاهرة لم يميزها الجاحظ نعني ظاهرة الترتيب الدقيق جدا . فالرجل قَسَمَ كتابه لايواب . والايواب لفصول . والفصول لموافقة منسجمة كل الانسجام . ولهذا - اي لانعدام صفات اسلوب الجاحظ التالي ولبروز اخرى لم يُعرف بها - لا يسعنا الا ان نشك في صحة نسبه .

ثالثا - بل أن اسلوب الكتاب الانثائي ليس من اسلوب الجاحظ بشيء . فالجاحظ عودنا على التوازن او خلطه بالاسترسال ، وودنا كذلك على قصر الجملة وطول النفس وابراد تعابير خاصة مما لا يمكن لباحث مهما كان مدققا ان يجد لها اثرا في الكتاب كله . ولهذا ايضا نشك في نسبه .

رابعا - لان نوع مادة الكتاب ليست مما يمكن نسبه للجاحظ . قد يقال ان الجاحظ خالط الخلفاء كالمأمون والمعتصم والوائق والمتوكل . وقد يقال ايضا انه لأم ابن الزيات وابن ابي دوداد وصحب الفتح ابن خافان ، فاستطاعته ان يكتب عن اداب السلطان . نقول كل هذا صحيح

ومن اجله يستطيع ان يكتب عن اخلاق السلطان . لكن السلطان العربي فقط . ولهذا سلمنا
 بصفة كتابه - السلطان واخلاق اهله - أما ان يكتب عن السلطان الفارسي فما يصعب علينا
 التسليم به . ثم اية كتابة كتب . كتابة مدقق مطلع قريب عاشر اكر حياته في بلاط الفرس . والجاحظ
 لم يقل واحد من المؤرخين انه ذهب لبلاط الفرس . قد يقال ربما جاتته المادة بالدرس والسماع .
 فنقول قد يكون ويستطيع ان يكتب . لكن حديثه لن يكون بالدقة والضبط اللذين برزا في الكتاب .
 خذ مثلا قوله في صفحة ٧ في باب الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك اذا دخل الرجل عليه
 ان يفعل (اذا كان الداخل من الانصار والطبقة العالية) فمن حق الملك ان يقدم منه بالموضع
 الذي لا ينل عنه ولا يقرب منه . وان على يسلم عليه قائما . فان استنداه قُرب منه فاكب على
 اطرافه يقبلها . ثم تنحى عنه حتى يقف في مرتبة مثله . فان اوما اليه بالعمود قعد . فان كلمه
 اجابه بانخفاض الصوت وقلة حركة . وان سكت نهض من ساعته قبل ان يتمكن به مجلسه بغير تسليم
 ثان ولا انتظار امر . وان كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك اذا رآه ان يقف . وان
 كان نائيا عنه فان استنداه دنا وخضا نلانا ونحوها ثم وقف ايضا . فان استنداه دناخوا من
 دونه الاول ولا ينظر الى تعب الملك في اشارة او تحريك جارحة فان ذلك وان كان فيه على
 الملك معاناة فهو من حقه وتبظيمه . وان كان دخوله عليه من الباب الاول يقابل وجه الملك ويحاذيه
 - وكان له طريق عن يمينه او شماله - عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس
 الملك فسلم قائما ملاحظا للملك . فان سكت ... فان استنداه فان اوما اليه ...
 فان كلمه ... فان قطع كلامه ...) الى اخر ما هنالك ما لم نجده حتى الان في اى اثر من اثار
 الجاحظ . نقول هذه المادة غير الجاحظية وهذه الدقة في سردها والاطلاع على ثناياها - ما
 لم يُعرف به الجاحظ او يُذكر عنه - تضطربنا بان نشك في نسبة الكتاب .

خامسا - واخيرا لان الرجل ذكر في كتابه " الاعاني " وكتاب الاغاني هذا الدُّبُّع موت الجاحظ
 بقرينة . لقد دافع عنهم الباشا عن هذا بقوله ان هناك اغاني كثيرة جات قبل الجاحظ . فلهذا كانت
 الاشارة الى واحد منها . لكن القصة التي وردت في صفحة ١٢ منه ، وورودها بنصها ونصها
 في اغاني ابي النرج بداته ، ما لا يمكن نكرانه ولا جرده ولا حتى ~~الاجزاء~~ الاعضاء عليه واستحالة
 استعانة متقدم بتأخر تضطربنا لان نشك في صحة نسبة الكتاب .

لهذا نعتني لعدم ورود اى ذكر له في المصادر الاولى ، ولعدم مطابقة اسلوبه التالي
 لما عرف عن الجاحظ ، ولعدم اتفاق اسلوبه الانشائي مع ما عرف عنه ايضا ، ولعدم امكانية الصاق مادته

بالجاحظ ، واخيرا لذكره اشياء جاءت بعده = لا يمكننا الا ان نشك في صحة نسب كتاب التاج
لابي عثمان الجاحظ .

ثالثا تنبيه الملوك والمكاييد - لسوء الحظ لما طبع الكتاب . ولهذا لم نطلع عليه . ولهذا لا
نستطيع ان نبدي فيه رأيا خاصا . انما كل اعتمادنا في موقفنا الشككي منه على قول السندوي ص ١٥٢
(اذا علمت ان هذا الكتاب مصدر بفاتحة يقول فيها " الحمد لله الذي انتج بالحمد كتابا .
وفتح للعبد اذا واني اليه بابا . . . " لم تترد لحظة في انه لغير الجاحظ . وانما نسبه
من نسبه اليه جهلا وضا . توجد منه نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي في دار الكتب المصرية
تحت نمرة (٢١٥٤) هذا ما قال السندوي . وهذا كل ما يمكننا ايراده بخصوص الكتاب . ومنه
يلاحظ ان الرجل شكَّ في صحة نسبته لورود السجع المتكلف في عبارته . ونحن الى ما قال به
اميل .

رابعا الحسين الى الاوطان - قال السندوي معلقا ص ١٥٣ . (من قرأ هذا الكتاب وفرقه بشي
من كتب الجاحظ او وازن بينه وبين طريقته بالتأليف لا يشك مطلقا في ان الجاحظ منه براءه وانه
من تليفات الهراقين الذين يجمعون شتى العبارات الى بعضها في كتاب ثم ينسبونه الى مؤلف مشهور
ليلقى الرواج عند الناس) .

هذا ما قال السندوي . اما نحن فنقول ان هذا قد يكون . لكن اسلوبه التاليفي
بكثرة استشاداته ننسأ ونسمرأ ، واسلوبه الانشائي توازنا وارسالا ، ومصادره التي استقى منها
مجلده كتبأ واشخاصا - لم تخرج في كبير ولا قليل عما عرف عن الجاحظ .

لهذا نقول ان ما اورد السندوي كان اتهاماً غير علمية وليست معتمدة على حقائق
او شواهد يمكن الرجوع اليها . انما كانت الحيفية في الامر عكس ما ذهب اليه مما اوردناه في النقرة
السابقة .

الا ان هناك نقطة مهمة يجب ان لا نغفلها هي مسألة التسمية . فالكتاب مطبوع
بهذا الاسم . لكنه لم يرد له ذكر في المصادر . وكما ورد كان في الفهرس . ووروده هناك كان على
انه لغير الجاحظ وامام هذا لا نستطيع ان نقول ان الكتاب للجاحظ لما في باطنه من
تايدات ايجابية . ولا ان نقول انه ليس له بالرة كما رآى السندوي . انما نقول اننا في حيرة من
امره . فالى ان نفع على ذكر اصيل بخصوص تسميته ، نُبقي علامة الاستفهام بعد اسمه .

خامسا الدلائل والاعتبار - تبرز في هذا الكتاب فكرة معتزل متطرف في مذهبه يهاجم غيره مثل
المنانية والمعتلة . ويظهر فيه واضحا اطلاع صاحبه الكبير على فلسفة اليونان هذا بالإضافة الى
اسلوب جاحظي قوى في الانشاء والتأليف . وكل هذا يؤيد ان الكتاب للجاحظ .

لكن صبغة الترتيب المنطقي الطول وترداد كلمتي " أنظر ونكر " كثيرا وانعدام الشواهد
وكذلك ~~الاستشهاد~~ بالمرّة تثير شكوكنا وهو اجسنا من حييطة صحة نسبته .

لقد جزم السنديوي بخلط نسبته اليه وايدى في ذلك كرد علي ومال اليه بروكلمان .
الا اننا لا نرى ما راوا . لان القسم الاول مما اردناه عنه بالإضافة الى وجود امثال ما انكرناه عليه في
رسائله (ولندكر ان ما بين يدينا رسالة) تاخذ بيدنا في اتجاه وسط بين من ينكر نسبته ومن يؤيدها
هذا ان لم نؤيد نسبته على خط مستقيم .

سادسا سلوة الحريف - لقد انكر السنديوي صحة نسبته . وانكرها غيره . ونكرها نحن بدوننا .
وذلك لاسباب كثيرة نأخذها من بين دفتيه اليك اشهرها .

- (١) - لهذا السجع المتكلف المطرود الذي لم يعمره الجاحظ .
- (٢) - لهذه الالفاظ التي استعملها الكاتب عند الكلام على عظيم مما لم يعرف الا ايام السلاجقة
اي بعد الجاحظ بقرنين مثل = فوام الملك . ونظام الدين . وحجة الاسلام . ونور
الممالك . وجمال السلطنة . ومها الدولة . وغيرها كثير .
- (٣) - لآخذة عن ابن المعتز وابن الرومي وغيرها من شعراء القرن الرابع . وللمنتيل
لابن المعتز = اشرب على طيب الزمان فقد حدا . . .
ولابن الرومي = اصبحت الدنيا تروق من نظر ...

واظن ان في هذا الكفاية لنفي نسبة الكتاب عن الجاحظ .

سابعا الحاسن والاضحائي - لقد خُذع الكثيرون بنسبته . واذكر من بينهم محيي الدين ابن
الحري الذي نقل عنه في " محاضرات الإبهار وسامرات الاخيار " وضخ عنه بل نسخه البيهقي في
" الحاسن والمساوي " . اما نحن فلا نرى فيه اكثر من جَمْع لآحد ورّاني القرن الرابع غلبت عليه نزعة
دينية رجعية خصوصا لموقفه المتمزّت من اكثر المسائل الخلقية التي تَمَرَّص لها . ولموقفه السليبي من النساء
وادلّتنا على عدم صحة نسبته ما يسلي =

(١) - نقله عن ابن المعتز خصوصا تلك القطعة التي قالها ابن المعتز في سجنه .
 ما لا يُعقل ان يكون قولها والجاحظ على قيد الحياة . تعني = تملت في السجن
 نسج التكك ...

(٢) - تحديته عن ثعلب . و ثعلب تلميذه . والجاحظ لم يحوت مرة عن ثعلب . فقد
 جاء فوله = حدثنا ثعلب عن الفتح ابن خاتان ص ١٣٥ .

(٣) - تليحه لقصة الفرطحي والحجاج . وهذه الحكاية وضعت سنة ٢٩٤ اي بعد موت
 الجاحظ بحوالي اربعين سنة . فكيف يروى ما لم يقع؟ وملخص القصة كما جاء في
 السندوي صفحة ١٤٤ ان ذكره " ريم القرامطة هاجم الحجاج بجيوشه سنة ٢٩٤
 وقتك بهم فتكا ذريعا حتى قالوا ان عدد القتلى كان عشرين الفا .

لكل هذا نميل الى الاخذ بالقول بعدم صحة نسبة الحامس والأضداد للجاحظ .

نأما كتاب الهدايا - لقد قال ياقوت انه ما نسب الى الرجل قديما . وما ان الكتاب ضاع وليس لدينا
 منه ما يمكننا من نقاش هذا الحكم لذا نضطر للموافقة عليه او للوقوف على الحياد من امره .

رابعا - الكتب التي ضاعت xxxxx

بقيت ظاهرة اخرى هي ظاهرة ضياع الكتب . إما باتيان اعدائها عليها . او بحرق
 المكاتب الذي تعدد ونوه خصوصا عند اختلال الامن او بحوامل اخرى كثيرة . وانه لمن المؤسسان لا
 نستطيع ان نعرف كتابا واحدا قد ضاع بتاكيد . كما لم نستطع ان نعرف كتابا واحدا من تلك التي
 تحلها اسما غير في اول عهده . لهذا نقول ان علينا ان نتنظر الاكتشافات القادمة لتعلمنا تنزيل بعضا
 من النقاب .

والخلاصة والخلاصة التي وصلنا اليها لحد الان هي =

- اولا - ان سرد كتبه الموضوعي وصل بنا الى ٢٨٥
 ثانيا - ان سرد كتبه التحقيقي اسقط من هذا العدد ١٢١ - ١٣٤
 ثالثا - ان اقرب عدد من الحقيقة هو ١٥٢ - ١٦٤

المقالة الثالثة في وصف كتيبه

في هذا المقال سنحاول ان ناتي على وصف كتيبه المطبوعة التي وصلت الى ايدينا وقرأناها . ^{مكتوبه} ~~مكتوبه~~ ان نصنفها وصفا موضوعيا دقيقا ^{فيه} ~~نفي~~ لا يجاز مع حُسن الدلالة ، والتعريف جُهد الاستطاعة . لعلنا بهذا نخدم او نرشد او نأخذ بيد من يحب الاطلاع على ادب ابي عثمان . - وللوصول الى هذه الغاية سنتكلم أولا عن كتيبه الثلاثة الرئيسية بشيء من الاسهاب ثم نتحول للتكلم عن رسائله ضمن مجموعاتها التي نشرت فيها . ثم ننتقل للتكلم عن المتفرقات منها .

١ - الحيوان

في سبعة اجزاء . وقعت في ١٠٨٩ صفحة . من الورق الاصفر الذي تقسم صفحاته لثلاثة وعشرين سطرا . وفي مطبعتي السعادة والتقدم . وبين سنتي ١٩٠٥ - ١٩٠٧ . واشرف السامي وتصحيح النعماني ... طُبِع كتاب الحيوان لابي عثمان عروبن بحر الجاحظ . وقد لفت نظرنا قولُ الناشر بعد تسمية الكتاب "الحيوان" - وهذا الكتاب هو " البارع في الادب والجامع في حكم العرب " . مما لم نسمع به من قبل في مصادرنا التي اطلعنا عليها لحسد الان . اُتُمِنَ أين اتى به الاستاذ السامي فلا نفرو .

وحسن بنا أن نقول إن الكتاب لم يُطبع سوى هذه الطبعة . ويجدر بنا ايضا ان نقول انها ملامى بالاغلاط والتشوشات . نكتفي للتعميل عليها بايراد ما يلي من الجزء الرابع . [في ص ٤٩ وُضِعَتْ كلمة وَسِعَتْ بدل سَمِعَتْ . وفي صفحة ١٢٩ كلمة تعرق بدل تعرف بزيادة نقطة على اخر حرف . لم يكن التصحيح هو الغلط الوحيد بل ورد هناك بياض كبير كما في ص ٥٢ ووردت أبياتٌ نافضة كما في ص ٦٢ و ١٠٩ . ووردت اغلاط نحوية كما في ص ٦٨ . وكذلك اغلاط إملائية كما في ص ٩٧ . اما التحريف وما اليه تحدث عنه ولا حرج . فالكفي بدل الكي مستساغ في ص ٩٨ . وابن يعقر بدل ابن يعفر موجود في ص ١١٢ . والقفة بدل القيامة مما لم يضق به صدر الناشر في ص ١٥٤ . - كل هذا بالإضافة الى عدم فصل الجُمْل عن بعضها . وخلط الفقرات دون ترتيب . وخلو كل الكتاب من أية صبغة تزيح القارئ . مثل التنييط والتشكيل و تفسير الصعب . حتى انه بكل سهولة يقال ان الخلاص من كل صفحة لا يكون الا بعد الف حساب . -

نوهنا بهذا ~~لا~~ لننفذ نقدا هداما وانما لنشير الى ضرورة قيام ذوى الامر بطبع الكتاب من جديد لا سيما وان قيمته مما لا تفي بها سطور .

هذا عن طبعاته . اما مخطوطاته فلما نعرف منها اكثر من اثنتين . كلاهما في مكتبة عاشر افندي في اسطنبول . الاولى تحت نمرة ٥٨٤ والثانية تحت نمرة ٨٧٦ .

ألف الجاحظ هذا الكتاب في شيخوخته بدليل ما ذكر من أثر العلة التي كان يعانيها في الجزء الرابع^{١٧٤} . أنه لغرض من أجل الاعراض ونعني به الكلام على جميع الحيوانات صغيرها وكبيرها لانبات وحدة الكون كما صرح بذلك اكثر من مرة في ذات الكتاب^{١٧٥} . ومع ان فرغ منه اهداء لولي امره انذاك الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات . ونال عليه خمسة الاف دينار^{١٧٦} .

لقد كتب عنه الكيرون من قدام^{١٧٧} وسحدثين . مدحه الجرجاني في "الاس بلاغة" بعدم تكلفه بأسلوبه^{١٧٨} . وهاجمه البغدادي في "الفرق بين الفري" بقوله انه سلح فيه معاني ارسطو وضم اليه ما ذكره المدائني من حكم العرب وأشعارها في منافع الحيوان^{١٧٩} . ثم جاء عبد اللطيف البغدادي فاختصره في كتاب اسماء " اختصار كتاب الحيوان " . ثم لخصه ابن حجر سنه^{١٨٠} . الملك الشاعر المصري في كتاب اسماء " ربح الحيوان " . وانه لمن الجميل ان نقول ان كل من جاء بعده وحاول ان يكتب عن الحيوان قد تطفل عليه إما بالنسخ او بالاستشهاد . ونذكر من بين هذه الجمهرة الدميري في " حياة الحيوان الكبرى " . والقزويني في " عجائب المخلوقات " . واحوان الصفا في " رسالة الحيوان " وحتى الابشيهي في " المستظرف " . وغيرهم كثيرين .

اما المحدثون فقد كتب منهم عنه الاستاذ بلاتسيوس في مجلة " ايزيس " . ج ١٤ ص ٢٠-٤٥ محلا ومفرها . وكتب عن ناحيته الحيوانية الاستاذ مصطفى الشهابي في مجلة الجمع العلمي في دمشق ص ٥٠١ سنة ١٩٣١ فاحسن الوصف والنقد . وكتب عنه كذلك الاستاذ نواد انزام البستاني في مجلة المشرق ج ٢٩ ص ٦٢٨ فاجاد الوصف والتلخيص . هذا الى ارشادات كثيرة اخرى وردت في اماكن متعددة لا ضرورة لذكرها .

وليت قيمة الكتاب وقفت عند حد العلم الحيواني اذن لكفى صاحبه فخرا . فما القول - وما من اديب الا تطفل عليه . بل ما من فقيه الا وانتبهه . بل ما من عالم نفس جاء بعده الا وأشار اليه . كثيرة نواحيه . ومتعددة قيمه . وكل كذا نود لو كان وحده موضوع الاطروحه . لركزنا عليه وحاولنا ان نخدم العلم أولا والعلماء ثانيا وابا عثمان أولا واخيرا .

هذا عن نواحي كثيرة من الكتاب . اما عن مادته فالأحسن ان نأخذها متفرقة في كل جزء
الجزء الاول - بالرغم من انه من الصعب وضع أى فهرس لاي كتاب من كتب الجاحظ دون
تكرار ، فقد حاولنا جهدنا ان نقرب من المطلوب فكان لنا ما يلي = نستطيع ان نفسم مادة هذا
الجزء الى اربعة اقسام . القسم الاول مقدمه استغرقت الخمسين صفحة الاولى . تكلم فيها عن سبب
وضع الكتاب . فقال انه اولا مجارة للمنافسة التي كانت بين الشيخين في الكلب والذئب وثانيا
لاستقصاء البحث فيهما ^{١٠-١٥} . ثم تكلم عن عائبي كلبه فسرد اكثر ما الف الى ذلك الحين ورد على
عائبي كل منها ^{١٥-٢٥} . ثم دافع عن موضوع كتابه بقوله ان كل مخلوق مهم وله حله من الخليقة مهما تنه
ولذا يجب علينا ان نعطينه نصيبه من الدرس ^{٢٥-٣٥} . ومعهذا دافع عن اسلوبه الذي يخلط به الجد
والهزل فقال انه لا يستعمل الهزل للهزل وإنما لمساعدة الضعاف ومن لم يعطهم الله الجلد على
متابعة القراءة ^{٣٥-٤٥} . اى انه يستعمل الهزل طريقا موصلا للجد . القسم الثاني في الخصا استغرق
بين ص ٨٥ - ٨٠ . تكلم فيه عن تأثير الخصا في المخصى ومن انواع الخصا ومن اغراضه ثم عن
حكمه في الدين وقال بعدم الاخذ به وهاجم الروم من اجله . القسم الثالث في محاولة بين
صاحب الكلب والديك استغرقت ما بين ٨٠ - ١٥٦ اى الى اخر الكتاب . هذا يذكر مغفرة لصاحبه
وذاك ينقضها . وذا يعيب صاحب الاخر والاخر يدافع . وهكذا . ولقد خُدد بعضهم بحسن
هذا الحوار ومقدرة الجاحظ على اتقان تسخير دفته حتى راح يكتب في "الرسالة " ان الجاحظ
عرف التشيلية . وهذا البعض نعني الاستاذ توفيق الحكيم . القسم الرابع في استطرادات
منتجة . وهذا في الحق ليس بابا انما هو مجموع لاستطرادات كثيرة وقعت متفرقة احببنا ان نورد
لها هذا القسم لنجمعها فيه لانها فيسمة . اشهر هذه الاستطرادات التي تكاد تكون فصولا كاملة .

- ١ . تعداد كلبه ص ٩ والرد على تنقصر اعدائه لها ص ٩ - ١٣ .
- ٢ . في فضائل الكتاب ص ١٩-٣٢ والكتابة ص ٣٢-٤٤ والقلم ص ٢٢ والتأليف ص ٤٢ .
- ٣ . في انواع البيان والدلالات ص ٢٣ .
- ٤ . في الشعر وترجمته ص ٣٧ - ٤٠ .
- ٥ . في تقسيم مخلوقات العالم ص ١٣-١٩ .
- ٦ . في الهجين ص ٦٣ والتهجين ص ٦٨ وملكية الخصى ص ٧٥ .
- ٧ . في النساء ص ٥٧ (٦٠) وطلب الولد ص ٤٩ وقرب الخصى من النساء ص ٧٧-٨٢ .
- ٨ . في التسمية والاسماء ص ١٥٢ الى ١٥٩ .
- ٩ . في اللغة ومفردات متروكة ، مستحدثة ، امثال ، فقه اللغة ، خفايا اللغة ، اداب القول .
- ١٠ . طرائف اخرى لا حصر لها .

الجزء الثاني - لكن اللبكه "او" العبكه" على حد تعبير ~~الذي~~ والتي قابلناها في الجزء الاول تخفف في الثاني كثيرا . وظهر ان لجلاء الموضوع ووضوحه امام الرجل نصيبا كبيرا في ذلك . فما الجزء الثاني بلكينه الا متابعة لمحاورة الكلب والديك مع استطرادات بسيطة في مسائل كلاميه وبيان علاقة الحيوانات مع بعضها من ألفه أو نفرة . وحديث عن الضميرة والخمول والسعادة هو للفلسفة اقرب منه للادب ثم كلام في اصابة العين الى قصص ورائات وأشعار ونوادير منتجة لا حصر لها ولا كبير فائدة في الاتيان حتى على مجملها .

لكن الذى يهمنا هو ان الرجل خصص جزئين من سبعة للدراسة الكلب والديك . فكيف درسهما . وكيف تكلم عليهما . والى اى حد نستطيع ان نمسي كتابه " في الحيوان " . — الحق ان الجاحظ لم يكتب في الحيوان تخصصا وانما اتخذ هذه الحيوانات التي تَعَرَّضَ لها مدارا ومثارا لكثير من الاراء الدينية والحكايات القديمة والاشعار المشهورة والانوال المأثورة وغيرها كثير . ولهذا كان بَحْثُهُ في هذه الحيوانات بحثا ادبيا اكثر منه علميا . واليك نموذج بحسته في الكلب مثلا وجميع الباقيات تنطبق عليه . ~~وصفه~~ وَصْفُهُ الجسدي ثم الخُلُقِي لم ما قيل فيه من امثال واشعار . ثم ما يتلاقى به من لغويات وادبيات . ثم ما حضر عن طعامه وشربه ومناحه وكثير من عاداته . ثم ما جاء عنه في الدين . ثم لعامة بامراضه وفوائده واختلافه . واخيرا ثمره او بعده من الانسان وشرفه بذلك . نحن نقر بالعجز عن اعطاء فكرة واضحة عما قال أولا لكثرة ما قال وثانيا لتباينه وثالثا لعدم ترتيبه . وانما نظن ان في هذا كفاية .

الجزء الثالث - بعد مقدمة استغرقت بين ص ١-٤٥ تكلم فيها عن مادة الكتاب مجعلا ودائع فيها عن اسلوبه الاستطرادي وادبه المكشوف بكل اختصار اورد نُكُتًا ونوادير منفردة ثم اخذ في الكلام على الحمام وبعده الرخم والغاب وعبور اخرى مع اعطاء لمحة سريعة في السمك والضفادع بين صفحتي ٤٥-٩٢ . وبعد هذا راج يتكلم عن الذبان فقال في اهمية صفار الخلق وفي اخلاقيات الذبان ولم يَنْسَ أن يذكر معه النمل والنحل والبعوض وطُيْل الاستطراد في النار وانواعها ثم في كثير من الحيوانات ونومها ص ٩٢ - ١٢٧ . ثم انتقل ليقول بسرعة في الغربان بين صفحتي ١٢٧ - ١٥٦ وفي الجملان بين ١٥٦-١٦٠ وفي الهدهد بين ١٦٠-١٦٣ والرخم ١٦٣-١٦٥ ثم الخفاش ١٦٥-١٦٨ وهذا انتهى الجزء الثالث .

الجزء الرابع - تكلم فيه عن الذرة وما يمكن اقتباسه من اخلاقياتها ص ١٢-١٢٢ ثم عن الخنزير والقرد وخاض في حكايات المسح واكل اللحم ص ١٢-٣٨ .

ثم عن الحيات وخرافات كثيرة عنها ومن الوزن ص ٣٨ - ١٠٢ .
وانتهى بالكلام على النعام مع استطرادات في اللغة والادب ص ١٠٢ - الاخير .

الجزء الخامس - في المقدمة تكلم عن النار ١-٤٥ ومن الماء ٤٥-٤٩ وشرح منهجه ٤٩-٥٢ ثم اورد طائفة من الشعر في الذم ٥٢-٦٦ والاماني كذلك .

ثم تكلم عن العصفور ٦٦-٧٧ والنار ٧٧-٨٨ والسنور ٨٨-١٠١ والعقارب ١٠١-١١٢ والحيات بين ٦٦-١١٢ . ثم افاد في القتل والبرائث والبق والمنكيات ودود القز والنحل والقواد بين ١١٢-١٣٣ . ثم في الحبارى والضان والمغز والضفدع والانسان والجراد والجندب والقطا بين ١٣٣-١٧٠ . ثم اخذ بنوادر متفرقة انتهى بها الجزء واستقرت بين ١٧٠-١٧٥ .

الجزء السادس - بعد مقدمة في انواع الحيوان تكلم في الضب ص ١١ واعاجيبه ص ١٦ واكل لحمه ص ٢٤ وحميره ص ٣٥ . ثم اعطى بضع صفحات لالعب الاعراب ما يندر وجوده في غيره ص ٤٣ . ثم انتقل ليفسر قصيدتين احدهما للبهرائي استغرقت بين ٤٤-٩٢ والثانية لبشر بن المعتز استغرقت بين ٩٢-١٥٠ . وقد حشا بينهما استطرادات في عريف الجان ٥٣-٦٩ وفي نوادر وحكايات واشعار يصعب حصرها تحت عنوان واحد . واخيرا تنبه الى ضرورة الكتابة في الحيوان نواح يتكلم على الضبع ص ١٥١ ثم الورل ١٥٦ ثم الفنفد ص ١٥٧ واخيرا النهد ١٦٠ وهذا انتهى الجزء .

الجزء السابع - لقد اعطى كل المجلد للكلام على حيوانات مختلفة نحرنا من استطراداته . بعد مقدمة قصيرة في الدناع عن الكتابة في مختلف الحيوانات اخذ في مقارنتها من نواحي السمع والشم والبصر والقطر والحيل كذلك . ثم تكلم عن الليل والجاموس والكركدن والاسد وغيرها كبير حتى اتى الى اخر الجزء .

٢ - البيان

قيل : البيان والتبيين * كما هو مشهور ، وقيل * البيان والتبيين * كما في ترجمة دى سنان لوفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٠٥ وكما في مجلة اسلاميكا ج ٤ ص ٢٧٧ س ٣ . وقيل * البيان والتبيين * كما جاء في مخطوطة باريس على رواية بروكلمان . وما لا حاجة للانفاضة فيه اننا نأخذ بالتسمية الاولى لاشتهارها ولذكر الجاحظ اياها اكثر من مرة في ذات الكتاب .

ذكره ياقوت ٧٦/٦ فقال ان منه نسختين اوله وثانيه . ولا ندري ماذا عنى ياقوت من هذا . أترى ان منه نسختين مختلفتين في التحرير ام انهما نسختان لكتاب واحد في الخط؟ وذكره صاحب المروج ٣٤/٨ وذكره ايضا بن خلكان ٥٥٤/١ وكذلك السيوطي ص ٢٩ وكلهم مدحوه .

يوجد منه خمس مخطوطات . الاولى في الاسكوريال نكرة ٢٢٨/٢ . والثانية في لينينغراد من فهرس رون نكرة ١٥٨ . والثالثة في دامادزاد في اسطنبول نكرة ١٥١٤ . والرابعة في ناس نكرة ١٢٥٢ . والخامسة في الموصل نكرة ١/١٥/٢٠٨ . وللإطلاع على تفاصيل ضائيه عن هذه المخطوطات راجع " الجاحظ " من المجلة الاسيويه الالمانية .

طبع اربع مرات . الاولى في القاهرة في مجلدين . الاول منهما وقع في ٢٢٢ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطرا في المطبعة العلمية سنة ١٣١١ وخره (وخطب الوليد نقاب ان امير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عيني الا وانه جلدة وجهي كله) . نسر غريب الناظر لغاية المنزل السابعة السيد حسن افندي الفاكهاني ثم اكمل ذلك الشيخ محمد الزهرى الغمراوى . اما الجزء الثاني فقد طبع سنة ١٣١٣ في ١٩١ صفحة . بدا بكتاب اللحن وانتهى باخر الكتاب الكامل وقد نقص منه الشرح الذى وجد في الاول .

الطبعة الثانية كانت في ثلثة اجزاء . اذ انتبه الناشر الى تقسيم الجاحظ الاصلي للكتاب وقع الجزء الاول منها في ٢١٨ صفحة ووقف على طبعه محب الدين الخطيب الحرر بجريدة المؤيد ولاي/تقع وانفق عليه محمود توفيق الكبي في القاهرة في مطبعة الفتح سنة ١٣٢٢ . الا انه لسوء الحظ حشوه بالاطعاه المطبعية . اما الجزء الثاني فوقع في ٢٩٦ صفحة . انفق على طبعه السيدان الخطيب وهارث الحمايرى . ومن طبعه في مطبعة الجمالية بحارة الروم من ذات السنة . اما الجزء الثالث فوقع في ٢٣٦ صفحة على نفقة المذكورين لكن في مطبعة الفتح الادبيه .

الطبعة الثالثة كانت باشراف السندوبي الذى اهتم اهتماما كائيا باخراجه في احسن حلة . فشرح بعض غريبه وترجم لكثير من الاسماء التي ردت فيه . طبع الجزء الاول منه سنة ١٩٢٦ في المطبعة التجارية ووقع في ٢٥٧ صفحة . اخره " فالبسوا جلد النور " . وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٢٧ في المطبعة الرحمانية في ٢٤٨ صفحة . اخره فول سعيد حفيد حسان بن ثابت .

وان امرا يمسي وضع بحالما من الناس الا ما جنى لسعيد .
في حين طبع الجزء الثالث في المطبعة الرحمانية ايضا سنة ١٩٢٧ في ٢٧٢ صفحة وخره خطبه للحجاج انتهى بها الكتاب .

الطبعة الرابعة للسندوبي ايضا في ثلاثة اجزاء على النسخ السابق . وقد فرغ منه سنة ١٩٣٦ . وهذه الطبعة وان كانت اكثر اناقة من سابقتها الا اننا اعتمدنا السابقة بشكل لقله اخطاها بالنسبة لاختطها هذه .

الا ان الكتاب مع كل هذه العناية التي لم يخل من اثار التشوش واليك بعض الامثلة
اولا تشوش في اللفظ مثل سفار بدل صفار ج ١ ص ٩ وتلخص بدل تخلص ج ١ ص ٣٣ . ثانيا
 اضطراب في الاسماء مثل "ابو الصمت" بن ابي الجنوب بن مروان بن ابي حفصه بدل "ابي الصفط" ٢١/١
 كما يرى في الاثاني ج ٩ ص ٣٧ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٤٦ . ثم "الاسود ابن الكذاب العسلي" ٣٧/١
 بدل "الاسود الكذاب ابن كعب العنسي" كما يرى في تاريخ الطبرى ٦٢١/١ وفهرست ابن النديم
ثالثا تزوير في الجمل وقد انتدينا الى واحدة وردت في المجلد الاول صفحة ٣٢ هذا نصها (وهكذا
 وقع في جميع نسخ الكتاب) . وهذه الجملة مما لا شك فيه دخيله . لكن ترى هل دسها النساخ
 ام غيرهم فلم نستطع ان نعرف لانعدام المخطوطات . وهي تخوفنا من وجود اخريات كثيرات غيرها
 لم نستطع التحقيق فيها لضيق الوقت . واخيرا تحوير في بعض المقاصع . وللتأكد من ذلك فارجو ان
 ج ١ ص ١٢ من البيان ج ١ ص ٩٦ من نهج البلاغة .

كثير الذى قيل في الكتاب ما يدل على عظم اهميته . فالسمودى قال (وللجاحظ كتب
 كجهلهم حسان منها كتاب البيان) . وافتوت قال (ان الاندلسي قال ان شهرة البيان وصلت
 الاندلس و عليه تملذ الكيرون) . اما ابن خلدون فقد قال (سمعنا عن مشايخنا في مجالسهم ان
 اعمدة الادب اربعة احدها البيان والتبيين) . هؤلاء مدحوه لما راوا من قيم فيه . اما بن شهيد
 فقد ذم اذ قال (انه ليس اكثر من جع مشوش) . هذا من القدماء . اما الحديثون فقد اهتموا
 به اهتماما زائدا فكثبوا عنه كثيرا ودرسوه اكثر واحذوا منه نصولا خاصة بصطوها ونشروها لنعم فرائها
 كما فعل الاستاذان النشاشيبي ويديس في " مختار البيان " الذى نشرته مطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٤
 في ٢٤٨ صفحة . وكما فعل قبلهما احدهم في مخطوطة وجدت في الاسنانة قيل ان الجاحظ كتبها
 تلخيصا للكتاب وسماها " المختار من كلام ابي عثمان " طبعتها مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ وطبعته
 القاهرة ثانية سنة ١٩١٠ . ونحن نعتقد ان الجاحظ من هذا التلخيص برا .

هذه نظرات عابرة في مخطوطات الكتاب ومطبعاته وما قيل في اهميته نحب ان نلحقها
 باخرى في مادته لتتم للقارى شبه صورة متكاملة عنه - وان كنا لا ندعي الكمال لان ذلك يحتاج
 لكتاب فام بذاته .

الجزء الاول - الفكرة التي يدور عليها الحديث في جميع الكتاب هي " البيان والفصاحة واللسن " لا كما قيل من ان لا نكرة معينة فيه - وكل ما عداها هو تبين لها وتمثيل عليها . ولهذا اورد الرجل كثيرا من مستحسن اقوال الخطباء والشعراء والنسك والزهاد وغيرهم . كما اورد كثيرا من مستقبح اقوالهم للتوضيح عن طريق المقابلة . ثم راج بعدها يسرد كثيرا مما قيل في مدح البيان واللسان الى جانب الكثير الاخر الذي قيل في ذمهما . وهذا قاده الى كثير من المسائل النقدية التي سنذكر جانبها منها في باب النقد .

ومن هذا نرى ان الرجل اولا حدد غايته وهي الكلام على البيان وما اليه . وثانيا وصف هذه الغاية بالكثير من الاقوال وثالثا راج يمثل عليها بكل ما وسعت جمعيتها من سلب وايجاب متجانس وغير متجانس حتى خيل لقصيرى الخيال الذين لم تتسع افاقهم سعة افاق الجاحظ - ان كلمه مقطع لا رابطة بينه . وللتدليل على ما نقول سنذكر فيما يلي فهرسا لما جاء في هذا الجزء

- ١ . عن البيان تمريفا وتحديد ا وما اليه ص ١-٣٠ ثم ٦٨-٨٢ .
 - ٢ . عن اللغنه وافي عيوب اللسان ص ٣٠-٥٠ .
 - ٣ . عن الخطابة والشعر واللسان ص ٥٠-٦٨ ثم ١١٨-١٤٣ .
 - ٤ . في اقوال مختلفة من نساك ١٥٢ لتوكى ١٧١ لخطباء ١٧٢ لغيرهم ١٤٣-١٩٢ .
- هذه صورة عامة مجمله تساعد القارئ على تفهم الفكرة التي نحن بصددتها . وان كما لا ننكر انه كان يخلط بين الفصول فيدمج جزئياتها بعضها ببعض .

الجزء الثاني - اذا كانت نكرة تعريف الناس بالبيان هي التي شغلت الجزء الاول فان نكرة التمثيل عليها من كل ما حفظ وسمع وحرف - هي التي ظنت على الجزء الثاني . ولهذا سرد الرجل علينا فيه طائفة من اقوال الرسول والسلف الصالح ثم وقف طويلا على الخدابة والخطباء . ومعددا انتقل الى محنرات مختلفة من الصعب وضعها تحت عنوان واحد . يكتفي بالغرض لعدم تجانسها . فللزهاده نصيب كما للحقاف ولاقوال الخلفاء باب كما للتوكى . ولخيرهم وغيرهم كثير . وعلى كل فاننا نعتقد ان فيما يلي كفاية لتنوير السبيل امام القارئ المستجد . فالجاحظ اتى على ما يلي في هذا الجزء .

- ١ . طائفة من اقوال الرسول وهنائه واقوال اصحابه وتابعيه ص ١-٩٧ .
- ٢ . طائفة اخرى من الخطب المنسوبة وغير المنسوبة الطويلة وغير الطويلة ص ٩٧-١١٦ .
- ٣ . ثم بمقطعات لا حصر لها ركز فيها على الانجاز ١١٦ و صفة الراشد ١٢١ واخبار قصيرة ١٢٧ واشعار متفرقة ١٣٢ وخطب مجزوة ١٣٤ وحكم متنوعة ١٤٢ ونوادر طريقة ١٥٣ ولحون طريقة ١٥٥ ونوكيات مضحكة ١٦٤ وضروب من العي ١٦٦

وأخرى من الحمق ١٧٥ وثالثة من النوك ١٨٣ ورابعة من كلام العقلاء ٢٠٤ والخطباء

٢١٢ . تنير الضحكة تارة وتلهب عصب الفلسفة العميقة في النفس تارة أخرى

استغرقت جميعها ما بين صفحتي ١١٦ - ٢٤٨ .

الجزء الثالث - نستطيع ان نقسم هذا الجزء الى ثلاثة فصول متباينة في مضامينها موحدة في
غرضها وتعني به التعليق التعميل على البيان وما اليه . الاول كتاب المعصا والثاني كتاب الزهد والثالث
كتاب متفرقات في افوال مختلفة .

١ - اراد الرجل ان يرد على الشمسية فبدأ بسرد مصلحتها على العرب مثل القتال بالليل
ومعرفة الكمين واستعمال الركب والمفاخرة بالرمح وما اليها . ثم ما زال حتى استنقذ من الرماح الى
المصا لقرب الشبه ثم اخذ في كلام مطول مقطوع عن كل ما يمكن ان يورد في باب المعصا . نتكلم عن
من حمل المعصا . ومن قاتل بالمعصا . وادى الخيل سُميت بالمعصا . ثم راج يطنبني استعمالاتها
وفي اصلها وفي امثالها وفي انواعها وفي كثير من امثال ذلك متذرعاً تارة بمثل سائر او شعر دائر او قصة
سممها ، حتى اتى على اخر الكتاب اى ص ٧٢ .

٢ - اما كتاب الزهد فاقصر من الاول واقل تنوعاً منه . ففي حوالي ٣٠ صفحة سرد
علينا جانباً عظيماً من اسما واقوال زهاد كبيرين . ونلاحظ على مختاراته انه لم يكن متعصباً زميناً
بل كان حراً معتدلاً . تارة ينقل ما يحسن على الزهد وترك الدنيا واخرى ينقل ما ينفر من الزهد
ويحسن طلب الحياة . وفي كلا النقلين يحسن القارئ بذات الحرارة .

٣ - هذا من حيث الاولان اما الثالث والاخير اى كتاب المتفرقات فهو مجموعة افوال
واشعار وخطب وقصص ونوادير لا يمكن ان يجمعها عنوان غير " متفرقات " . الا انه يبرز من
بين هذه المتفرقات نصل في الادعية واخر في بني امية وثالث في بني العباس ورابع في الشعر .
ولكي تكمل صورة الجزء الثالث واضحة نقول ان مادته تتلخص في ثلاثة كتب وقعت كما يلي =

اولا - في المعصا بين ١-٧٢

ثانيا - في الزهد بين ٧٢-١٢١

ثالثا - في متفرقات بين ١٢١-٢٧٢ .

اذا كانت قيم الحيوان اكثر من ان تحصر لتتبعها وسعة اناقها ، فان للبيان فيها
محدودة محصورة واضحة لكثرة ما ركز عليها صاحبنا . اولها القيمة الادبية وذلك لما جاء فيه من

نصوص نثرية من خطب وقصص واثقال واقوال . ولما جاء فيه من نصوص شعرية من تصائد مطولة ومقطعات مختصرة . ولما ورد فيه من لحاح نقدية متفرقة سنحاول جمعها والكلام عليها في باب النقد . واخيرا شذرات لغوية تسربت بالتضاعيف سنجمعها عند الكلام على لغة الرجل . وثانيها القيمة الدينية وتظهر بارزة جليلة في كثره الاقوال الزهدية والفكرية والفقهية والتفسيرات الغرائبية التي اوردتها في الكتاب خصوصا في الباب الذي خصصه للزهد . مما سننتكلم عليه في بيعرن التفصيل عند كلامنا على دين الرجل ونوعاته وميوله الخاصة به . وثالثها القيمة التاريخية لما ذكر مطولا عن بني امية وسرد مفصلا عن بني العباس وترجم مختصرا لكثير من الشعراء والادباء . واخيرا لما نقل من كتب ومكتبات وتواصي تعد بحق نعم الاصول التاريخية .

٣ - البخلاء

اضرف كتبه واخفها روحا وادفها وصفا ولعمقها موضعا . فسد فيه الى البخلاء يعالج مشكلتهم ويورد آرائهم ورد عليهم ويتهمك بهم حتى لا ينتهي قارؤه منه الا وهلى لسانه فانتلك الله يا ابا عثمان ما اظفرك ولعن الله البخل واخرى الحرص وجبننا الطمع .

طُبِعَ الكتاب لحد الان اربع طبعات اطلعت عليها جميعا . الاولى في مطبعة لايدن سنة ١٣١٩ . اشرف عليها السيد نون فلوتين . وقد جاء مضبوطة وسدقا فيه على عادة المستشرقين لولا نقصان الشرح والارشاد . والثانية في مطبعة الجمهور بمصر سنة ١٣٢٣ على ورق اصفر في ٢٠٥ صفحات . التزم طبعها السيد ساسي والحفا بفهرستين للقواني والاسماء السيد محمد مسعود الحرر بجريدة المؤيد . اما عن اغلاطها وتشوheitenها فله تسل . والثالثة في مطبعة ابن زيدون بدمشق سنة ١٣٥٧ في ٣٧٥ صفحة . اشرف على طبعه نخبة مختارة من اعضاء المجمع العلمي هناك . وهذه الطبعة جاءت احسن من سابقتها اذ قدم لها الاستاذ احمد امين بمقدمة تلقي ضوا كبيرا على مادة الكتاب وتساعد القارئ على فهم روحه ، هذا بالإضافة الى اهتمام الناشرين بتحقيق كثير من المفردات ومقارنتها حسب ورودها في شتى المخطوطات . كما اعطوا عناية خاصة بتفسير اكر الغريب . ووضع عناوين صغيرة في الهامش تمكن المطالع من فهم ما يريد ان يقول الكاتب بسرعة . هذا الى فهراس كثيرة الحقت باخره واستغرقت بين ص ٣٧٩-٤١٣ جاء فيها فهرس بالمونوجات ص ٣٧٩ واخر بالايات الكريمة ٣٨٩ والثاني وثالث بالاحاديث الشريفة ٤١٠ رابع بالامثال ص ٣٩٢ وخامس باسماء الاطعمه والاشربة ص ٣٩٥ وسادس باسماء الاعلم ص ٣٩٦ واخير بالكتب ص ٤١٢-٤١٣ .

نفول لقد اهتم الفهم اهتماما كبيرا لاجراء الكتاب على احسن صورة ولكن " المين
بصورة واليد قصيرة " كما يقول المثل . فكثير من المفردات الصعبة لم يُفسّر . وكثير من الاسماء
الغريبة لم يتعرض له . كما ان كثيرا من المتعاونين كانت مغللة ، عدما حير منها . لهذا
قام الاستاذ الجارم وصديقه الموامري بطبعه طبعة رابعة في دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨ .
وقد تم لهما ذلك في جزئين كل منهما في حوالي ١٥٠ صفحة . ولا يسعنا الا ان نقول ان
هذه كانت احسن طبعته بالرغم من اننا اعتمدنا الطبعة الثالثة في ترتيبنا لان هذه الاخيرة
وقعت بايدينا متأخرة . وقد ترجم السيد نون ريشر منه فسمّا كبيرا في سلسلة تراجمه
لكبار ادباء العربية بين صفحتي ٢٦٧ - ٤٨٨ .

والان لماذا الف الجاحظ هذا الكتاب . ومتى الله . وما هي موضوعاته .
اما لماذا الله . فجاوبا على سائل ارسل له يذكر انه فرا كتابه في تصنيف حيل لصوص
النهار وفي تفصيل حيل سراق الليل وانه لعجب بهما ص ٣ . وطلب منه ان يحدثه ساخرا
مستهزئا عن البخلاء وان : " وان يبين له ما الشيء الذي خيل غفلهم وانسد اذهانهم ... ص
نعرفوا عيوب الناس ولم يعرفوا عيوب انفسهم ص ٧ ورجوه ان يذكر له من احتجاج الاشياء ونوادير
البخلاء ما يطيب به الحال ص ١٠ . " فاجابة على ذلك كتب الكتاب .

اما متى الله ففيه اختلاف . فقد قال الاستاذ احمد امين في ضحى الاسلام ص ١١٤
" انه الله ايام المهدي الكريم لينه بايام المنصور البخيل " . وعلى هذا فالكتاب قد كتب في ايام
المهدي على راي الاستاذ احمد امين . الا اننا نرى ان الرجل كتب كتابه في تاريخ متأخر .
فالجاحظ لم يذكره في الحيوان ولا في البيان ولهذا فمن المرجح ان يكون قد كتبه بعدهما .
وهو هذا قوله في ص ١٩٦ من الكتاب نفسه على لسان بخيل اوقعته الايام المنحوسة ذات ليلة
في داره وفاقه الطر عن الخرج ، يحاوره هذا البخيل لثلا ياكل مما اتى به من جام اللبا وطبق
التمر (فلما مدتت قال = يا ابا عثمان انه لبا وظلظه وهو الليل وركوده . ثم ليلة مظر ووطوه .
وانت رجس فـ طمعت في السن ولم ترت تشكو من التالنج وما زال التليل يسرع اليك ...)
والطمع في السن والشكوى من التالنج لا تكون (خصوصا وان ذكر الكتاب لم يرد في الحيوان ولا في
البيان) الا بعد سنة ٢٤٧ اي في الوقت الذي تراجع فيه الجاحظ للبصرة يشكو العرض وكبر السن .
وعلى هذا يكون قد كتبه بعد سنة ٢٤٧ لا كما خيل للاستاذ احمد امين .

هذا عن وصف العام وطبعاته ومخطوطاته وادائع كتابته ووفتها . اما عن مادته فاليك

شبه فهرس بها . ولنذكر ان فهرست البخلاء من اسهل الامور لقلة استطراد الجاحظ فيه

(١) - مقدمة في الدافع للتأليف وفائدته وقصده منه ونظرة في النحك والبكا ٣-١٥ .

(٢) - ثلاث رسائل في البخل . الاولى لسهل بن هارون بين ١٥-٣١ . والثانية لابي

العاص بين ٢٤٣-٢٦٦ . والثالثة لابن التوام بين ٢٦٦-٢٧١ .

(٣) - قصص متفرقة في البخل اشهرها قصص المسجدين واهل خراسان وغيرهم ٣١-٢٤٢

(٤) - في فصل في اطعمه العرب بين ٣٣١-٣٧٥ . وهو اخر الكتاب .

اما قيمته فاحرى بالذكر بينها الا ان اول تلك المقدره على تحليل النفس البشرية ومعرفة
دخائلها . نانيا تلك المهارة في النمز واللمز والسخرية من الكبريين وخصوصا من الاصدقاء . دون ان
يثير حفيظتهم . واخيرا تلك الغاية النبيلة في معالجة مشكلة خلقية او مجتمعية طالما اُثرت في
سير المجتمع . بالاضافة الى نواحي اخرى اقل من هذه اهمية برزت اوضح في باقي كتبه فلا داعي لاعادتها..

لحد الان استعرضنا بشبه تفصيل كتبه الرئيسية الثلاثة . نعني الحيوان
والبيان والبخلاء . والان نتقل للكلام على رسائله الثانية مما استطعنا الوصول اليه . هذه الرسائل
ظالمناها اولاً في هامش الجرس الثاني من كامل المبرد طبع القاهرة سنة ١٣٢٤ . وثانياً في مجموعة
رسائل احتوت احدى عشرة رسالة من طبع القاهرة سنة ١٣٢٤ ايضاً . وثالثاً من مجموعة رسائل
اخرى احتوت على ثلاث رسائل نشرها في القاهرة السيد يوشع نوئيل سنة ١٣٤٤ . ورابعاً من مجموعة
رسائل ثلثة احتوت ثلاثاً نشرها السيد فون فلهوتن في لايدن سنة ١٩٠٣ . وخامساً من طراز
الخفاجي الذي نشر في القاهرة سنة ١٣٢٢ . وسادساً من مجموعة رسائل نشرها السندوبي في
القاهرة سنة ١٩٣٩ . وسابعاً من مراجع اخرى متفرقة تجدها عند وصف كل كتاب مثل صح الاعشى
ومجلة المجمع العلمي العربي في الشام ورسائل اخرى نشرت كل على انفراد مثل الحنين الى الاوطان
والدلائل والاعتبار وسلوة الحريف والعرافة والزجر على مذهب الفوس وغيرها كثير . رتبناها على حروف
الهجاء ليسهل الرجوع اليها عند المراجعة .

١ - استنجاز الوعد = رسالة قصيرة منشور منها نصول في المجموعة بين ١٧٢ - ١٧٧ وفي هامش الكامل الثاني بين ٢٢٠ - ٢٢٧ . مخطوطتها موجودة في الطلق البريطاني نمرة ١١٢٩ / ٢.١ وجمها الى ابن ابي الفضل بقوله (كان ابو الفضل اعز الله على ما قد بلغك من البر بالوعد وسرعة الانجاز ... وتقول العرب من اشبه اياه فقد ظلم ^أ) يستجزه وعدا يظهر انه كان قد قطعه له . ولا قيمة خاصة للرسالة .

٢ - استحقاق الامامة = منشورة في هامش الكامل الثاني مرتين . الاولى بين ٢١٢ - ٢٢٠ والثانية بين ٢٦٩ - ٢٩١ . ومنشورة في رسائل السندوي بين ٢٤١ - ٢٦٠ و مترجمة في ريشر بين ١٦٨ - ١٧٩ . ومخطوطتها موجودة في الطلق البريطاني نمرة ١١٢٩ / ٢.٠ ومن المنشور نلاحظ ان الرسالة هي ذاتها التي سترد بعنوان " بيان مذاهب الشيعة " .

٣ - استظالة النعم = منشور قسم منها في طراز الخفاجي في ص ١٠ . ولم نفع على ذكر لمخطوطتها ... جعلها الخفاجي محور كلامه في مجلسه السادس في جلة كلام من كلام الحكماء والشعراء . وقال (صنف الجاحظ في هذا " اى في موضوع المجلس " كتابا اسماء استظالة النعم . ولهموشنج الحكيم كتاب يسمى " جودان - خرد " مدحه الجاحظ وفيه كلام جليل . ولاسن مسكويه كتاب مثله . وقتت عليها جيما واخترت منها نبذا جبيلة وحكما رفيعة لهذا المجلس ^٢) .

٤ - بني امية = نشرها السندوي في رسائله بين ٢٩٢ - ٣٠٠ . ولم نفع لها على مخطوطة ... انا المنشور منها يشير الى شدة كره الرجل لبني امية . حتى ان اقل ما توصفيه انها شواظ من نار سلطه الجاحظ عليهم . فما ترك لهم مكرمة الا انتقصها ولا نقصة الا ارسلها في البوق .

٥ - بيان مذاهب الشيعة = منشورة في المجموعة بين ١٧٨ - ١٨٥ و مترجمة في ريشر بين ١٩٧ - ٢٠٤ . ولم نفع لها على مخطوطة . وقبل الكلام عليها نحب ان نشير الى ان هذه واستحقاق الامامة التي تكلمنا عليها تحت نمرة ٢ رسالة واحدة تعدد عنوانها قسم فيها الشيعة لثلاثة = روائض و شيعة واخرون لا قيمة لهم ص ١٧٨ . ثم تكلم عن سبب اجمعهم على تأييد علي ص ١٧٨ . وابدى رايه في ضرورة وجود الامام ص ١٨٤ . ووضح موقفه من العلاقة بين الامامة والنسب ص ١٨١ ... ومنها يُشتم ان الجاحظ يرى بضرورة الامامة

على حد القول (لا يصلح القوم نوصي لا سراة لهم) وثانيا انه يُقَرّ بضرورة وجود الطبقات على حد التعبير (ولا سراة اذا جهالهم سادوا) . وقبل ان نتركها نحب ان نشير الى انها فنون مختارة وليست رسالة كاملة .

٦ - التبصر بالتجارة = رسالة قصيرة منشورة في مجلة المجمع العلمي العربي بالشام مجلد ١٢ بين صفحتي ٣٢٦-٣٥١ . ولم ننع لها على مخطوطة . . . كتبها الجاحظ ردا على سائل ساله ذلك . فذكر له فيها (كيف يمكن ان يميز الغث من السمين والذهب الحالك والغضبة المنقوشة لثلا يخدع ص ٣٢٧ . وغيرها من الجواهر ص ٣٢٨ . ثم انتقب ليحدثه عن معرفة احسن الطيب والعطر والروائح الطيبة ص ٣٣٢ . ثم تطرق الى احسن ما يُجلب من البلدان المختلفة مثل السلع والجواري ص ٣٤٠ . ثم احسن ما ينتقى من الطيور والجوارح ص ٣٤٨ . وأتى الرسالة بحكمة جميلة هي (وهم سابور الملك انه ليس ينبغي لعامل ان يعتمد بقول سبعة من الناس = بقول السكان والدلال والضحك والعليل والعراف والنساء ص ٣٥١) . وقيمة الرسالة نصائحها الاقتصادية والتجارية . اما ما يستنتج منها فهو ان الجاحظ اذا شئت نسبته اليه كان على جانب كبير من المهاره والحدق بالتجارة . ولعل " ولعل " لبيع السمك والحبر بـسيحان " اثر في هذه الدرره .

٧ - التربيع والتدوير = منشورة أولا في المجموعه بين ٨٢-١٤٢ . وثانيا في فلوتن بين ٨٦-١٥٧ وثالثا في رسائل السندوبي بين ١٨٧-٢٤١ . رابعا في هامش الكامل الاول بين ٤٠-٩٧ واخيرا مترجمة في ريشر بين ٢١٢-٢٥٥ . اما مخطوطاتها فلم نعر منها الا على واحده موجودة في ملحق المتحف البريطاني تحت نمره ١١٢٩/٣٠٠ . في هذه الرسالة يقول الجاحظ ان ابن عبد الوهاب لا يفهم نفسه ولا يعرف حدوده . وقد ارجح الناس منه ذلك . فلعننا نفع تبعه اتهامه نفسه وايقانه عند حده ص ٨٢ . والطريقة الى ذلك بسؤاله اسئلة من كل ما هب ودب يعجز الفلم عن الاحاطة بهاص ٩٠ وما بعدها . لكن يظهر ان تعجيزه بهذه الاسئلة لم يكن ولذا بدلا من السخرية راح يكل له بالصاع الكبير ص ١٠٠ وما بعدها . لكنه عاد يعتذر له عن شدته في حملته ويقول له ان النية في كل ما قال كانت صائيه ص ١١٢ ثم اخذ في تعجيد وتليس اتهامه كما يقولون ص ١١٣ . وهنا استطرد في المزاج مبينا ضروره وحدوده ص ١١٠-١٢٢ وفي المرا' كذلك ص ٨٤ ثم اخذ يحذره وينذره فكانه يقول له " ان نيتي صائيه فحذار ان تغضب والا . . . ص ١٢٦ وما بعدها " .

وميزة الرسالة أولا بدالاتها على سعة افاق الجاحظ . ولو لم يكن له الا هذه الاسئلة

الكثرة لكفاء مقدرة . ثانيا بدالاتها على نوتة ^{وهي} قدمه في السخرية وحسن التصرف بها .
واخيرا بانها قطعة كاملة تُستنتج منها كرسفات اسلوبه الانشائي لانها تعبير روي عاطفي .

اما متى كتبها . فنظن ان ذلك كان منه في طور الشيخوخة لقوله
(وقد تعجب اناس من اطالتي ومن كثرة مسالتي وتعجبي من تعجبهم اشده والذي
كان من افكارهم اعظم ولو رغبوا في العلم رغبتى واوا فيه مثل رأيي وكانوا قروا
كتابي اليك في شبيبتي وايام شباب رغبتى لاستقلوا ما استكروا ... ص - ١٢٦) واذا
كان يستنتج من هذا شي* فهو اولا ان التريخ ليست الاولى التي يكتبها لابن عبد
الهباب الثانية . وثانيا ان الاولى كانت في عهد الشباب وان هذه في عهد الشيخوخة

٢ - تفضيل النطق على الصمت = نشرت في المجموعة بين ١٤٨ - ١٥٤ . وفي هامش
الكامل الثاني بين ٢٢٢-٢٣٧ ومترجمة في ريشر ١٨٢-١٨٦ . ومخطوطتها موجودة في ملحق
المتحف البريطاني نمرة ١١٢٩/٠٠٢٢ . كتبها ردا على من ارسل اليه بفصل الصمت . وبراينه
على تفضيل النطق هي اولا انه واسطة التعبير عن الخاطر ص ١٤٩ وثانيا ان لؤلؤه لما وصلت
البشر رسالة الاله ص ١٤٩ واخيرا المدح الكثير له من سبق ص ١٥٢ . لا ميزة خاصة للرسالة
الهم الا ظهور ^{وي} منطقية فية فيها ص ١٥٠ .

٨ - الجد والهزل = منشورة في مجموعة بول كراوس والحاجري بين ٦١-٩٩ . ومن مخطوطاتها ثلاث
الاولى في المتحف البريطاني نمرة ١١٢٩/١٣ والثانية في داما ابراهيم نمرة ١٤٩/٦ والثالثة في الموصل
نمرة ٢٦٥/٠٠٩ (يظهر) ان الجاحظ تشاجر وابن الزيات نهضم الاخير بعض حقه وجناه .
فاستثار هذا عاطفته واستشاط غضبه فكتب الرسالة تارة يهزل بما فعل ابن الزيات وتارة يجد في
تأنيبه . وعلى كل فخلص ما قال اولا ان لا حقلك يا ابن الزيات في كل هذا الجفاء ص ٨٨ لان
ذني ايسر من ان يذكر ص ٨٧ . انما والحس يقال انت رجل اهج ثور لطيران ذبابة ص ٦٩ .
وجميع الرسالة على هذا الفوال بؤادة عنصر الهزل ... وعلى هذا فمن الطبيعي ان يكون قد كتبها
ايام التحاف بابن الزيات لهذا الغرض الذي ذكرنا ... اما ميزتها الخاصة فهي قدرة الرجل على
خلط الجد بالهزل في قالب يستسيغه ابن الزيات ^{ورضى} ~~للمهزلة~~ من بعده عليه .

٩ - الحاسد والمحسود = منشورة في المجموعة بين ٢-١٣ وفي هامش الكامل الاول بين ٢-١٦
ومترجمة في ريشر بين ١٨٠-١٨٢ . يوجد لها مخطوطة في ملحق البريطاني نمرة ١١٢٩/١ .

بعد ان عَرَفَ الحسد ص ٥ مثل عليه ص ٧ ثم ذكر ان الكبر والفخر وانكماش العاصد من مرافقاته ص ١٢-٧ . وانتهى بنصائح لسايله ان لا يامن الحسد ص ١٠ وان لا يخالطه عندما يعرف منه ذلك ص ٩ ... ولا ميزة خاصة للرسالة اللهم الا في الوصف الدقيق للتخير الخلفي الذي يصيب الحسد . ولعل لكثرة رؤيته ذلك في احساده انرا . ثم

١٠ - الحجاب = مشورة في صراز الخفاجي بين ٧٣-٩٧ وفي رسائل السندي بين ١٥٥-٨٧ غرضه جمع ما قيل في الحجاب ص ٧٣ . والحجاب يعني حجاب القصور لا النساء . ويستنتج منه انه ضده . اما المادة التي اتى عليها فاليكها = ما قيل في النهى عنه ص ٧٣ . من عهد الى حاجبه ص ٧٤ . سبب الحجاب ص ٧٦ . من ينبغي ان يُتَخَذَ للحجاب ص ٧٦ محل العاجب وموقفه ممن يحجب به ص ٧٧ . من عُوْتِبَ على عجباه او هجي به ص ٧٨ . من عاتب على خجابه والاذن لغيره ص ٩٣ . من مدح بزع الحجاب ص ٩٥ . من اُمل حجابيه ولم يُضْمَ عليه ص ٩٦ . وآخره " وهذا اخر كتاب الحجاب " ص ٩٧ لعد شك السندي في صحة نسبته الى الجاحظ . اما نحن فلا نشك . اولا لان كثيرا من مادته قد ورد في البيان والتبيين . وثانيا لان اسلموه وكل ما جا فيه جاحظي صرف . ولا نعرف السبب الذي دعا السندي لعل ذلك ... اما فية " الحجاب " فاجتماعه اخلاقيه كما يظهر من البحث . ولا نعرف لا متى ولا لماذا كتبها .

١١ - حجج النبوة = مشورة في هاشم الكامل الاول بين ٢٢٥-٢٩٦ ثم في هاشم الكامل الثاني بين ١-٥٦ . ثم في رسائل السندي بين ١١٧-١٥٤ . واخيرا مترجمة في ريشر بين ١١٢-١٥٩ . اما من منطوطاتها فلم نجد الا التي ذكرت في ملحق المتحف البرياني تحت نمرة ١١٢٩/٥٠٠٨ . جمع هذه الحجج لتنوير الجاهل وافهام العالم على حد تعبيره ص ٧ . ثم اخذ يتكلم عن ضرورة اختلاف طباع البشر لضرورة صلاحهم وليبيان فضل العقل ص ٢٣ فقال (سيحان من حبيب الى واحداهم ان يسي ابنه محمدا وحبيب الى اخر ان يسميه شيطانا وحبيب الى اخر ان يسميه عبدالله وحبيب الى اخر ان يسميه حمارا ... لان الناس لولم يخالف بين علمهم اختيار الاسماء وجاز ان يجتمعوا على شيء واحد كان في ذلك بطلان العلامات ونسداد المعاملات ص ٣١) . الا انه يرى ان هناك امورا يجب ان يتفق الكل فيها مثل الاقرار بنبوه محمد ص ٤٠ كما ان هنالك امورا اجمع على الخطا بالايان بها مثل تاليه عيسى ص ٤٨ والكتاب كما ترى قيمته دينية صرف ومنطقية كلامية بالدرجة الثانية واحفظ على صاحبه شبه تقرب من الحق لا يقال عنه تزمّت او انقغال .

١٢ - الحنين الى الاوطان = منشورة لوحدها في رسالة كاملة نشرها واجدها الاستاذ طاهر الجزائري ووقف على طبعها عيد الفتح قتلان في مطبعة النار في القاهرة سنة ١٣٢٢ . والرسالة في مجملها عبارة عن مجموعة ماثورات شعرا ونشرا في الحنين الى الاوطان . اما الدافع الى كتابتها فهو ملاحظة الجاحظ ان الانسان مهما تظاهر بالاستغناء عن الوطن فانه يحسن اليه حنين الابل الى اعطانها ص ٧٠ .

١٤ - الدلائل والاعتبار = نشرها في رسالة كاملة الاستاذ محمد راغب الظبيك سنة ١٣١٦ في الطبعة العلمية بحلب في ٧٨ صفحة . والرسالة بكاملها عبارة عن نظرات في كل ما يحيط المرء من ما "وهو" وخلقوات حية وغير حية والاستنتاج منها انها صنع خالق واحد مدبر يسير هذا الكون لغاية عاقلة .

١٥ - ثم اخلاق الكتاب = نشرت ضمن رسائل فنكل بين ٤٠-٥٢ م في ريسو بين ٦٧-٧٨ . وقد عثرنا من مخطوطاتها على اثنتين الاولى داماد ابراهيم نورة ١٤٩١/٣ والثانية في الموصل نورة ١٣٦٥/١٣ . . . كتبها ردا على من ارسله يمدح اخلاق الكتاب . وذلك من قوله "حفظك الله وابقاك وامتع بك . قرات كتابك ومدحتك اخلاق الكتاب ونعالم ووصفك فضائلهم . ونهسته" ثم ياخذ في الهجوم المر والنقد اللائع . فيذكر كثيرا منهم ويمثل على عيوب كل من ناحية . قال ان العظام لم يكونوا كتابا ص ٤٢ ، ثم راح يريهم بكل خلق صغير مثل الذل . ومن امثلة ذلك قوله (سعد ابن ابي سرح كان اول مرتد . وصاحبه بن ابي سفيان كان اول تاجر . وشمان ابن عقان ذمه من ذمه من اولائاه . وزناد بن ابيه ظهرت الجبرية في ايامه ص ٤٠ . وابن المدبر كان مثلا في الخب والمكابرة ص ٤٥ . وسالم كان اشد الناس غلطا واضعفهم راي . وعبد الحميد يتحامله على نصر بن سيار انقضت عليه خراسان . وعبد الله بن الققع اغرى بني العباس . وعبد الله بن علي كان جزاؤه القتل . اما يونس بن ابي نوة فقد كان زنديقا . وسزد ابعادان كان ~~مؤلف~~ سنويا . والطوسي انتشرت معه الساية ضد المامون في العراق . وابو عباد كان سحيقا حديثا . في حين كان رجاء بن ابي الضحاك اظلمهم واغشهم ص ٤٧ . وابن يزدان كان اشفاقهم اما ابراهيم بن اسمعيل بن داود واحمد بن يوسف فقد امتحنهم المامون فنعسا واستنهبهم في الاعمال ففشلوا ولم يعملوا على شيء حتى هلكا . واحمد في نفسه كان مانونا في حين ان ابراهيم كان حاسبا فقط . والحنن ابن ابي شرف بهدله غروره ص ٤٨ . والان انتقل الى غيرهم

تجد حميد بن عبد الحميد تسامح فائسد ومحمود بن عبد الكريم تملك فظلم فأكسب السبة
 اما زيد بن ايوب فقد عمل في ديوان الجند اربعين سنة صار في اخر ايامه فوادا ليحيى بن اكرم
 ص ٥٠ . الى هذه الدرجة وصل به التنقص والى هذا الحد امتد به الهجوم على الكتاب . . .
 والان لماذا كُتِبَها . لا نعرف . اللهم الا انها جواب لذلك السائل . الا اننا نضيف ان
 الدافع النفسي كان كرهه وحقد عليهم بعد الخروج من الديوان . . . اما قيمتها فمتشعبة . فهي
 جميلة لظهار طول نفس الجاحظ في الهجوم ودقته في النقد وراعته في السخرية خصوصا في قوله (يتوهم
 الواحد منهم اذا عرّض جبينه وطوّّل ذيله وقص على خدعه صدغه وتحدف الشايرتين على وجهه) انه
 المتبوع ليس التابع وانه الطليق فوق المالك . ص ٤١)

١٦ - الرد على النصارى = نشرت في مجموعة فنكل بين ١٠ - ٣٨ وفي هامش الكامل الثاني
 بين ١٤٨ - ٣١٩ . اما مخطوطاتها نلّسوا الحظ لم نفع منها الا على واحدة في ملحق المتحف
 البريطاني تحت نمرة ١١٢٩ / ٢٨ . . . قال الجاحظ " اما بعد فقد قرأت كتابكم . ونهت ما
 ذكرت من مسا ئل النصارى قبلكم . وما دخل على قلوب احداثكم وضعفائكم من اللبس . والذي خفتموه
 على جواباتهم من المجز . وذكرتم انهم قالوا - - - وانهم رموا - - . اما نحن فنسقول في جميع
 ما ورد علينا من مسائلكم ولما لا يقع اليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والادلة
 الاضطرابية . . . ونسأله تعالى القصد في القول والعمل وان يكون ذلك لوجه ولنصرة دينه . انعزيب
 مجيب ص ١٠ ثم ١٣) . هذا هو غرضه . رجل كاتبه يشكو صموة اسئلة النصارى لقومه ويستعين به
 عليهم . فيعده بالاجابة لكن كيف ذلك .

اولا = اورد مسائل النصارى من حيث انكارهم نكلم عيسى في العهد ص ١٢ وانهم لم
 يتخذوه الها ص ١٠ ومن حيث تهكمهم بالمسلمين اذ قالوا ان نرجون خاطب هاما ن فلل وهو غير
 ممكن ص ١١ ومن حيث ان كثيرين قبل ذكرها سمو باسمه ص ١١ وغيرها كثير .
ثانيا = اورد فصلا في اخذاع العامة وقال ان سبب ذلك كره الناس لليهود لطول
 جبرتهم ص ١٣ ثم لعلط هاته الناس في تاهل اية ايوه الله ص ١٤ ثم لان المسيحيين ذرو حضارة
 قديمة ص ١٥ واخيرا لضيق افاق اليهود ص ١٦ .

ثالثا = اتبع هذا الفصل بطعن ايجابي في النصارى . فقال ان دينهم غامض وفاسد
 ص ١٨ كيف لا ولم يتفوقوا على صيغة واحدة للانجيل ص ٢٠ وقال هم قليلوا رحمة لانهم افروا
 الخصاء ص ٢١ ثم انهم يستعملون الحيل لافساد ديننا على عامتنا فلنحذر تسادهم ص ١٨
رابعا = بدأ بالرد المقصود . فدار حول حكاية إحياء الموتى التي يدعيها

النصارى وفندها ص ٢٣ . ثم افاض في مسألة خليفة الله للناس وأبان نسادها ص ٢٥ ثم اطلال
في ابوه الله واجاد وابعد في دحضها وفندها ص ٢٥-٢٣.

خاصا = بعد ان فرغ من حساب النصارى مال على اليهود فذكر
انتقائاتهم على المسلمين خصوصا في قولهم ان الله يستقرض من الناس (ومن يقرض الله قرضا حسنا
يضاعفه له) وفي قولهم يد الله مفلولة وفي قولهم ان عزير ابن الله .

سادسا = وبعد هذا اورد فصلا جميلا حشاه بأسئلة طريفة طلب من
النصارى واليهود الاجابة عليها ان كانوا حقا على حق . تذكرنا بأسئلته لابن عبد الوهاب .

هذه هي الرسالة . ولنذكر انها فصول مقطعة وليست كاملة . وكما
نود لو كانت كاملة لانها ذات قيم خاصة . اولها استعمال المنطق الصرف في الحجاج . وثانيها
اجابة دقيقة على غمزات الكفار للدين الاسلامي . وثالثها ايراد غمزات الجاحظ لاديانهم . مما
يشير الى قوة الحجاج الديني في تلك الايام . لكن يا ليت ...

١٢ - الزيدية والرافضة = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ٢٩١-٣٠١ . وهي ذاتها
المنشورة في مجموعة فنسكل بعنوان " بيان مذاهب الشيعة " .

١٨ - سلوة الحريف = وهنوانها الكامل هو سلوة الحريف بمناظرة الربيع والحريف . نشرتها
مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ مع رسالة اخرى في الشيب والشباب . وقد استغرقت بين صفحتي
١٠٢-١٣١ . اما موضوعها مناظرة بين صاحب الربيع وصاحب الحريف لتبيان محاسن وفنائل كل
منهما على حدة .

١٩ - الشارب والمشروب = منشورة اولاً في هامش الكامل الثاني بين ٢٥١-٢٦٩ وثانياً في رسائل
السندوبي بين ٢٧٦ و ٢٩٦ . هذه الرسالة نشرت بهذا العنوان وهي تحوى كل ما قيل ان
له من كتب في المكر . واليك السبب . قال في المقدمة (= سأتكلم لك عن الشارب والمشروب وما
فيهما من المدح والعيوب وساميز لك بين الانبياء والخمر وان ارضك على حسد السكر . وان
اعرفك السبب الذى يرغب من اجله في شرب الانبياء وما فيها من اجتلاب المنفعة وما يكره من نبيذ
الاهية) ... ومن مجموعها يستنتج اولاً انه يحرم الخمر ص ٢٦٢ . لكه يحلل النبيذ ص ٢٦٣
وان له اطلاعا واسعا على كل الاشربة لانه عدد كثيرا منها . كما ان له نفسا مدققة

نفذت الى اعناق نفس الشارب فوصفتها باسملوه الشيق الجميل . في الرسالة كبير من السجع لم يعودنا اياه الجاحظ . وفيها تبرز ناحيته الدينية الحرة واعتماده على العقل دون غيره في حل قضايا الدين .

٢٠ - رسالة الشكر = منشورة في صبح الاعشى جزء ١٤ ص ١٧٣-١٨١ . قدم لها بمقدمه في ماهيه الشكر ثم اخذ في سرد اربعة اركانه . وهي على رايه العلم بموقع النعمة من المنعم اليه ثم الحرية البالغة على حسب المكافاة واستحسان المجازاة ثم الديانة بالشكر والاخلاص للمنعم واخيرا وصف ذلك الاحسان باللسان البين . اخرها " ومقلة العجب هيبة " وقد وجهها لوزير المتوكل كما قال مؤلف الكتاب . اما من هو ذلك الوزير فلا نعرف .

٢١ - صناعات الفواد = منشورة في الطراز بين ٦٧-٧١ ثم في رسائل السندوبي بين ٢٦٠-٢٦٦ وترجمة في ريشر في ص ٥٢٧ وما بعدها .

٢٢ - صناعة الكلام = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ٢٣٨-٢٤٦ وترجمة في ريشر بين ١٥٩-١٦٣ . والمنشور منها لسوء الحظ نبذ مشوشة من مجموعها نستنتج ان " صناعة الكلام على نفيس " له محاسنه المفيدة في حين ان له افاله القاتلة . والمهارة كل المهارة في حسن استعماله ولاستفادة . وليس بغريب على الجاحظ ان يكتب رسالة كاملة في مدح الكلام فقد درسه على النظام وتوس به في دكاكين الرافضين ثم كان هو نفسه متكلماً من الدرجة الاولى .

٢٣ - طبقات المغنين = منشورة في المجموع بين ١٨٦-١٩٠ وفي هامش الكامل الاول بين ١٢٠-١٣٠ وفي ريشر بين ٢٠٤-٢٠٦ . وقد بنيت منها مخطوطة في الملحق ١١٣/٥ لا بد ان يكون ما بين ايدينا منها تنفذ اقتطعت من كتاب قد ضاع . لانه يريد ان يتكلم عن المغنين وعن طبائقتهم وعن الالهم وعن اشياء كثيرة اخرى لهم كما جاء في المقدمة . ولانه قال في ص ١٨٨ (ولم نقصد في وصفنا من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم الا من ادركنا من اهل زماننا) . في حين انه لم يتكلم لا عن مفودين ولا عن طبقات . اما لماذا كتبها . فلأدراك حق لهم عليه كما قال ص ١٨٦ . اما متى كتبها ففي سنة ٢٥٥ كما ذكر في ذات الصفحة . وعلى كل نما بين ايدينا من الرسالة لا قيمة له لانه مبثور مشوه .

٢٤ - المباسية = نشرت في رسائل السندوبي بين ٣٠٠-٣٠٣ . لا جديد فيها

الا اتخاذ كل الذرائع واستعماله كل ما عرّف من المعلومات أولا لانهم العاقلون ان بني
العباس هم احق بالامامة وثانيا انهم اهل حسب ونسب في القديم والحديث . وفيتمتها في
هذا اى في انبات احقية العباسيين واهليتهم للخلافة .

٢٥ - العثمانية = منشورة في رسائل السندوي بين ١-١٣ . تكلم فيها عن افضلية ابي
بكر على علي في الخلافة . وفيها ذكر اكثر اقوال العلويين وفندها مفارنا اياها بغضائل جماعة
عثمان . قيمتها امامية تاريخية اكثر من سواها مثل الدباسية مثلا التي مر ذكرها . وكلاهما
تدلان على ككرة الحجاج واللجج في مثل هذه المسائل ايام الجاحظ . فهما صورة صادقة
في هذه الناحية . وقد كتب الاسكاني رسالة في الرد عليها نشرها السندوي في مجموعه بين ١٢-٦٧

٢٦ - العداوة والحسد = نشرها كراوس في مجموعه بين ٩٩-١٢٤ . ولا مخطوطات .
لا ميزة للرسالة الا ببراعة الرجل في تحليل النزعات المؤدية للحسد وتبيان انه نفسه هو كان
محسودا جدا خصوصا لتفوقه في الادب ص ١٠٩ .

٢٧ - العشق والنساء = منشورة في المجموعة بين ١٦١-١٧٠ وفي هامش الكامل الثاني
٣٠-١٦٦ وفي رسائل السندوي ٢٦١-٢٧٥ وترجمة في ريشتر ١٨٨-١٩٤ وتوجد منها
مخطوطة في ملحق المتحف البريدي رقم ١١٢٩/٦ . بعد مقدمة عرّف فيها العشق عامة
مر على عشق النساء خاصة وقال انه اللذة الكبرى ص ١٦٠ وان رباط الهوى افوى رباط بين
انثنين ص ١٦٦ ثم انتقل ليفضل المرأة على الرجل في مواطن ص ١٦٥ وليقول شيئا في جمالها
ص ١٦٩ . والى كل هذا ضم شيئا لي/ من القول في الغنا وموقفه النير منه ص ١٦٥ .
والرسالة التي بين ايدينا ليست كاملة لانه في مطلعها يقول (انما لما ذكرنا في كتابنا هذا
الحب الذي هو اصل الهوى والهوى الذي يتفرع منه العشق والعشق الذي يهيم به الانسان
على وجهه او يموت كذا على نفاشه ص ١٦١) . في حين انه لم يكن قد بدأ بعد . ولذا
لا نستطيع ان نستنتج منها ذا قيمة .

٢٨ - نخر السودان على البيضان = منشورة في المجموعة بين ٥٤-٨٢ وفي مجموعة تلوث
بين ٥٧-٨٥ وفي ريشتر بين ٢١٠-٢١٢ . ومنها مخطوطتان الاولى في داماد ابراهيم نرة ١٩٤٩/٥
والثانية في الموصل نرة ٦/٢٦٥ اهم نقاط نخر السودان التي اوردها هي ما يلي . اولاً ان
منهم رجلا مبرزين . ثانياً انهم قدموا للحضارة اشياء كثيرة مفيدة مثل الغالية والنعش والمصحف
ص ٦٢ . ثالثاً انهم حكموا العرب ايام الاحباش ص ٦٣ . رابعاً انهم اكر عددا من البيض ص ٦٢

واخيرا ان السواد ليس بعيب بل على العكس هو شرف وقوة حيث وجد ص ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٦
 واذا كان للكتاب من قيمة فهي في محاولة الرجل الرد على نقاط فخر البيضان . لا نصرة
 للسودان وانما لجمع الشمل . وهذه صفة غلبت عليه في كل ما تكلم تعني صفة العدل .

٢٩ - فضل هاشم = منشورة في رسائل السندقي ١١٦-١١٧ . ولم نفع لها على مخطوطة .
 فيها يفض هاشم فم النبي على عبد شمس فم معاوية . اولا بماضيهم التليد في الجاهلية وثانيا
 بحاضرهم المجيد بالاسام . فيتعرض لنكات الخير والشر وللصفات الكريمة والقيحة مفاخرنا
 ومفضلا . وليس بخريب عليه وهو الذي كان في كل كتاباته يفتنم كل فرصة لمدح الرسول وفومه

٣٠ - الفيان = منشورة في رسائل تنكل بين ٥٣-٧٥ . ولا مخطوطات . طرق فيها
 الجاحظ موشحات جميلة مثل المرأة . والحب . والفناء . وفد فيها ارا اجتماعية دينية وفوق
 كل شيء جاحظية قيمة كم كا بغاية الشوق للوفاء عليها . ولا هيبتها تلخصها فيما يلي .

١ - في المرأة = تكلم عن الحجاب ص ٥٦-٦٢ فقال انه لا يرى به قط لانه لم
 يكن في الجاهلية ص ٥٦ ولانه ضرب في الاسلام على نساء النبي ففط ص ٥٦ ولان الكبريات من
 المشهورات في العباسية لم يضمنه ص ٦١ هذا بل لا يلزم بالاضافة الى انه غير طبيعي انما كان الدافع
 اليه غيره الرجل على المرأة وحسب الانسنة بها ص ٦١ . ولم يكف بهذا بل ذهب الى ما هو
 ابعد منه فتناول بعض الاحاديث التي يردها القم بهذا الصدد مثل = كرقوا بين انفس الرجال
 والنساء . ومن لا يخلو رجل بامرأة في بيت وان قيل حموها الا ان حموها الموت ص ٦٥
 وراح يفتنها بقوله = فان قال فائل بهذا . فلنا ان الاحكام انما تنفع على ظاهر الامور ولم يكف
 الله العباد الحكم على الباطن والعمل على النيات . فيقضى للرجل بالاسلام بما يظهر منه ولعله
 ملحد فيه . ومضى انه لا يبه ولعله لم يلده الاب الذي ادعى اليه قط ص ٦٦
 وتكلم بعد هذا عن مشكلة في الاختلاط . فقال انها لا بأس بها بل هي الطبيعية لولا الخوف
 من الفساد ص ٥٧ . ثم تطرق الى موضوع الزوجية فتكلم بما يشتم منه انه يفض
 الاباحية او الشيوعية النسائية لولا ان الدين منع منها ص ٥١ ولولا ان صلاح الاجتماع ينكرها
 ص ٥٥ ، ٦١ . الا ان الجاحظ بعد كل هذه الحرية في التفكير الشخصي والنزوة
 على التقاليد بخصوص هذه المسائل لم يستطع الا ان يطأطي . راسه امامها بخصوص النظرة
 السخامة للمرأة . فهو لم ير فيها اكثر من دمية خلقت لمتعة الرجل لا اكثر ولا اقل ص ٥٥

ب - الغنا = يقره ولا ينكره بلا لا يرى به بأسا ص ٦٢ ذلك لانه في غالبه شعر والشعر غير محرم بحسب ذاته ص ٦٣ . واما اذا قيل انه لم اداة لهو فاننا نقول والصلاة ايضا اداة لهو ص ٦٣ . هذا بالاضافة الى انه كان معروفا في الجاهلية وفي تصور جميع الخلعا ص ٦٢ ج .

ج - الحب = بعد ان حاول إلقاء ضوء على ماهيته ص ٦٧ انتقل ليعرف العشق خاصة بقوله . (انه دا . يصيب الروح ويشتمل على الجسم بالمجاورة ص ٦٦) . ثم وصفه بقوله (انه دا . لا يملك صاحبه دفعة ص ٦٦) . اما الحسن في نظره فهو التمام والاعتدال فقط ص ٦٤ . وبعد هذا راج يلقي نظرة على الفيان وجهن خاصة ليطلق لفظه العنان يعبر بأسلوبه المعروف عن سوء رايه في كليهما . واذا سئل لماذا كل هذا . قال (وكيف تسلم القينة من نساد الاخلاق وهي تفضي حياتها في بؤرته ص ٧٢ هذاغلن القينة اما عن حبها فقد قال انه من النوع الرخيص الذي لا يكاد يعرف للاخلاق معنى ص ٦٩) . هذه رسالة الفيان . وهذه موضوعاتها . وهذه اراءه فيها . اختصرناها هنا لنشرحها فيما بعد . وهي في نظري مع " الرد على النصارى " انهم رسالتين في بابي الدين الاجتماعي والتفكير المبني على المنطق .

٣١ - كتمان السر = منشوره في مجموعة كراوس ولم والحاجرى بين ٣٧-٦١ . غرضها الحضر على هذه الفضيلة والتغيير من عكسها . وقد تكلم فيها عن الاسرار التي تُفشى (الخبر النادر وما يوصى بكتمانها) ومن الذين يُفشون الاسرار (الخدم وضعايف الناس) ومن اسباب الانشاء (الفضول وحسب المنوع) واخيرا شواهد كثيرة في التنثير من الانشاء والحضر على الكتمان . وهي في مجموعها رسالة اخلاقية صرّ .

٣٢ - المعاد والمعاس = نشرها كراوس بين ١-٣٧ في مجموعته . وقد عثرنا لها على ثلاث مخطوطات الاولى في ملحق المتحف البريطاني نمرة ١٢/١١٢٩ والثانية في داماى ابراهيم نمرة ٤/١٤٩ والثالثة في الموصى نمرة ٥/٢٦٥ . كتبها لابن ابي دؤاد ونا . بحسبه عليه ص ه وقد ملأها نصائح ووصايا باخلاقي جميلة كثيرة . قال لاحمد ان صبرحه في معائه ومعاده متوقف على التمسك بها جهد طاقته . وليس في الرسالة من ميز . سوى هذه الاخلاقي العديدة .

٣٣ - مناقب الترك = منشورة في المجموعة ١٣-٥٤ وفي هامش الكامل الثاني ١٦٦-٢٧٥ وفي مجموعة ثلوتن ١-٥٦ وترجمة في ريشتر ٢٠٧-٢١٠ . ومن مخطوطاتها واحدة في الملحق

نمرة ٧/١١٢٩ وثانية في داماد ابراهيم نمرة ٦/٩٤٩ وثالثة في الموصل نمرة ٢/٢٦٤ هراجة في باريس نمرة ٦٠١٨ . كتبها ردا على هجم لاحدهم على الترك الذين ادخلهم المعتصم في الجيش . ولكنه نحفظ من اتهامه بالتحيز . فقال انما غرضا الاصلي هو تبيان حقوق الاتراك المهضومة ليقبلوا مع باقي جند الخلافة فيعمل الكل معا لخدمة الامام . لهذا كانت مادته في الرسالة اولا ذكر مفاخر جميع الجند وثانيا ذكر مفاخر الترك خاصة من شجاعة واقدام واخيرا الدعوى للعمل معا على طاعة السلطان وخدمته وفيمنتها في انها تعكس لنا بعض الشيء .
عن الاتجاهات السياسية والمنافسات الحادة التي كانت تدور بين طهران القيم .

٣٤ - مدح التجار = وثمناتها الكامل (مدح التجارة وذك عمل السلطان) منشورة في المجموعة ص ١٥٥ - ١٦١ ثم هامس الكامل الثاني ٢٤٦-٢٥١ ثم في ريشتر ١٨٦-١٨٨ ولها مخطوطة في الملحق نمرة ٢٤/١١٢٩ . فيها ذم عمل السلطان لانه قرين الذل والخوف واللق . ص ١٥٥ . ثم ذكر كبيرا من اكابر العلماء الذين كانوا تجارا مثل ابن السيب وابن سيرين وغيرهما ص ١٥٢ . ثم قال ان قريشا والرسول والخلفاء الراشدين كلهم كانوا تجارا ص ١٥٢ وما بعدها وقية الرسالة في انها دعوى مخلص للعل الحر . وظهر انها كانت " اى مشكلة العمل الحر " مشكلة ايام العباسيين كما لا تزال الى اليوم . ونلاحظ على الرسالة اولا انها محتارات وليست كاملة . ثانيا ان القسم الاخير منها الذي تطرق للتربية مشكوك في نسبته الا ان يكون استطرادا وفي هذه الحالة هو استطراد غريب . وان كان تزويرا فتجب الاشارة اليه .

٣٥ - المودة والخلفة = منشورة في هامس الكامل الثاني ١٩٩-٢١٢ ولم نغ لها على مخطوطات من دوليها اى المودة والخلفة = القبول من اول نظرة ص ٢٠٤ وان لم يكن ذلك نبالتقرب المتعمد ص ٢٠٥ . وبعد هذا اخذ في الكلام على اسام المودة الثلاثة ص ٢٠٨ . وانتهى بمدح ابي النهج الكاتب الذي اهدى الرسالة اليه . لا قيمة للرسالة الا من [فاحية الفلسفة الكلامية خصوصا في النظر الى، والتفريق بين، اسام المودة . وكل ما عداه تكلام عادي

٣٦ - النساء = منشورة في رسائل السندوي ص ٢٦٦-٢٧٦ ومنها مخطوطة في الملحق نمرة ٥/١١٢٩ وموضوعها لم يخرج عن موضوع رسالة (العشق والنساء) المنشورة في المجموعة والتي تكلمنا عنها في هذه السلسلة نمرة ٢٧ . ولهذا يساورنا شك في كون كل مهمما رسالة مستقلة . اما نهرس البريطاني فقد وضع رسالة العشق نمرة ٦ في حين وضع هذه

٣٧ - النبيل والتنبيل = منشورة في هامش الكامل الثاني بين ١٨٤-١٩٩ . ومنها مخطوطة في المطبع نمر ١٨/١١٢٩ . وأهم ما جاء فيها أولا ان النبيل لا يقتبيل لعدم حاجته الى ذلك ص ١٨٤ وان هناك اماكن يُستماع فيها التكبر ص ١٨٥ هذا بالاضافة الى فصول في ذم الكبر والتنبيل . وفيمة الرسالة في انها اخلاقية فقط .

٣٨ - الوكلاء = منشورة في المجموعة ١٧٠-١٧٣ وفي هامش الكامل الثاني ٢٢٠-٢٢٢ وفي ريشر ١٩٤-١٩٩ . مختارات من المقدمة هي التي نشرت في المجموعة ولذا لم نستطع ان نستفيد منها كثيرا . حتى ان اسم الوكلاء لم يظهر لنا معناه بوضوح .

٣٩ - في الاخبار = منشورة في هامش الكامل الثاني ٥٦-١١٢ . قال ان الناس مولعون بالغريب منها ص ٦٣ . ثم تكلم عن كيف تصح وان ذلك يكون بالتصادق وكثرة السماع والعلم بالاصول ص ٨٣ . ثم راج يدفع قول من اتهم الرسول بالتنجيم ص ٧٨ .

٤٠ - عن النبي = منشورة في هامش الكامل الثاني ١١٢-١٢١ . وهي نصول مختارة ذكر فيها النبي . وتكلم عن معجزة القرآن . وان القوم لم يستطيعوا ان ياتوا بمنله ومعدّها انقطع الجبل ليتركهم في خلق القرآن . والاحتجاج لنظمه ما بين ١٢٢-١٤٨ . وفي هذا القسم اكر من النفاش والاستنتاجات المشهورة لتفطع الفصول وقصرها . حتى كما تارة نسيها حجج النبوة وتارة خلق القرآن وثالثة الاحتجاج لنظم القرآن وهكذا وكما نولد لو انها كانت صريحة وواضحة لنف نف بعض الشيء على هذه النقاط المهمة التي تعرضها لها الباحث .

لحد الان تكلفنا عن كبة الثلاث الرئيسية هن رسائله المطبوعة والثانية والان

ننتقل لتكلم باختصار عن الكتب والرسائل المنسوبة اليه

(١) - التاج تكلم فيه عن اخلاق السلطان وما يتعلق بصحبه واداب فصره . وقد ركز فيه على اداب ^{الاطنين} ~~السلطنة~~ الساسانيين بالرغم من انه لم ينفذ خلفاء العرب .

(٢) - المحاسن والاضداد كتاب نُشر في مصر اولا وفي لايدن ثانيا . وهو عبارة عن

فصول في مواضيع مختلفة قُصد منها المقارنة واطهار مقدرة الكاتب على الكلام في الشيء وضده مثل الشجاعة والجبن . محاسن النساء ومعاييبهن . الكرم والبخل . الخ

المقالة الرابعة تفسير كتبه

لقد رأينا من قبل المقدار الضخم والعدد العظيم من التراث الادبي الذي خلفه الجاحظ. والان نحسب ان نلقي نظرة ولو عجيلى على اثر هذا التراث في محيطه ثم في من جاء بعده مقابلين وجهة السلب بوجهة الايجاب لنخلص الى رأينا الخاص في الموضوع.

اولا - سعة انتشارها واهتمام الناس بها = مثل هذا لا نستطيع توضيحه الا بأمثلة مأخوذة من مصادر موثوق بها. وطبعاً لا نستطيع ايراد كل شيء* ولذا نقتصر على ادهم ١ - قال الاندلسي كان طالب العلم في المشرق يشرف عند ملوكها بلقاء ابي عثمان نفع اليها كتاب التريع والتدوير له. فاشاروا اليه. ثم اردفه عندنا كتاب البيان والتبيين ببلغ الرجل السماك بهذين الكتابين. فخرجت لا اعرف لا شيء* حتى قصفت بغداد وسالت عنها* واقعت عليه عشرين سنة. مأخوذة من ياقوت ١٣٠٧/٦-١٩/٢٤/٦

ب - قال علي بن عيسى النحوى سمعت ابن الاخشاد شيخنا ابا بكر يقول = ذكر ابو عثمان في اول كتاب الحيوان اسما* كتبه ليكون ذلك كالغهرست. ومروى في جملتها الفرق بين النبي والمتنبي. وكتاب دلائل النبوة. وقد ذكرهما هكذا على التفرة. واعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء* دعاه اليه. فاحببت ان ارى الكتابين. ولم افدر الا على واحد منهما وهو دلائل النبوة. ربما لقب بالفرق خطأ. فهذه في ذلك و سائني سوء ظفري به. فلما شخصت من مصر ودخلت مكة كثرتمها الله تعالى حاجاً، اقامت منادياً بعرفات ينادى والناس حضور من الافاق على اختلاف بلدانهم وتنان اوطانهم وتباين قبائلهم واجناسهم من المشرق الى المغرب ومن مهب الشمال الى مهب الجنوب وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر " رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبي لابي عثمان الجاحظ على اى وجه كان ". قال قضاف المنادى ترابع عرفات واد بالخيبه وقال = حبسب الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به. قال ابن اخشاد = وانما اردت بهذا ان ابلغ نفسي حذرهما). وتعليقاً على هذا قال ياقوت (وحسبك بها فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشاد وهو ما هو في معرفة علم الحكمة وهو راس عظيم من رؤوس المعترلة يستهان بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام). مأخوذ من ياقوت ١٦٠٧/٢٣/٦-١٩/٢٤/٦

ج - أما الجاحظ نفسه فقد سرد قائمة طويلة باعتياب الناس لكتبه وشدة حرصهم على الاطلاع عليها. وفي العداوة والحسد تكلم عن مبادرة المصحف لانتقاص كتابه في تحليل الزميل النبيذ ص ١٠٣. وفي ذات الرسالة قال وربما الفت الكتاب السخيف باسم غيرى من كبار الكتاب

يتمحول الفادح مادحا وذو الموقف المسلي ايجابيا ص ١٠٩ وغيرها كثير .

د - حدث ابن مفسم فقال = بعد ان طال سوال الناس لابي هفان (لجا لا تهجو الجاحظ وفد مدد بك واخذ بمخفك . قال = اهلي يخدع عن عقله . فوالله لو وضع رسالة في ارضه انفي لما است الا بالصين شهرة . ولو قلت فيه الف بيت لما ظن منها بيت واحد في الف سنة) . ماخوذ من ياقوت ١٦/٧١ - ١٩/٧١ .

هذه اربعة اقتباسات تدل دلالة واضحة على ترقب الفم صدور كبه لياخذوها بما تستحق أولاً تستحق من التقرير والتقرير . وعلى اهتمامهم بما سيجي فيها . وعلى تملذهم عليها واخيرا على سعة انتشارها اذ وصلت بالفعل الى الاندلس واصلها ابو هفان للصين بالغة .

ثانيا - ما قاله اعداؤها = فار ابن شهيد = لم يكن الجاحظ مخلصا في كبه ولهذا جاءت مقطعة مشوشة . والسبب في ذلك انه لم يرد ان يعطي فارء كل ما عنده . وقال ابن ثكيبه لقد قصد الجاحظ الى المضاعف والعيث في كبه فانسد الكبرين . وقال البغدادي اذ مر على طائفة من كبه مشيرا الى نواقصها — واما كبه المزخرفة فاصناف . منها كتاب في حيل اللصوص وفد علم بها النسفة وجوه السرقة . ومنها كتابه في غش الصناعات وقد افسد به على التجار سلمهم . ومنها . . . ومنها كبه في القحاب والكلام واللاطة وفي حيل المكدين . وانتهى بقوله ومعاني هذه الكتب لائقة به وبصفته واسرته .

واذا كنا لنستنتج من هذا شيئا فليس الا ان اعداءه تنكروا له وما راوا في كبه الا الجانب الاسود الذي اتخذه ^{واسطة} ~~غليظ~~ وطنه غاية . فتنقصوا قيمتها . وظلموا الجاحظ .

ثالثا - ما قاله انصارها = قال ابن العميد كُتب الجاحظ تُعلم المثل اولا والادب ثانيا - وقال ابن دريد وقد ذكرت بين يديه اجمل بقاع الارض = هذه متزهات العيون فاين اثم من متزهات القلوب . وعندما سئل ما هي = قال كتب الجاحظ . وقال الاندلسي رضيت في الجنة بكتب ابي عثمان . وقال القاضي الفاضل ما منا معشر الكتاب الا اعتمد عليه واعترف من ادبه إن في كبير او قليل .

وهذا يرينا بوضوح وجهة نظر اخرى مغايرة للاولى تمام المغايرة . لكن بما ان الحد

واحد وانه لا بد من ان يُكشف نقابه فيبان مع اى الفريقين ، نورد الفقرة التالية .

رابعاً - النتيجة = النتيجة هي ان كتب الجاحظ قد اتسعت لمواد كثيرة وطرقت موضوعات متعددة من ادب لعلم لدين . واصطبخت بالوان متباينة من هزل لجد لما بينهما . ولهذا فمن الطبيعي ان تُعجب انسانا ولا تعجب اخرين . لان رجل الجد لا يعجبه الهزل ورجل الهزل لا يقبل بالجد . وقد اشار الى هذا في الحيوان فقال = وهذا كتاب احتوى على اثنياً كثيرة متغايرة . فخذ منها ما يعجبك واترك ما لا يعجبك . نقد يعجب غيرك . أولاً لان الناس متباينون وثانياً لاني لم اولفه لواحد منهم بالذات .

ومن هذا نرى ان جملة السلب ليسوا على حق لانهم اخذوا ما ارضاهم ونعموا على ما لم . في حين ان جملة الايجاب اخذوا ما ارضاهم ايضا وسكتوا عن ما لم . ولمعنى ان الحق لني جانبهم او بالاحرى هم اقرب اليه .

واما نحن نقد راينا محاسن الجاحظ كما راينا مساوئه . وعند تصفية الحساب وجدنا انه دُنيا من المعرنة وان كتبه بستان حافل بكل شيء . وان الحكم على رجل مثله "عظيم" ، او على ادب مثل ادبه "ضخم" ، بكلمة او بسطر ، حرام وظلم ودليل عبا . ولهذا سنحاول ان نتوسع في تحليل هذا التراث تحليلاً دقيقاً بقدر ما تسمح لنا به الظروف في الفصول الاتية نعني في فن الجاحظ ثم في علمه ثم في لونه . ^{سردته وهاهنا} ومعهذا نستطيع ان نحكم عليه في فصل الختام .

المقالة الاولى - اسلوبه في التأليف عامة

x-x-x-x-x

ان رجلا كالجاحظ عارك الحياة وشاركه حوالي القرن هـ وانغمس في بحر الفراسة والكتابة والتأليف اكثر من خمسين سنة لحرى بان يكون له اسلوب واسلوب خاص به . سؤا في كيف كان يهاجم موضوعه مما يقابل " بلان " . او في كيف كان يصوغ عبارته مما يقابل " ستايل " او في كيف كان يقدم من مادة ادبه ومعاملها مما يقابل " ساينتيفك ميتود " . ولهذا - خصصنا هذا النصل - بكامله - لنتكلم عن كل منها بقدر ما تسمح لنا به الظروف .

اما اسلوبه في التأليف فنستطيع ان نفسمه لشقين الاول اسلوبه النظري اي ما كان يطلب من قارئه ان يتبعه في كتاباته . والثاني اسلوبه العملي اي ما كان يتبعه هو بذاته حين كان يكتب . ولنذكر الى جانب هذا ان الجاحظ كثيرا ما كان يحاول ان يفرب بين النظري المثالي والعملي الناقص . الا انه كان يعجز وكان يقر بعجزه . لكنه رغم ذلك كان يدون هذه التواصي المثالية في التأليف ليطلع عليها الخلف فيستفيدوا منها ما دامت الفائدة قد نالت .

اولا - اسلوبه النظري في التأليف

اما تواصيه في التأليف فاليك اهمها . اولاً جمعناها وثانيا نثرناها ثم عدنا نرتبناها ليكون منها شبه قائمة تامة ننسبها للجاحظ . اذا ما اتبعها الكاتب نجح في كتابته واصاب الهدف المقصود ...

اولا اعرف كتابتك - يقول الجاحظ ان الناس ذوي مواهب مختلفة فمنهم من يحب التجارة . ومنهم من يحب عمل السلطان . ومنهم من يحب العلم ومنهم من يحب اللهو . هذه طباع الناس متفرقة . قد هبطهم الله عليها . لان في ذاك صلبهم . ولا يني حتى يردف فيقول = تصور جميع الناس ذوي عقلية واحدة يحبون الرب مثلا . وتصور مجتمعا كله اطباء . بآية حالة من التعاسة

يكون افراده . الطب بذاته صنعة جميلة ولكن لا قيمة له اذا لم يوجد العرض . ثم تصور ان جميع الناس ذور ميل واحدة وان هاته الميول اتفقت على حب تسمية الابناء بمحمد . وان نتيجة لهذا كان لدينا مجتمع كل افراده يسمون محمد . كيف يمكن التفريق بين لغضائه . ان في التفرقة سعادة البشر . وفي هذاه فلا الناس متفقين في طباعهم ولا الاتفاق مفيد . انما هم مختلفون . فعليك ان تعرف نفسك وتعرف كفايتك وتعرف الى اى الكفايات انت اميل . تفصيل اليها . وتعني معها لتبرز فيها . قال في البيان (تحول الى اشهى الصناعات اليك . واخفها عليك . فانك لم تشتهها ولم تنازع اليها الا وبينكما نسب والنسب لا يحسن الا الى ما يشاكله)

ثانيا وضح فكرتك = يقول بعد أن تعرف ميلك . ولنفرض انه الكاتب . وتعرف شهوتك منها ولنفرض كتابة الرسائل . اجلس الى تلك الشهوة واكتب بما تريد . لكن حذار ان تكتب شيئا الا بعد ان تفكر فيه وتقلبه على وجوهه وتعمل النظر في ثوابه . اخبر مقدماته . وانظر في نتائجه . ودقق كل التدقيق فيما بين يديك منه . فخير شعرا الدباغية الحوليون . وخير كتاب كل عصر المدققون . اما الرأي الفظير . او أدب المناسبات كما ~~يعود~~ يعود بعضهم ان يسميه ، فلا قيمة له ولا وزن عند الجاحظ . قال في البيان (وما انا والراى الفظير) وفي تفصيل النطق على الصمت " قال المناسبة قوله (والله ما اشتهي الخبز الا باثنا ٢) . وفي تفصيل النطق على الصمت " قال في المجموعه (فالوجه النافع ان يدور (المعنى) في سامعه (الكاتب) وخبث في قلبه وختم في صدره . فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلافت فكانت نتيجتها اكرم نتيجة وشعرتها اضيق تروء) .

الا انه يجب ان لا يفهم من هذا ان الجاحظ لا يجب ان يكتب قاروه الا بعد اعمال صبر أيوب . وينام ثم اذن الكهف . فلا يصطر الا لب اللباب ولا يدون الا مختار المختار . كلا . فالجاحظ في الحقيقه كان على عكس هذا على خط مستقيم كما يقولون . ولم يفهم ان يصح به عندما قال (وليس الكتاب الى شيء احوج منه الى افهام معانيه . حتى لا يحتاج السامع لما فيه الى رمة . وحتاج من اللفظ الى مدار يرتفع به عن الناظر السفلة والحشوة . وحظه من غريب الاعراب ووحشي اللام . وليس له ان يهذه جدا ، وينقصه وضغفه وروقه . حتى لا ينطق الا بلب اللب . وباللفظ الذى قد حذف فضوله وتعرفه واسقط زوائده حتى عاد خالما لا شوب فيه . فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه الا بان يجد لهم افهاما مرارا وتكرارا لان الناس كلهم

قد تعودوا البسوط من الكلام وصارت انهماهم لا تزيد عن عاداتهم . الا ان يمسك عليها ويؤخذ بها) .

ومن هذا نرى ان الرجل لم يحب التدقيق للتدقيق . ولا التفكير للتفكير . ولا التوضيح للتوضيح . وترك التكلف لترك التكلف . انما أرادها وشدد عليها اولا لتوضيح الفكرة في راس القارئ . ومن ثم لتوضيحها امام عقل السامع . وكل هذا حرصاً على عدم إجهاد الاخير . ولمعني لا اعرف بعد هذا الى اى حد سيظل فضل نظرية الاتصال على جهد القارئ التي قال بها سبينسر لسبينسر . والجاحظ سبقه اليها بقرون .

لكنه يقول ان المادة المنوي الكتابة فيها لن تتضح ما لم يكن الكاتب اولا ميالا اليها بطبيعة كما مر . وثانيا قد سعى اليها بقصده كما سيأتي . الجاحظ يؤمن بأن للظفرة وللمواهب الطبيعية دخلٌ كبيراً في نجح الاديبي . الا انه يقول ان على الاديبي ان لا يركن للطبيعة . بل عليه ان يدرس ويطلع ولا يترك شاردة ولا واردة الا اطلع عليها ان لم يدرسها ويضمها . اطلع على الاصول . واطلع على الفروع . اجمع هاته الى تلك . وادخلها في عقلك وراسها في اتونه وقولها في قلبه . ومن ثم يصح ان يقال ان الفكرة قد وضحت لك وانه من السهل عليك بعد هذا ان توضحها لغيرك الان انكتب .

ثالثاً - اختر الساعة = ليست كل اوقات المرء صالحة للكتابة . بل ان هناك ساعات معينة . وهذه الساعات اوما تقابل بالانكليزية "مودس" تختلف باختلاف الاشخاص . فبعضهم من لا تواتيه الا في السكون ومنهم من لا تواتيه الا وسط الصخب . في حين ان كثيرين لا تاتيهم الا وبنت الكاس قد لعبت . يقول الجاحظ لعرف نفسك من ابي الناس ، واعرف ساعتك الخاصة بك متى تكون . احضرها جيداً وحاول ان لا تكتب الا فيها لانك فيها تكون شراً وفي غيرها لا . قال في البيان (خذ من نفسك ساعة نشاطك وتراخ بالك واجبتها اياك . فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرها . واشرف حسابا . واحسن في الاسماع . واجمل في الصدور . واسلم من فاحش القول . واجلب لكل عين وغزة من لفظ شريف ومعني بديع . واعلم ان ذلك امر اجدى عليك مما يعطيك يومك

الاطول بالكد والبطولة والجهادة . وبالتكليف والمعاودة (١)

رابعا - الان ابدأ الكتابة = على شرط ان لا تخط كلمة قبل ان

تذكر اسم الله وتحمده على ما أتاك من نعم وهبك من مساعدات . وبمقتضى هذا أمها . قال الجاحظ . (واجب كل ذي مقالة ان يبتدئ بالحمد قبل استفتاحها . كما بدئ . بالنعمة قبل استحقاقها .)

ونحن نعتقد ان هذه روح العصر ومبادئه أكثر منها روح الجاحظ واختلافاته . فهو في كثير من الأحيان نصد عنها . وفي كثير غيرها تركها . وعلى العكس بدأ بالدعاء للعريسيل كقوله في اول رسالة الحاسد والحسود = (وهب الله لك السلامة . وادام لك الكرامة . ورزقك الاستقامة ٢٠٠ الخ .) وكقوله في آخر السودان والبيضان = (فهذه جملة ما حضرننا من مفاخر السودان) .

خامسا - وفي الانشاء = في أثناء الكتابة يقول الجاحظ .
عليك = أولا ان لا تنخدع بالظروف العارضة ، وثانيا ان لا تبأس اذا ما عصاك القلم ، وثالثا ان تكون على حذر من نقذات قرائك . واخيرا وليس آخرا اياك ان تغتر بمقدرتك . ولتنصيل جملة هذا نورد الامثلة التالية مقتبسة من اقواله التي وردت متناثرة في مواطن مختلفة من كتبه .

١ - قال الجاحظ في الحيوان = (وليس في الارض انسان الا وهو يظرب من صوت نفسه ويعتربه الغلط في شعره وفي نشره . الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط . فضعف المغمور والمغمور منهم ... ومنهم ... ولذلك احتاج العاقل في استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ومن اعادة النظر الى اضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك) ثم يفصل اجمال هذا بقوله - فما اكر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة ثم يضيف (واعلم ان العاقل ان لم يكن بالقيبح ، فكثيرا ما يعتربه ما يعتربه من ولده ، أن يحسن في عينه منه ، المقيح في عين غيره . فليعلم ان لفظه أقرب نسبيا منه مرافقه . وحركته امس به رحما من ابنه ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنة بكلامه وكتبه فوق فتنة بجميع نعمته) .

نكأنه ضمه يسريده ان يقول بعد ان تعد كل ما سبق من التحضيرات وتنفذ للكتابة لا تترك للمواطف الحبيل فتضل بك سواء السبيل . بل حكم العقل واكتب .

٢ - الا انتك حتى لو حكمت عقلك ووثيت بالمدة فانك في كثير من الاحيان تمل وتسلم وتضجر . تريد ان تكتب وكن شيء جاهز . لكن القلم لا يصاوع . فما تعمل به! يقول الجاحظ عليك اولا بالصبر والناة وطول البال . حاول ثم حاول . لكن اذا بان واضحا ان ك محاولة معناها ضياع الوقت فايك تضيق الوقت . بل حالا اترك الموضوع وتحول الى غيره فلعل في التحول الفائدة المطلوبة . قال (فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تفديك ، ولا تسمح لك عند أول نظرك ، وفي أول تكلفك ، وتجبد للظنة لم تقع موضعها ، ولم تصل الى قرارها والى هدفها من امكانها المقسومة لها) الثانية لم تحل من مركزها ومن نصايها ولم تصل بشكلها وكانت قلقة من مكانها نائرة في موضعها — فلا تركها على اغتصاب الاماكن والنزول في غير محلها . فانك اذا لم تتعاط قوس الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنور لم يعبك بترك ذلك احد . وان أنت تكلفها ولم تكن صادقا مطبعا ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك او مالك ، عابك منه انت اقل عيبا منه . ولأى من هو دونك أنه نوك . فان ابتليت بان تتكلف القول ، وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في اول وهلة وتمسك عليك بعد اجالة الفكرة (فلا تعجل ولا تضجر ودعه بيأس يومك أو سواد ليلك . هاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تدمم الاجابة والمواناة ، ان كان هناك طبيعه او جريت من الصناعة على عرت . فان تمسك عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرس ومن غير طول اعمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك) . هكذا يريد الجاحظ . نكر ، ثم جرب ، وان لم تر في الأمر بصير نور فتحول .

٣ - في اثناء الكتابة لا تكن انانيا ، لا يفكر الا بنفسه . فانك لا تكتب لنفسك إنما تكتب للناس . فراع حقهم . ولكن هذا لا يعني تغيير المبدأ الذى من اجله تكتب . إنما يعني ان لنشاطهم حدا لا يمكنهم ان يتجاوزوه . فاع تحملهم مالا طاقة لهم به . وان لصبرهم كذلك معيارا نساعدهم على ان لا يفقدوه . وان لهم اراء ومذاهب اعتنقوها منذ القدم فلا تحاول ان تبدلها بكلمة او تغييرا بسطر فان ذلك من غير المعقول . حاوهم تارة . ودارهم اخرى . إمش معهم الى آخر الشوط . لكن حركتهم قليلا قليلا اثناء . اخضك معهم فانهم ينسون ما بدؤوا به . اهزل واباهم فانهم يتسلون بذلك عن قصدك . وفي الانتاء سر الى هدفك دون خوف او وجل .

ولهذا استعمل الجاحظ الهزل ودافع عنه . واستعمل النادرة وحسنها، وقصّر الجملة واستخدم اشياء كثيرة لهذا الغرض ، مما سيأتي شرحه فيما بعد . إنما الذي نحب ان نشير اليه هنا بتخفيض قوله يوصي من يريد ان يكتب كتابا (أن لا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء . وكلهم عالم بالامور . وكلهم متفرغ له^١) . الحيلة والحذر . سوء النية بالناس وهدم الاطمئنان الى ايجابهم . هو ما يوصي الكاتب ان يتخذهُ دستورا لينجح . وجعلك منه هذا خصوصا بعد ان قدّم قبل هذا بضرورة عدم الاغترار . اما ان يكتب على أنه الكل في الكل ولا يهتم بأي كان غيره ، فان ذلك لا بد وان يوقعه في المزالق . والسبب في كل هذا عند الجاحظ هو (لأن عقل المنشئ مشغول وهزل المتصفح فارغ^٢) . ولعمري إن هذه لقاعدة ذهبية يجب ان يضعها نصب عينيه كل كاتب لإنها تريحه من اشياء كثيرة مرجحة وتباعد كثيرا عن مزالق لم يقصدها . خذ مثلا صالبا يكتب رسالة فضلية . ويستعد لها الاستعداد الكلي . ويجمع لها المعلومات من كل ما وصلت اليه يده . ويسهر على كتابتها الليالي . ويصر على تنقيحها الايام . ويطبّعها . ويجلدها . ثم يقدمها للاستاذ وحرارته مرتفعة . ودمه يغلي . ودماعه بكل حرف من حروفها مشغول - ياخذ الاستاذ الرسالة وعلى طاولة بسية . أو في كرسي وثير . أو بجانب نافذة تطل على مناظر بديعة ، بيده سيجارة وامامه قند شاي يحاول استاذنا ان يقرأ الرسالة . يفكر هادئ وعقل متزن ويدم " ابرد من دم الانكليز " يأخذ ينتقد ، ويخط منا وهناك خطوط حمراء = هذا غلط . وهذا لا بأس به . وهذا نسييت فيه نقطة . وهذا جمع نادر . وهذا ... وهذا الطالب لم يفكر بالنقطة لانه إما ان يكون قد سها ، ولو ذكرها لما وضعها لقلّة قيمتها بالنسبة لما هو بهدده (نقطة) . وإما ان يكون احسن النية بالاستاذ . لكن هيهات للقارئ ان يضع نفسه موضع الكاتب فيسأله بالنقطة وتساهل معه بخطأ كتابة همزة حتى ولو كان يكتب في اعوص الموضوعات .

الى هذه المسائل نبه الجاحظ الكاتب من الفارسي . واوصاه بان يكون منه على حذر .

ساراً - والان لنفرض ان الطبيعة وانتك . وان القلم طاولك . وان الملل ملك ولم يغرب جانبك . وانك اتخذت كل الاحتياطات التي اوصاك بها ابو عثمان . وكتب كتابا . ترى هل تنشره في الناس وتقول = سينال رضاهم . وسانح نيه . كيف لا وقد طبّق عليه كلّ ما قال الجاحظ !

اما الجاحظ فيقول انتظر قليلا . فلي وصية اخيرة احب ان اسمعك ايها . اياك اياك

والغرور حتى في آخر لحظة . فبعد ان تكلم ما تريد اذهب به الى من عركوا موضوعه وشاورهم في الامر بأن تعرضه عليهم في جملة كتابات الآخرين . فان نال استحسانهم فانشره . والا فعادوا ونقحه . واذا تم لك كل شيء فانشره . والا فاقذف به دون ما تردد . قال في البيان (اياك أن تدعوك فتتك بنفسك وتدعوك عجبك بقوة عقلك الى ان تنتحله وتدعيه . لكن اعرضه على العلماء في عرر رسائل وأشعار وحطب . فان رأيت الاسماع تصني اليه . وأحيون ~~تخرج~~ تحسج اليه . ورأيت من يطلبه ويستحسنه - فانتحله . فان كان ذلك في ابتداء امرك وفي اول تكلفك فلم تر له طالبا ولا مستحسنا فلعله ان يكون - ما دام رضا قضيبا - تعنيسا ان يحل عندهم محل المترك . فان عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية . فخذ في غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذي لا يكذبك حرصهم عليه او زهدهم فيه (. انبار اللاس على منتوجك او نورهم منه ، اجعلهما الرائد الذي يسيرك في كل ما تكلم . وهذا جميل . فالحاحظ يرى أن قيمة الأدب متوقفة على الكاتب والقارئ . ولا ياخذ " الادب " محله الاثني به من حيث علو الدرجة وسفلها إلا باتفاق رأييهما .

هذه أهم الوصايا التي جا بها ابو عنان من حبيب الفكرة العامة عن التأليف . اما المسائل الأخرى الخاصة بالمعنى مثلا واللفظ كذلك وفي كليهما بعده " فسيجي شرحه في بحث النقد من باب " فن الجاحظ " . فكل حتى تنضج الفكرة وتنضج في عقلك . ثم اكتب تحت شروط معينة . لأن الغرض من الكتابة هو ايصال ما في عقلك الى عقل قارئك . وهذا لا يكون بوضوح ما لم يكن قد وضع عندك أولا . وبعد ان تنتهي . فكر في مسائل ثانوية كالزواج في السوق وهده . وهذا لا يكون الا بالاستفادة من اراء من سبقوك الى هذا الميدان .

لقد طالعنا كل ما ^{منه} لحد الان من أدب الجاحظ ثلاث مرات . وفي كل مرة كنا نجد نفساً جديداً يقرنا من رج الجاحظ الأصلية . واخيراً قلنا الكذب وقد ادركنا الوقت وقلنا لعل نيماً حصلنا عليه الكفاية فلندونه بقدر ما ظهر لنا . وقدّر ما سنقدر على اظهاره للناس .

يقولون ان الاسلوب هو الرجل . ويقولون ان الكاتب الكبير والاديب الذي يستحق بجدارة ذلك اللقب ، هو الذي اذا قرأت او سمعت له قطعة عرفت أنها له . وتكون قدمه راسخة بنسبة . من ردة مع عدم تحريك او قلة تحريك في تلك المعرفة . نقول اذا صح هذا القول * وهو في الحق صحيح - فان الجاحظ اكبر اديب عرفته العربية . فهو نسيج وحده وفريد دهره . إقرأ له ايضاً نقرأ تعرف نفسك . وظالم له ايضاً تظالم تعرف ان ما بين يديك للجاحظ . وما ذلك الا لانه اول وافدر كاتب عرفته العربية استطاع ان يصوغ شخصيته كلمات ، وأن يفور ذاتيته على كل معنى من معانيه او صورة من صوره . واليك الان بعض القول في هذه الصفات الخاصة التي تتجلى لنا من درس اولي نواحي اسلوبه وهي : كيف كان يهاجم موضوعه بعد أن جمع معلوماته . وما رائده الذي كان يسيره نسيه .

اولا كان يختصر للأجل . وثانيا كان يلخص لكي يجمع المتباعد . وثالثا كان يكرر لكي توسع الفكرة . رابعا كان يطيل لكي يبين الغامض . وخامسا كان يستطرد لينوع . وسادسا كان يهزل ليرطب الجد . وسابعا كان يستسأل لان في التساؤل اثارة . واخيرا كان يخاطب القارئ لان في الخطاب ابقاء على انتباهه . - كل هذه مسائل خاصة كان يحرص عليها الجاحظ كل الحرص لغرض واحد فقط ، وارضاه لفاعية واحدة من ناحيتي بناء الادب نعتي " القارئ " . فان الجاحظ جدا حريصاً على قارئه . وجدا مشغولاً بالابقاء على نشاطه ليسايره في كل المنازة . وقد تطرف في ذلك حتى خلط له السم بالدم كما يرى بعضهم عندما يقرأ استطراداته في الادب المكتشف ان كان من " الاخلاقيين " او تندره برجال الدين ان كان من جماعة " لا اله الا هو " .

الا ان هذه ، اذا كان الجاحظ حرس عليها من اجل القارئ ، فان هناك غيرها حرس عليها لان طبعه هكذا أراد . مثل المحافظة على ذكر غرض الكتاب في اوله .

وثانيا ذكر مادته اما في اوله كأنه نهرس اليم أو في غير ذلك ، منحترها هنا وهناك كيفما اتفق .
 واخيرا إرجاعه عن التصريح بآرائه الخاصة بكلماته الخاصة في أكثر كتبه الكبيرة نعتي الحيوان
 والبيان والبخل . نالذي يطالع هذه الثلاثة ، وهي طبعا عدة أدبه ، يجد اقوالا واقوالا
 واستشهادات واستشهادات من كل ما يمكن الاستعانة به في موضوع واحد . لكن رأي الجاحظ
 الخاص فيه بكلماته الخاصة به ، قلما تعتر عليه . وهذا ما لاحظته الكثيرون عليه وهابره به
 وما ألاحظه انا بدوري واسميه " الجبن الادبي " . - ولتفصيل مجمل هذا ، نورد ما يلي
 من الامثال ، مقتبس من حيث استطعنا اقتباسها من كتبه .

اولا كان يختصر للثلايل = اذ ان المل في رأي الجاحظ أنه الفارئ وعدو الكاتب . فعلى الكاتب
 نفسه ان ينفي عنده من ادبه لان يركن الى سبعة يال الفارئ . فالتامر كما عرفنا ليسوا كلهم
 سوا . والاختصار عند الجاحظ كان إما بإيراد قسم من قصة طويلة ثم بنها والاكثاف بما
 ورد . او بإيراد قسم قليل من شواهد عديدة كان يمكن ايرادها . اما الأسباب التي
 ذكرها لهذا الاختصار كثيرة ومتنوعة اهمها ابقاء على نشاط الفارئ . ثم الخوف من الخرج
 عن مقدار شهوة الناس . ثم كثرة المادة واستحالة ايرادها كلها . ثم مسايرة القلعة الذهبية
 " خير الكلام ما قل ودل " بتدوين المختصر للاحسن . واخيرا الاعتماد على فهم الفارئ .

١- قال في البخل (ولولا ان يخسر الكتاب من مقدار شهوة الناس ، لكان الخبير
 عن الاعراب أكثر من جميع هذا الكتاب) . وقال في الحيوان (ولولا ان يظول الكتاب لذكرت لك
 الجميع " اي جميع الشواهد ") . وهذان القولان ان كانتا ليدلا على شيء فانما على خوف من
 التطويل وحصر على ابقاء شهوة الفارئ واستثناسه متقدين .

٢- وقال في البيان الثالث (واما العصا فلو غشت ان اشغل مجلسي كله بها
 ومخالها لفعلت ولكن ذلك لا ينبغي) . وفي " العداوة والحسد " قال (ولم نستقص الايواب كلها
 المعارضة في هذا الباب ولو استقصيناها لطالت بنا الايام . وانما ذكرنا من كل باب عرض ما دل
 على معناه الذي اليه قصد) . وهذان القولان ان كانتا ليعطيا مغزى أيضا فانما ان جمعة
 الرجل ملأى . لكن ليس المقصود انراغها بقدر ما هو اصابة العدو الاصلي .

١. وقال بعد هذا في " مناقب القرك " (ولكن رأينا القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرق . ونحن نموز بالله من هذا المذهب^{المتنوع}) . اما في " كتمان السر " فقد كان ابن اذ قال (وهذا باب لولا ان نشغل القارئ لهذا الكتاب بغير ما قصدنا اليه وهزنا عليه لاتيينا عليه وهو كبير وموجود لمن طلبه . (لكن) - جملة واحدة فيها كفاية^٢) . وفي " الحنين " قال = (ولو جمعنا اخبار العرب واشعارها في هذا المعنى لظال اقتصاصه - ولكن توخيها تدوين أسن ما صنع من اخبارهم واشعارهم وبالله التوفيق^٣) . واطن ان في هذا كفاية للتفصيل على مقدار قصد الرجل الى الاختصار ومقدار تمسكه بما قل ودل واستخدام الاحسن في الاحسن طريقا لذلك .

٢. أما في البخله فقد ذكر سببا يدل على مقدار اتصاله بقرائه واعتماده على مفهومه لدرجة يختصر ممحا لا يبغي على نشاطه فقط انما لانه يُخَيِّسُ الظن به . قال (وليس ينبغي من تفسير كل ما مر إلا الاتكال على معرفتك^٤) . - فقد يخيل للقارئ ان الجاحظ قد وقع في النخ كما يقولون . والا كيف قال يوصي غيره قبل مدة بأن لا يكتب إلا على أن كل الناس له اعداء^٥ ثم يأتي هنا ليركن على " اعدائه " ؟ لتخليص أبي عثمان من هذه الورطة عندي رأي بسيط وهو انه في هذا الموضوع كان يكتب لخاصة الناس وليس لعامةهم . ودل على ذلك قوله مردقا (وليس هذا الكتاب نفعه الا لمن روى الشعر والكلام وذهب مذاهب الفهم او يكون قد شدا منه شدا حسنا^٦) . والخاصة كما يعلم الجميع يفهم بعضهم بعضا ويعتمدون على مفهوماتهم . ولولا هذه القاعدة لتعذر على الراخين في العلم ان يكتبوا كل شيء . ولو حاولوا ذلك لعافهم عن الشيء الكثير . وبروكلان الذي طالعنائه مَثَلٌ واضح على ما نقول . نعم إنه منغمز ومظمن . لكن غامره وظاعته لن يكون من الخاصة بل من العامة الذين لم يصلوا الى مستواه . وهذا المنغمز لا يكون كذلك في الحق إلا اذا كان الرجل يكتب للعامة ولم ينزل لمستواهم او كان يكتب للخاصة ولم يشر الى ذلك . لكنه اذا ~~لم يشر~~ أشار (كما اشار الجاحظ) فليس لغير المقصودين ان ينتقدوه لانهم ليسوا من الناس الذين كان يكتب لهم .

ثانيا كان يلخص لكي يجمع المتباعد - والفروق بين الاختصار والتلخيص كالفرق بين ذكر الشيء ناقصا وذكر اجزائه متباعدة ثم جمعها في قصير . وقد قصد اليه الجاحظ لذات القاعدة الذهبية العامة نعني الاقتصاد على الطرف الثاني . واليك امثلة محتصرة على ذلك لاننا لا نستطيع ان نورد هنا مطولة . والسبب في ذلك هو انها كانت تستغرق صفحات من كتبه .

قال في البيان (قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب من الجزء الاول وفي بعض الجزئ الثاني كلاما من كلام العقلاء والبلغاء ومذاهب من مذاهب الحكماء والعلماء . وقد رتبنا نوادر من كلام الصبيان والمجرمين من الاعراب . ونوادر كثيرة من كلام المجانين واهل العرة من الموسوسين . ومن كلام اهل الغفلة من النوى واصحاب التكلف من الحق . نجعلنا بعضها في باب الهزل والفكاهة . ولتكن من هذا موضع يصلح له . ولا بد لمن استكده الجسد من الاستراحة الى بعض الهزل) وانا اقول معلنا على هذا ان لولا هذه النقطة لصعب علي أن أجعل ما قال الرجل في الجزئين لحد هذه الصفحة . وذلك لكثرة ما قال من ناحية ولضعف الصلة بين اجزاء ما قال من اخرى " التتويش " . وهكذا يُقَصِّر ابو عثمان من ناحية لكثرة سرعة ما يعود يداويها من اخرى " التلخيص " . وتكون النتيجة ان تستقيم له الامور .

وفي البيان اشالت قال (قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكرنا العصا ووجوه تصورها ، وذكرنا من مقطعات كلام النساك ، ومن قصار مولع الزهالي وغير ذلك مما يجوز في نوادر المعاني وقصار الخطب) . ومن هنا يفهم القارئ الصلة بين اجزاء ما قال وهي أن لا علاقة مباشرة قيمة انما علاقة ضعيفة تستطيع بشق النفس ان نسيها علاقة .

وفي الحيوان السادس قال بعد التعميد (قد قلنا في السطوط ومرافقها وفي عموم منافعها وكيف كانت الحاجة الى استخراجها وكيف اختلفت صورها ... وذكرنا جملة القول في الكلب والديك ... وذكرنا جملة القول في الحمام والذباب والغراب و وذكرنا جملة القول في الذرة والنملة وفي الفرد ... ثم ذكرنا بقية القول في المصافير والجرذان ... وقد بقيت بقية ...) واذا علمنا ان ما جاء في الاقتباس الاول هو ملخص مادة الجزء الاول . والثاني ملخص الثاني . والثالث ملخص الثالث . والرابع ملخص الرابع . والخامس ملخص الخامس . وما جاء في السادس هو نظرة عامة على ما سيجي في السادس ، واذا عرفنا انه من الصعب على قارئ كتابه ان يعرف الحيوانات التي تكلم عنها لتبادل الكلام على كل منها وخلصت اجزائه ببعضها . واذا افئنا أي شخصيا سررت وفرت وكأي على كثر حوت عندنا انتحست اسماء الحيوانات التي تكلم عنها وقد كانت فكرتها لدي مشوشة - عرفنا او بالاحرى قدرنا حق قدرها ، قيمة هذا التلخيص الذي كان يتبعه الجاحظ هنا وهناك . ولثاني مرة نقول ان الجاحظ كان من حكم الناس . كما يعرف نفسه وكان متأكدا من عيوبه . لكنه لم يستطع التغلب عليها بالمره . ولذا راج يداويها بشق الطرق .

نالتا كان يكرر لكي ترسخ الفكرة - يقولون ان في الاعادة افادة وان التكرار يعلم الحمار .
ولقد انتبه ابو عثمان الى هذه النكتة وحاول ان يطينها في اذهنه . نكرر كثيرا من الاحاديث
والاقوال والتمكيات . واعاد جانبها عظيما من المشاهدات ومنها الآراء الخاصة . الا ان الذي
يجب ان لا ننسى عنه هو ان تكرر الجاحظ ليس من النوع الممل - لانه كان ابعد الناس عنه
واشدهم نفورا منه ^{بكره} . انما كان من النوع الذي يقارب بين الخطو وغرب بين المتباعد فيسعد على
توضيح وتلخيص الفكرة . وقد كان منه ذلك في كتاب واحد اي ان يعيد الشيء مرتين او اكثر في ذات
الكتاب . أو أن يذكره في كتاب معيده في آخر . وكثيرا ما كان يشير الى تلك الاعادة الا انه في
كثير غيرها كان يتخاضع عن ذلك وعلى القارئ ان يستنتج . وكذلك نحسب أن نذكر انه في
كثير من المرات كان يعيد الشيء بلفظه وفي غيرها كان يبقى على المعنى ويغير اللفظ واليك بعض
النواهد تؤيد كل ما مر .

١ - حكاية شعرة ح ^{ابن} النعمان - قال الجاحظ في البيان الاول (ولما دخل ضمرة
على النعمان ابن المنذر ^{ابن} زرى عليه للذي رأى من دماثة وقصره وقتله . فقال النعمان : تسمع
بالمعيدي لا ان تراه . فقال ابنت اللحن . ان الرجال لا تكال بالقفران ، ولا توزن بميزان .
وليست بمسوك يستغنى بها ، وانما المرء باصفه بقلبه ولسانه . ان حال حال بجنان وان قال
قالي ببيان^١) . ثم اعادها في ذات الكتاب بل في ذات الجزء فقال (ونظر النعمان ابن المنذر الى
ضمرة ابن ضمرة فلما رأى دماثة وقتله قال : تسمع بالمعيدي لا ان تراه . هكذا تقول العرب . فقال
ضمرة ابنت اللحن ان الرجال لا تكال بالقفران وانما المرء باصفه لسانه وقلبه^٢) . وكل ما نرجوه من
ايراد هذه الرواية المكررة هو اولا ملاحظة انها متقاربة اي في جزء واحد وثانيا ان الرجل لم ينتقد
بالحرية بقدر ما تقيد بالمعنى .

٢ - حكاية الأعمى - قال ابو عثمان في الحيوان الثالث (دخل ابو عتاب على عمر ابن
هداب وقد كد بصره والناس يحزنونه . فمثل بين يديه وكان كالجمال المحجم له صوت جسيم .
فقال يا أبا أسيد لا يسوك ذهابهما . فلو رايت نوابهما في ميزانك تمنيت ان الله تعالى قد قطع
يديك ورجليك ودفى ظهرك وادنى صلحك^٣) . وفي الجزء الخامس من ذات الكتاب اعادها بقوله
(ثم رجع الحديث الى ابن العصفاء وضحكه . قال واما اليوم الاخر فان عمرا لما ذهب بصره ودخل عليه
الناس يحزنونه ، دخل عليه ابراهيم ابن جامع وهو ابن عتاب من آل مصاد وكان كالجمال المحجم

طول المتشهاد . ونسبوا انه/ كان هنا اطلال فهو في اماكن كثيرة مختصر .
وان رائده لم يكن هذا ولا ذاك انما كان فائدة القارئ قبلها . وما هما مع
غيرهما الا وسائل لتلك الساية النبيلة .

اما املته شرحه فكثيرة نذكر منها مثلاً تأليفه البيان والتبيين
لفكرة بسيطة واضحة كان يمكن ان يقول كل ما عنده بترجيها في قسم من
الجزء الاول لكه راج يملاً ثلاثة مجلدات . ونذكر أيضاً كتاب الحيوان
الذي راج يتخذ فيه من الحيوان البسيط مطية يقول عن طريقها كل ما
يجول بصدرة من معلومات ما كان يمكن طرحه دون اى اخلال بموضع الكتاب .
ونذكر الى جانب هذا مثلاً قريباً وهو البلاغة . هذه التي مثلاً صفحات
وصفات لا في التفعيل عليها غير ذلك ما قد يُعذر عليه ، وانما في تمرينها
نقط . فهو لا يكفي بايراد تمرينها الذي يراه ، ولا تمرينها الذي سمعه
من الاعراب ، بل يسأل الهندي وستغني الفارسي وستغني اليوناني . لا يل
للزنج رأى وللأعباش كذلك ، وليت الامر وقف عند هذا بلال ان للتجار دخلاً وللحداد
حُتى للرعاة .

قد يؤخذ كل هذا ويُتاح به على انه تنجح أو انه تفسير أو انه
احاطة بالاصول والفروع ، لكن ما لا شك فيه أن لكل امر غاية يجب ان يقف عندها
ولا لغزها نقصان . ونحن نقول إن الجاحظ في هذا قد جاوز الحد وتخطى
المنطقة الحرام كما يقولون . قد يكون التطويل جميلاً في رسالة الترتيب والتدوير
لان روحها فكاهية ، لكن ما اظنه كذلك في تفسير "صيد" بشر بن المعتمر
في ٦٠ صفحة من كتاب اسمه "الحيوان" أو من تخصيص ما لا يقل من عشرين
صفحة او فصل كامل ليقول لنا "الكتاب جميل نأقنوه" .

خامساً = كان يستطرد ليشوع = استطرد الجاحظ او ما سماه

بخضهم بالافتنان مشهور ، حتى ليخيل للمرء بعد كل هذه الشهرة ان الاستطرد
واسلوب الجاحظ في التأليف شيء واحد أوهما على الأقل شيئان متلازمان .

لكن الحقيقة غير ذلك . إذ أن الاستطراد صفة لازمة تأليف الجاحظ
في بعض الأماكن ويَعُدُّ عنها في كثير غيرها . أما الأماكن التي كثر فيها الجاحظ
استطراده فهي البيان والتبيين أولا ثم الحيوان ثانيا والبخلاء بعدها .
في حين أن الاستطراد يكاد ينعدم بالمرة في كل ما بقي من رسائله . والسبب
في هذا التباين كما نظن هو أن الجاحظ في الأولى كان عالما جماعا يعتمد
كثيرا على ما قال الناس ، وفي الثانية كان اديبا خلعا يحاول أن يقرر أمرا
وينسبته من عندياته . وإن اضطر استعان بغيره . هذا من جهة أما
من أخرى فإن طول الكتب هذه كان يستلزم الاستطراد للترويج عن النفس
الطلل كما سنرى . في حين أن الرسائل كانت قصيرة وذات موضوع محدد فلا
داعي للطلل ولا حاجة به لمداراته .

أما مواد هذا الاستطراد فكانت في الغالب اللغة وما إليها
من تفسير مفردات . أو محاولة الوصول إلى البحر . أو إيراد مترادفات وما إليها .
أو التوارد على اختلاف أنواعها من تاريخ أو نكاهة أو أدب مكشوف أو ترجمة وجل
أو كلام حقيقي ونوكي وصالحين وزهاد . وفي كثير من الأحيان كان يستطر
بمسألة كلامية . وفي غيرها يبحث فلسفي أو طبيعى . أو أمثاله ما كان يحفظ
عن أساتذته ومن احتك بهم . وهم كثر ومتنوعون .

كثيرون الذين قالوا أن الجاحظ كان يقدم الاستطراد . وكثيرون
غيرهم قالوا لا بل كان يأتي به عفوا وبدون سابق عمد . والحقيقة أن كلا
الطرفين محق فيما ارتأى . فالجاحظ كان يقدم تارة إلى الاستطراد ، يقدم له
بقوله (والان نتحول إلى قليل من الهزل) ويشير إليه بقوله (وليس هذا من
جنس ما نحن فيه) . ويحسنه في حين قارئه بقوله (ولا بد لمن استكده
الجد من الاستراحة إلى بعض الهزل) . وتارة كان يخطر إليه اضطرارا دون
ما وعي . ليمتدثر بقوله (والان نعود إلى ما كنا بمده) . وقد يقر بمجره
عن ضبط كقله بقوله (كان في النية الترتيب إلا أننا عجزنا)

والخلاصة من كل هذا هي أن الجاحظ كان يقدم إلى الاستطراد

ويتعمده للتقنيع والابقاء على نشاط القارئ . الا انه في كثير من الاحيان لم يكن يقصده انما كان يساق اليه بحكم العادة التي كان قد تمودها وبحكم الخطة التي كان قد اختطها لنفسه في تأليفه .

على كل هذا عن مواطن استطراده . وعن مادته . وعسا اذا كان قد قصده ام لا . لكن هذا الاستطراد يحد ذاته = ترى هل هو محمود في التأليف ام مذموم . ثم الى اي حد يمكننا ان نلصق حده او ذمه بالجاحظ شخصيا؟ . الحق يقال ان الجواب غامض وشائك . لانه يعتمد في الاكثر على الازواق . والاذواق مختلفة . ويعتمد على نسبة ذلك الا استطراد . وتمييز نسبة له ، أمر من السهولة بكان . لكننا على العموم نقول ان الغاية التي اوجد الجاحظ من اجلها الاستطراد جميلة . اي الابقاء على نشاط القارئ . وعلى هذا فهي (اي الوسطة) جميلة ، ما دامت توصل الى هذه الغاية الجميلة . واذا زادت عنها او قصرت في الجهد أدائها نذاك فيها منمزم . وعلى هذا ، فعلى الجاحظ تقع كل التبعة في حسن استعمالها وحسن توجيهها . والجاحظ في هذا - كما رأينا - قد احسن تارة خصوصا في استطراداته القصيرة . وقصر اخرى خصوصا في استطراداته الطويلة التي تُسَيِّقُ القارئ ما كان يصدده وتبعده عما كان يطالع من امثال ايراد تفسير لقصيدتين استغرق ما بين صفحة ٨٣ - ١٢٥ من الجزء السادس من الحيوان . مما لا يمت الى الموضوع السابق ولا اللاحق بصلة .

والان الى اي حد يمكننا ان نُحْكِلَ الجاحظ تبعات هذا الاسلوب ! وللجواب على هذا لا بد لنا من ذكر ما يلي = اولاً ان نكرة الفاس عن الادب في تلك الايام كانت " انه الاخذ من كل شيء بطرفاً " . وثانياً ان نكرة الجاحظ عنه كانت " هو ايراد الشاهد تلو الشاهد " . وثالثاً ان موضوعاته التي طرقها وخصوصاً في البيان والحيوان جافة تحتاج لثل هذه المداينات الاستطرادية . رابعاً ان نوع الثقافة التي تفقها الجاحظ كانت من النوع " الكشكولي " الذي ان كان لينتج طريقة في التأليف فانما هي هذه . وعلى هذا فنرى ان عدة عوامل تجتمع

وعلمت بما في اتجاه واحد حتى خلفت ما يعرف " باستطراد الجاحظ " .
 لكن مهما تكن العوامل . ومهما اثرت الظروف . فالجاحظ مسؤول
 مسؤولية الجاحظ مباشرة عن هذه النوض التي سادت كتب الادب فيما بعد .
 أولا لشهرته كعالم ادبي عصره وثانيا لتقدمه في سلم الزمن مما اضطر
 الآخرين لتقليده والنسج على منواله .

سادسا كان يعجز ليرطب الجيد = بالرغم من ان هذا ضرب من ضرب
 استطراده الذي مر الكلام عليه . إلا ان بروزه في مادة الرجل ودفعه عنه ومعرته به
 وتعرض الكثيرين له على وجه التخصيص، اضطرنا لانراة بفقرات . قال ابن قتيبة
 مهاجما الجاحظ وأخذ هذا الضرب بمعين النظر = انه كان يفصد الى المضاحك
 في كتبه . ومنه قال البندادي في الفرق بين الفرق = الا ان الحفيظة فانت صاحبنا
 فالجاحظ لم يكن يهزل لانه مهزال . ولا كان يضحك لانه ضحكة . ولا كان يقصد
 الى اي من هاته بذاتها . إنما كان يفصد اليها لغاية اسى . وهي أن كثيرين
 لم يبرزوا الجلد لدرس المسائل الموصلة ، فلا بد لهم من نسو من الترفيه
 لكي يجتازوا المناورة . وقال في البخلاء جـ نحن نقصد الى كل هذا (متى اراد
 بالمعنى النفع، والفتك الشئ الذي جُعِل له الضحك - صار المعنى جدا والضحك
 وقارا ^١) . وهذا لعمري عين الصواب . ونحن نعتقد أن في هذا الكفاية للرد
 علي هذين الطاعنين وامثالهما من تعرضوا بالغمز لمن أبى عنان .

وأبو عنان يرى أن في هذه الطريقة أو الوسطة التي لزمها ،
 ضرورة لا مناص منها اذا كان الكاتب يقصد لانادة قارئه . لان الانسان بعد كل
 الاعتبارات انسان . معرض للسأم والطل والبؤس . ولهذا (لا بد لمن استكده الجيد من
 الاستراحة الى بعض الهزل ^٢) .

وليس هذا فقط . انما هناك تنشيع للمنى وتطوُّر له حتى انه في كثير من المواضع
 فضله على الجيد كحالة نفسية فقال (وأول ما أذكر من خصال الهزل ومن فضائل المعنى انه
 دليل على حسن الحال وفراغ البال . وان الجيد لا يكون الا من فضل حاجة . والمعنى لا يكون

الا من فضل غنى . وان الجدد غضب والمغنى جمام . والجدد مبخضة ، والمغنى محبة .
وصاحب الجدد فى بلاء ما كان فيه ، وصاحب المغنى فى رجا الى ان يخرج منه . والجدد
مؤلم ، ربما عرضك لأشد منه والمغنى ملذ وربما عرضك لالذ منه (١) .

لهذه الدرجة بلغ تشجيع الرجل لهذه الوسطة نظرياً . أما عليها
نفذ استعمالها واستخدمها واحسن فى ذلك كل الاحسان . حتى إن قارنا فى كتاب
الحيوان الذى الفه فى سبعة اجزاء ، والذى من الصعب الجلوس اليه تباعاً دون عنت -
يقروءه "القارى" من اوله الى اخره دون ان يفكر فيما يسى ملأ او ساءا ، ولولا هذه الميزة
لما كان مثل هذا التلجج من قبل الكاتب.

وملاحظة اخرى نحب ان نذكرها للرجل بهذا الخصوص . وهى انه
لم يجعل مزجه فى ابواب خاصة انما فرقها فى تضاعيف القول لتكون بمثابة الطح فى
الطعام او السكر فى الشراب المر . قصد الى هذا ولم يكن منه عفوا ان قال فى
البيان = (ولم نحب ان نجعله فى باب واحد (٢) .

سابعاً - ثان يَمِيدُ ليشوق = وهذه ميزة سابعة من ميزات اسلوبه
فى التأليف لم يفتن اليها احد قبله . ونحن وان كنا نلوه من حيث الصدق والكذب
اى من حيث الاخلاق - لانه لم يكن يصدق فى وجوده كلها - الا اننا نعتقد حه
من حيث نيته التى قصد من ذلك . وهى ابقاء القارى متطلعا الى شئ يلىه .

ومن امثلة وجوده قوله = (وهم البصريون ان خديجا الخصى خادم
مثنى بن زهير كان يطوى مثنى فى البَصَرِ فى الحمام وفى سَمَةِ الفراهمة واثقان المعرنة
وجودة الرياضة . وسنذكر حاله فى باب القول فى الحمام ان شاء الله تعالى (٣) .
لكن يظهر ان الله لم يشأ . ولذا لم يذكر عنه شيئا ولم يف بهوده . وفى
مكان اخر قال بعد كلامه على بعض من عَمَرَ = (وسنذكر على هذا الباب فى موضعه
من ذكر العمرين . ونميز الصدق فيه من الكذب . وما يجوز وما لا يجوز ان شاء الله
تعالى (٤) . ولشأنى مرة لم يشأ الله تعالى .

الا انه من المدلّان نقول انه صدق في كثير غيرها . نذكر من بينها
 بوه حيث قال (وسنقول في السَّع والعِشبار وفي غيرها من الخلق المركب ان
 شاء الله ^(١) . وكذلك وعده حيث قال (وسنذكر من نوادر الشعر جملة . فان
 نشطت لحفظها فاحفظها فانها من اشعار المذاكرة ^(٢) . ونعلاً أخذ بسر طائفة
 منها .

ثامنا - كان يضاهي فارسيه ليبقيه متنبها = وفي هذه الوسيلة يَرَّ

قلما ~~من~~ نطن اليه غيره . لان القاري الذي يقرأ أسئلة موجبة اليه يظل دائما
 في حال يقظة . اما انتظارا لقراءة اجوبتها ان كان المؤلف سيذكرها واما أملا في
 الاجابة عليها بنفسه ان لم يحاول المؤلف ذلك .

وامثلة هذا كثيرة ومتنوعة في كل كتبه . ولو لم يكن لدينا الا اسئلته
 في الترييع والتدوير " وتساؤله البلاغي في " الرد على النصارى " لكنا تمشيلا ،
 خذ مثلا قوله من الترييع (خبرني مذ كم كانت الناس امة واحدة ؟ ولغاتهم
 متساوية ؟ ومد كم بطن اسود الرنجرى وابيض العقبلى ؟ ولم صار اللون اسرع تنقط
 من الجمود ؟ ولم كان الولد يجي* على شبه ما في ابيه من الامور الحادثة في بدنه
 عن غير القديمة في اصل تركيبه ؟ ومع ذلك لم يولد صبي قط في العرب مجنونا ؟ وما هذه
 الخاصية التي منعت من هذا المعنى ؟ وفي كم تمت لكل فرقة بعد التبلبل لغتها
 واستفاض لسانها ^(٣) . ثم خذ ايضا قوله من الرد على النصارى " (وسنألمهم
 ان شاء الله ونجيب عنهم ونستقصى لهم في جواباتهم كما سألنا لهم انفسنا واستقصينا
 لهم في مسائلهم = فيقال لهم = هل يخلو المسيح ان يكون انسانا بلا اله او إله بلا
 انسان او ان يكون الها وانسانا .. فان هم انه الإله بلا انسان قلنا لهم ... وان هموا
 انه انسان بلا اله قلنا لهم ... وان قالوا بل كلاهما قلنا لهم ^(٤) .

وان كنا لنستنتج من هذين المشلين شيئا فاننا ان الرجل كان يستخدم
 هذه الظاهرة (السؤال) كثيرا وانه تارة كان يسأل للتمجيز ولخرى للاستهزام .

وانه كان تارة يجيب وتارة يسترك الاجابة لقارئه . وهكذا يشغله في

صفحات وصفحات .

ثامسا - كان يخاطب قارئه ليبقى على شبه صلة شخصية به = وفي هذا ما

فيه من استسلام القارئ لصاحبه الكاتب . ومن اطمئنانه الى اكثر ما يقول . وهذا الخطاب كان تارة بشكل اسئلة كما مر وتارة بشكل نصائح يسديها اليه في كثير من الامور تشير منها هنا الى ما ذكرناه من نصائحه له في التأليف . وتارة بشكل محاولة جذبته الى جانبه ضد شخص ثالث . وهذا كثيرا ما يبرز في رسائله الدينية مثل "حجج النبوة" مثلا . والجامع بين هذه كلها - استعماله كاذ الخطاب - ومقصود التمثيل فقط ، لا يقصد الاستقفا . نورد الاقتباس التالي مع الحيوان ، الذي حاول فيه اثبات حداثة ميلاد الشعر . (قال امرؤ القيس =

ان بنى عوف ابتنوا حسنا ؟ ضيعه الداخلون اذ غدروا
ادوا الى جارهم خفارتهم ولم يضع بالمنيب ما نصروا ؟
لا حميرى وفي ولا عدس ولا اسلت غير يحكما الثفر ؟
لكن عور وفي بدمته لا قصر عابه ولا عور ،

فانظر كم كان عمر زارة وم كان بين موت زارة ومولد النبي صلعم !) الا انه يحسن بنا ان نذكر ان ابرز مواطن هذا الاتعال هي اولا مطالع الكتب . وشأنه مواقف الجدال واخيرا المواقف العاطفية خصوصا في رسائله التي فيها يهزل او يهجو او يمدح او ما الى ذلك . فهو لا يصف الشخص الثالث وانما دائما يتكلم مخاطبا الشخص الثاني .

عاشرا - كان لا يتكلم في كتبه دائما بنفر قارئه = وهذه ظاهرة من

ادق الظواهر النفسية عندها الجاحظ واستغلها لا في رسائله الثانوية وانما في امهات كتبه . في الحيوان وفي البيان وفي البخلاء ثم في التاج والحامض ان صحت نسبتها اليه . والسبب في هذا كما ارى - بالاضافة الى انه يمدح بحث على يجب ان يعتمد فيه على اراء غيره - ان القارئ اذا كان حبيب تطلع وجد اراءه للكاتب شخصية وخاصة ، ينفر من الكتاب ويرى صاحبه بالتبجح . وهذا مشاهد ومعروف .

ويكفي ان اتقول انى اكره كل ما كتب رضى مبارك ومن بعده العقاد - بالرغم من انهما كاتبين كبيران ومن ان ادبيهما من الادب الرفيع - لاني اكره الشخصية والادعاء اللذين يسميهما هذان الاديبان ادبيهما . نقول حرص الجاحظ على هذا في أمهات كتبه وفى كثير من رسائله خصوصا التى يمكن ان يروى فيها بالتحيز وهو يقصد الى الحق . مثل رساله فى مناقب الترك .

لكن إذا كان لن يقول ما بنفسه بلسانه ، وهو يريد ان يقول . تكيف يقول .. خير واسطة هى ان يروح يجمع كل ما وصلت اليه يده . ومبوءه " تعبئة عامة " ويحشوه فى نصوص متجمعة يتقود للنابية التى يريد لها . وعلى هذا النهج سار فى كل البيان اللهم الا من شذرات خاصة . وكل الحيوان اللهم الا من خفريات عابرة . وكل البخلاء اللهم الا من لفتات لم يستطع كتمانها +

خذته مثلاً يسرّد أن يقول إن البيان أحسن من عدمه فى البيان والتبيين . فماذا يفعل . لا أكثر من ان يحشد كل كثرما عرف من اقوال تنريفة ومقطعات شعرية وحكايات مختلفة يروح يصبها الواحدة تلو الاخرى حتى يتم له نصل . مجموعته يقول بان البيان احسن من عدمه .

ثم خذته فى " تفصيل النطق على الصمت " ، فى رسالته الكاملة التى كتبها بذلك تجده استعمل ذات الشيء . اقوال واقوال . اما رأيه الخاص بمن المسمى ان تقف عليه . وشالت مثل نجح ان يقدمه على هذا هو رسالته فى مناقب الترك التى كانت بكاملها مثالا ناطقا على ما نقول . والتى تحتفظ بجملة منها هي التى هدثنا الى هذه الميزة فى اسلوبه . اذ دونها بقلمه . قال (إلا أنا على كل حال سنذكر جملاً من احاديث روضهاا وروضاها . واموا رايناها وشاهدناها . وقصصاً تلقيناها من افواه الرجال ومعناها . وسنذكر ما حفظ لجميع الاصناف من الالات . حتى يكون الخيار فى يد الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لمعانيه . المقلب لوجهه بالفكر فى ابوابه . المقابل بين اوله واخره . ولا نكون نحن افتحلنا شيئاً لغير شئ . وتقلدنا تفصيل بعض على بعض . بل لعلنا ان لا نخير عن خاصة ما عندنا بحرف واحد . نأذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعه على هذه الصفة كان ابعد له من مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهوى ^١)

هذا ما قصد اليه الجاحظ وهذه هي غايته من ذلك القصد بمعنى
العدل أولا وعدم التحيز ثانيا والابتعاد عن قول " انا " قبل كل شئ .
لقد لاحظ هذا عليه الباقلاني في إعجاز القرآن وهاجمه بعض النشء وانهم
البغدادى بقلة البضاعة . الا ان الحق يقال ان لكل شئ حدا تجاوزته معناه
الانتكاس . بالاستنباط وخصوصا في المسائل العلمية جميل ، لكن انعقاد
الشخصية وتعنى الاراء الشخصية بالرة وخصوصا في الادب امر لا يحمد عليه صاحبه البتة .
واقبل ما نستطيع ان نصنف به انه جبين ادبى لا نقر صاحبه عليه .

لكننا اذا ذكرنا أن الجاحظ كان ابرز اديب عربى ظهرت شخصيته في كتيبه
ودافع عن ارائه في رسائله ، - عرفنا ان الرجل لم يكن فقيرا من هذه الناحية -
لكن المشكلة تبقى بدون حل . وهي لماذا انعدمت هذه في كتيبه الثلاثة الكبرى
على الاخص في البيان . الجواب عندى هو = ان هذه الثلاثة كتيها في أخريات
ايامه بعد ان اطلع وحفظ وجرب . محاولا ان يدون فيها اكثر ما يستطيع تدوينه
ما يعرف . حفظا له وابقاء عليه للخلد . لكن ان يكتب هكذا كشاكيل ومجموعات
بدون موضوع ، أمر يُظهِر صَمْنًا من ناحية ولا قيمة له من أخرى . وما أن موضوع الادب
والبيان واسع ، لذا - راح يتكلم فيهما وبدون ما عنده . ومثل هذا فعل في الحيوانات
وما علق على هوامشها من مختلفات .

من هذا نرى ان الجاحظ كان شديد الحرص على قماره . يحاروه ويداره
وسمى جهده لثلا يغضبه . ويفعل له كل ما في وسعه لثلا يمسحه . وفي ذات
الوقت كان يأخذ بيده ليقوده الى حيث يريد دون اى سوء ظن . ولهذا كانت
كتبه ذات رواج . ولهذا كان ينتظرها الناس انتظار صنف اليوم . ولهذا
كان لها اثرها الفعال .

ملاحظة

الا ان هناك نقاطا اخرى عُرف بها اسلوب الجاحظ مما يجدر بنا
ان نلحقها بسابقاتها لنتم لنا نظرة عامة في اخص مييزات اسلوبه التأليفى . لكن
بما انها ذات صبغة مختلفة عن سابقتها ، لذا سنعطيهما حلا منفردا عنهما .
اهم هاتين النقطتين .

اولا - المسائل الميكانيكية - = كان الجاحظ يحرص كل الحرص على ان يبدأ كل رسالة او كتاب يخطه او يبلطه بالحمد لله ان لم يكن بالبسطة . وبعد هذا كان دائما حريصا على ان يدعو لقارئه بما حضر من الدعاء . ثم يروح يذكر الدافع الذى دفعه لكتابة ما بين يديه . ثم الغرض الذى يرجوه من الكتابة . بعد ان حركه ذاك الدافع او الباعث . حتى اذا ما تم له كل هذا اخذ فى سرد اكثر ما يمكنه ان يسرد عما سيقول فى الكتاب المقصود . وفى الانشاء يذكر كتباً سابقة او ينسج باخرى لاحقة .

نقول هذه المسائل حرص الجاحظ عليها كل الحرص وسمى جهده لان تكون بارزة فى كل كتاب من كتبه . ^{والذى يطالع كتبه} ويتحقق من كل هذا . الا اننا هنا سنورد مثالا واحدا يقيناً/ويؤكد نائياً قلنا . وسنختاره من مقدمة البخلاء وسنرتبه حسب الترتيب الذى قدمنا .

١ = بسم الله الرحمن الرحيم

٢ = تولاك الله بحفظه واعانك على شكره ووفقك لطاعته وجعلك من الفائزين برحمته

٣ = ذكرت حفظك الله انك قرأت كتابى فى " تصنيف حيل لصوم النهار وفى تفصيل حيل سراق الليل " وذكرت ملج الحزاي واحتجاج الكدى .. وقلت بيّن لى ما الشئ الذى حبل عقولهم " البخلاء " ... وسألت ان اكب لك علّة خباب فى نبي الخيرة وان ذا العروة الى هذا العلم انقر ... فاما ما سالت فساوذك فذلك فى قصصهم ان شاء الله تعالى ...

٤ = تفصيل حالهم وتبيان دخائل نفوسهم اجابة للطلب فقط اذ يقول = ولولا انك سالتنى هذا الكتاب لما تكلفته . فان كانت لائمة او عجز فعليك وان كان عذر فعلي دونك .

٥ = وينبئى برسالة سهل بن هرون ثم يطرّف اهل خراسان لآثار الناس

فى اهل خراسان ...

٦ = كتاب تصنيف حيل لصوم النهار ...

يجدر بنا ان نذكر ان منهجه قلما اورد كاملا في صدر كتابه . بل
تعود ان يذكر منه ~~بعض~~ نثراً متفرقة هنا وهناك في ثنايا الموضوع كلما دعت اليه الحاجة .
وما أظننا بحاجة للتفصيل ^{هنا} عليه .

ثانياً - ثنائياته = كان الجاحظ ثنائياً في تاليفه . بمعنى انه لا يستطيع
ان يتكلم عن مفرد لوحده . انما بمقارنته بآخر . فهو لا يتكلم عن الكلب الا اذا قارنه
بالسديك . ولا عن الدجاج الا اذا أتي بالحمام . ولا عن الخنزير الا اذا باراه بالفيل .
هذا مظهر من مظاهر ثنائياته في عالم القيد . اما الثاني فهو في ميدان المصالح .
نجد ^{هنا} ~~الرجل~~ لا يتكلم عن الشجاعة الا اذا قال في الجبن . ولا عن الكرم الا اذا روى في البخل .
ولا عن محاسن المرأة الا اذا وازاها بعيبيها . ولهذا اشتهر بالأضداد . اما الثالث
فهو انه في حالة عدم ضرورة المقارنة او في حالة استحالة وجودها يروح يفضل هذا
الشيء على غيره وسداف عنه بفرده . كانه تفضله كادياً في تمييزه ورائع عند طلبة العرب ومعدن تراثهم .

وهذه لعمري ظاهرة لا تحتاج للتفصيل بقدر ما تحتاج للتعليل
والتعليل . خذ مثلاً يتكلم عن فصاحة اللسان . وهذه مسألة يمكن دراستها
دراسة موضوعية بحتة . لكن اني للجاحظ ذلك . فهو لا يستطيع ان يفهم
حقها حتى يثبت ان العرب اوضح الناس لساناً وانهم الامة الوحيدة من بين الامم
التي امتازت بها . وانها يستقيم التي بهم التصفى وفيهم خلقت . اما غيرهم فلا
شيء في الميزان . ترى لماذا كل هذا ... وهل هناك من سبب قد كمن في الخفاء ...

لقد قال بعضهم إن سبب ذلك هو القوة التي امتلأ بها الجاحظ
فهو يحب ان يملأها للناس بكل مناسبة يمكنه ذلك . اما نحن نرى ان العكس من هذا
ايضاً صحيح . وهو ان الرجل فيه شعور بالنقص الذاتي فهو يحاول دائماً ان يستره بمثل
هذه المظاهر . اما ايها الصحيح فالحق يقال ان الجواب مبهم . الا اني اميل الى الثاني .
وساعدني في إيسى ان نقصه الخلق عامل نعال في هذا لا يمكن ان يتناساه الجاحظ
حتى ولو كان ادهى دهاة عصره .

من هذا نرى ان ^{اهم ميزات} أسلوب الجاحظ في التاليف أو الدعاية التي يقوم
عليها ، أو الوحي الذي املاه عليه وسيره فيه هو اولاً حرصه على القارئ ثانياً طبعه
الذي لم يستطع ان يخفيه . ولان تحول الى كلمة مختصرة في اثر هذا الاسلوب نيسن جزءاً .

ثالثا - اثر أسلوبه فيمن جاء بعده -

ما لا شك فيه ان العصر العباسي (وخصوصا فترته الاولى) الذين عاش فيهما الجاحظ كاهن أزهى عصر الادب العربي على الاطلاق . بل عصره الذهبي الوحيد الذي وصل فيه الى اقصى منتهاه . وما لا شك فيه ايضا ان الجاحظ كان علما من اعلامه ان لم يكن علم اعلامه على وجه الاطلاق . ونتيجة لهذا لا شك ان الكثرين تأثروا واتسموا به . فمن هم هؤلاء ؟ واين وكيف كان منهم ذلك ؟

هذا الاسلوب في التأليف الذي كنا نتكلم عنه هو حُلُقُ الجاحظ وابداعه . أولا لان حركة التأليف على العموم كانت في بدايتها ولما تنكف حتى يقال انه اخذ من اقترانه او سابقه . وثانيا انه كان متقدما على اكثر اولئك الاقران في الزمن . وثالثا انه اذا درست من قبله لم تجد شيئا عندهم يمكن ان يقال ان الجاحظ نقله عنهم او انه تأثر بهم فيه . في عالم التأليف . انما على العكس تجد أن اكثر من جاؤا بعده قد نسجوا على منواله .

اما اشهر اولئك الناس فالمعري في عجائب المخلوقات . والدميري في حياة الحيوان الكبرى والمبرد في الكامل . والعرباني في الموشح . ولن ننسى الأبهسي في المستطرف ولا الخفاجي في مجالس الميقاتية الظرفاء ولا البيهقي في الحاسن والمساوي الذي يكاد يكون صورة اخرى عن الحاسن والاضداد .

عندما نقول (تأثر) نعي انه ابتدع تلك الطرق التي استنتها الجاحظ والتي تكلفنا عن اهمها فيما سبق . مثل التلخيص والتكرار والهزل والاستطراد ومخاطبة القارئ والثنائية والتماثل وهضم ابداً الراي الصريح الى اخره ... هذا إن لم يأخذ من مادته رأسا . وللتبثيل فقط نأخذ فصل الذباب من حيوان الدميري ونقارنه بفصل الذباب من حيوان الجاحظ . لـ اننا نلاحظ عدم استطاعتنا الهزل بكامله لطول الفصل ولذا لجأنا لذكر أوجه الشبه فقط -

- ١ - كلاهما بدأ بلعنات الذباب
- ٢ - كلاهما استطرد في لغوخرافة وفتح واشياء اخر
- ٣ - كلاهما استعمل الثنائية
- ٤ - كلاهما هزل وضحك
- ٥ - كلاهما قل كلامه وكثرت استشهاداته
- ٦ - الا انها اختلفتا في ان الدميري

اخذ عن الجاحظ حزنيا في الجزء الاول ص ٣٢٢ وهذا لا يعني سوى شيء واحد وهو ان الدميري قرا الجاحظ واستفاد منه ونقل عنه وبالطبع تأثر به .

المقالة الثانية : في اسلوبه الانشائي

يقولون ان الاسلوب هو الرجل ويقولون كذلك ان الاناء بما فيه ينهج ، ويقولون اشياء كثيرة اخرى إن دلت على شيء فافعلنا على ضرورة اتفاق الكاتب واسلوبه وان يكون الاخير صورة طبق الاصل من الاول اذا كان كاتبنا ناجحا في الحق . والجاحظ قد برهن على انه كاتب ناجح . وقد برهن على انه رجل نريد في بابيه . ولهذا وجب ان يكون له اسلوب واسلوب نريد في بابيه مثله . فما هو هذا الاسلوب !

لقد استمع الجاحظ الى الاعراب فاناد من اسلوبهم البدوي الخشن الجزل ، ودارس العلماء فاطلع على طرقهم في كتاباتهم ، وطالع المؤلفات وتشرب بروحه روح اساليبها . والى كل هذا عرف كثيرا عن الفرس واليونان والهند وغيرهم في كتبهم . ولا بد ان يكون قد اخذ من كل نصيبا ممينا . صهر مجموع هذه الانصبة في أتون عقله المتقد ثم أخذ يكتب باسلوب مكوّناته منها ولكن شخصيته جاحظية . فما هو هذا الاصلوب !

هو التوازن = وما أدراك ما التوازن ! ولكي تعرف ما هو التوازن اولى الاقل لكي تأخذ منه فكرة عامة سنحاول ❦ أولا ان نعرف الى مَقَوّماته التي لا بد من اجتماعها ليهتكون عندنا التوازن . ثانيا ان نلجّ ولو باطراف من مَرَاتِبَاتِهِ اى تلك الخصال التي ليست من صلبه وانما ترافقه وتضوح عنه ولا بد من وجودها معه اذا ما بُد . ثالثا رَوّادُه الدّوِين شقوا طريقه امام جاحظنا . رابعا اُتْبَلَفَه الذين تأثروا به بعد ان يَلُزَرُه وَجَسَمُه الجاحظ اسلوبا كاملا . خامسا سَوَاطِنُه التي كثر فيها واخيرا تَقْدِيرُه او ما قال فيه لمداه وانصاره وما نرى فيه نحن بكل اختصار .

اولا مقومات التوازن = تعني بالمقومات تلك الخصاص التي يجب ان تجتمع مع بعضها ليكون من مجموعها اسلوبا جديدا خاصا هو الذي ندعوه

"التوازن" وأهم هذه القومات ما يلي =

١. - الفاظ رشيقة : وهذه الالفاظ كما وردت في اسلوب

الجاحظ - وكل كلفنا منه - كانت في الاغلبية الساحقة سهلة بسيطة قريبة من الواقع لا تَعَثِّلُ فيها ولا تَعَنِّع ولا تَغْفِر ولا توغر . تؤدي المعنى المطلوب وتقف عند ذلك الحد . لم يفقد منها ظلالا ولم يطلب منها ما وراء الظاهر .

ولم يكن هذا من الجاحظ عفووا بل قصده ان قال : وغير اللفظ ما كان على قد المعنى لا زيادة فيه ولا نقصان ^١.

وعلى هذا جرى في كل كتاباته تقريبا . وإليك النمل البسيط التالي من " الجد والهزل " قال (وبعد متى صار اختيار النمل على الزرع عقد الاخوان . ومتى صار تغذيل الحب وتغريظ النمر يورث الهجران . ومتى تميزوا هذا التميز وتهاكوا هذا التهاك . ومتى صار تقديم النخلة مله وتغذيل ~~المجبة~~ السنبلة نخلة ومتى صار الحكم للنخبة نسبا وللكرامة صبرا ومتى تكون فيها ديانة وتحكم فيها بعمرة وتحدث عنه حمية ^٢) .

الا انه يجب ان لا يفهم من هذا ان جميع مفردات الجاحظ على هذه الشاكلة، سهلة سائلة ^٣ ان انه في الحق استعمل كثير من الكلمات الصعبة ما يحتاج في حله لقاموس . ولغوى غريبة لا تكون معرفتها الا ~~بمجهود~~ من معرفة كلام الناس انذاك . فللدخيل في لغته نصيب كما ان للعامة مثله . واليك الكلام التالي مثلا على مفرداته الصعبة = قال في " الجد والهزل " (فلان يدهق في حبه ^٤) . وقال في ~~المجربون~~ البخلاء (كان فلان يتعرض للمالبلة ويمالهم الملق ^٥) . واليك هذا مثلا على الدخيل في لغته . قال في الحيوان الاول (واجود الخصا ما كان في الصفر وهو يسمى بالفارسية بروخت يعني بذلك انه خصني رطبيا) واليك هذا مثلا على بعض اثر الكلام فيها = قال في البيان (اخرج الله من باب اللبسية

فادخله في باب الانسيه^(١) . واليك هذا الاخير مثلا على عاينته = قال في البخل -
(وليشي يقول الناس) ٢ .

واذا كما لنستنتج شيئا من وراء كل هذا فهو واقعة الرجل التي
كان يسعى وراءها في كل ما دون من كلام . مطابقة الغال المقضى الحال هي التي يريد بها .
التعبير الواضح عن اى طريق هو الذى يطلبه وما عداه فمن الكاليات . اذا كان لا بد
من القارسية فلنكن الفارسية . واذا كان لا مناص من العامية فلنحى العامية . واذا
كانت النسخة^{نسخة} فوق الجميع . هذا هو دستور .

٢- جمل قصيرة . = اذا كانت مفرداته قد اتصفت على العمم بالخفة
والرشاقة فان جملة على العمم تنصف بالقصر والانسجام والسرعة . السعة في الضرب
نحو الهدف . واليك مثلا منها يُظْهِرُ لَكَ بِنَفْسِهَا مَا تُرِيدُ ان تقول ان تُشْمَرُ
بمجز عن التعبير . قال الجاحظ في التريخ =

(وما اظنك صرت الى معارضة الحجة بالثبته . ومقابلة الاختيار بالاضطرار . واليقين
بالثبته . واليقظة بالحلم . الا للذى خصصت به من اينار الحق . والهمته من فضيلة
الانصاف . حتى صرت لحيج ما تكون الى الانكار . اذ عن ما يتكون بالاقرار . وانشد ما تكون الى
الحيلة فقرا اشد ما تكون للحجة طلبا . الا ان ذلك بطرف ساكن . وصوت خافض . وقلب
جامع . وجأش رابط . وثبة حسنة . وارادة تامة . مع غنلة كرم . وفطنة عليم . وان انقطع
خصلك تغافل . وان خرف ترفقت . غير منخوب . ولا متشغب . ولا مدخل . ولا مشترك . ولا
ناقص النفس . ولا واهن العزم . ولا حסود . ولا منافس . ولا معاقب . تقل الحز وتصيب المفضل^(٢)
جَمَلٌ كَلِمَاتٌ قَصِيرَةٌ وَكَلِمَاتٌ سَهْلَةٌ وَكَلِمَاتٌ بِسِيطَةٌ خَفِيفَةٌ رَشِيقَةٌ . واضحة موجبة مجر
نحو غرض . فهي مسرعة اليه . حتى ليخيل الى القارئ انها رشاش " مترايز " في
ظلام الليل قد انطلق سراعاً نحو الهدف المقصود . لاذعة احيانا فارسة اخرى
بيكة^{بيكة} لحيانا . بيكية في غيرها . الا انها على العمم خفيفة الحمل . بسيطة التركيب .
ذات منفعل عظيم .

لكن يجب ان لا يخيل للقارئ ان كل جمل الجاحظ من هذا النوع . فهذا
وان كان هو الاغلب الاعم الا ان هناك غيره . فمن تمايزه ما هو كلاسيكي يحتاج
للإصمى حتى يُلغى غامضها . ومنها ما هي خاصة به نسجها بعقله ودونها بقلمه

ومنها ما هي عاينة بل وببذلة . والبك امثلة على كل من هاته .

١- قال في الحيوان (والحيوان لا يخرج في لغة العرب من نصيح واعجم .
كذلك يقال لهما لم يتكلم قط . فيحطلون ما يرغبون ويغفون ويهلق ويهمل وتسبح ويحمر
ويبغم ويغوى ويهيج ويغزو ويغزو ويهدر ويصفر ويصوى ويغزو ويهلق ويهمل وتسبح ويحمر
ويكس ويهيج - على نطق الانسان اذا اخرج جمع بعضه على بعض^١)

٢- اما تعابيره الخاصة فاكبرها جملة يدل دلالة واضحة على روحه
ومن اشهرها = على وجه الدهر^٢ . منع طلوع الشمس^٣ . نما اليمس في جلد
البعير باعلق من بعض الشعر^٤ . طارت عصائير راسه - للخائف^٥ . ولم ار
جباناً قط اجراً منه ولا جريراً قط اجبن منه^٦ ومنها كان اعلم الناس بما لم يكن
واجهلهم بما كان .

٣- اما التركيب فنزل المفردات المعانية التي لم يتخرج الجاحظ من
استعمالها حيث اقتضت الضرورة = قال في البخلاء (فلان عنم لافى ، وفلان
خرج فوق ابوه^٨) وفي التزييع (انا تربية كك^٩) . وفي البيان (انشدوه
قصيدة عبدة (التي على اللام) ، ومنها قصيدة ابن الاسفلت (التي على المين^{١٠}) .

ولولا ان شرح هذا سيأتى في باب النقد لاطلنا فيه . لان الجاحظ
قصده وتعمده ارضاء للواقعية التي كانت تجرى في كل عرق من عروقة وطبعت كل
عمل جاء به .

٣ . نفس طويل = والنفس الطويل معنى ذلك النوع من التعبير الذي
يسك بنفس القارئ مدة اطول من اللازم انتظارا للنتيجة . وهذا بالطبع لا يكون
في القارئ الا بعد ان يكون قد توفر من قبله في الكاتب . وقد كان الجاحظ فعلاً
ذا نفس طويل . واما طول النفس هذا فقد لاحظناه في ظاهرتين = الاولى بعد
ما بين البتداء والخبر في الجملة الواحدة والثانية قريبا لكن بعدما بين ابتداء
القول وتدايه الذي لا يطمئن للقارئ الا بالوصول اليه . ولكي يكون هذا واضحاً نورد

(١) ح ١٦/١	(٢) س ١٢٣	(٣) ح ١٢/٣	للجزء المشهور (٤) ح ١٢٨/١
(٥) ح ١٣٢/٢	(٦) ب ٤٩/١	(٧) س ٦٥	(٨) س ٨٠ (٩) س ١٣٢
(١٠) ب ١٢٠/١			

على طارف قدره او نالده حفظه او على يكد كرم في اصل تركيبه ومجاري عرقه .
وانت تزم ان هذه المعاني خالصة لك مقصورة عليك . وانها لا تليق الا بك ولا
تحسن الا نيك . وان لك الكل وللناس البعض وان لك الصافي ولهم المشوب .
هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه والبديع الذي لا نبلغه = فما هذا الغيظ
الذي انضجك وما هذا الحسد الذي اكمدك وما هذا الاطراق الذي قد اعتراك
وما هذا الهم الذي قد اضناك .

هذا هو طول نفس الجاحظ الذي نحبان نظيره . وهو لمعى
جميل في ناحيته . لقد عرفنا من الكتاب من طال نفسه . فطه حسين مثلاً طويل
النفس لكنه الى جانب ذلك طويل العبارة وكثير تكرار المعنى لذا ج الكيرون اسلوبه .
اما الجاحظ فلما طال نفسه قصرت جملة فكانت هذه وتلك طير معينين على
ابرار اسلوب الجاحظ . وليست هذه المرة الاولى التي يمرض بها الجاحظ فيها
ما يكره القارئ ~~بمجرد~~ بداريه او يحب نيجاريه . بل هي واحدة من عدة راينا
بعضها فيما مر من الحديث .

٤ - ترادف الجمل = ما دامت جملة قد قصرت ، وما دام نفسه

طال ، لذا ليس من الغريب عليه ان يسوق جملتين او اكثر من هذا القصار
معا - لكي تنوب عن واحدة طهلة تشبع ذهن القارئ وتؤيد المعنى في نفسه
دون أن يُقْلَع . وليست كل ترادف مثل ترادف الجاحظ ، لا يُفَسِّر به ، ولا يُفَكِّر
قارؤه بنفسه لانه طبيعي . خذ مثلاً قوله في الترييح (والناس وان قالوا في الحسن
كانه طاقة ربحان وكأنه خوط بان وكأنه قضيب خيزران وكأنه غصن بان وكأنه ربح
رديني وكأنه صنيعة يمانية وكأنه سبغ هندواني - نقد قالوا كأنه المشتري
وكان وجهه دينار هرقلي وما هو الا البحر وما هو الا النيت وكأنه الشمس
وكانها دارة القمر وكانها الزهرة وكانها درة وكانها غمامة وكانها مائة ٢) .
واذا عرفت ان جميع الشق الاول معناه (جمل الطول) وان جميع الشق الثاني لم
يزد عن (جميل الاستدارة) واذا اصبحت الى هذا انك ما شعرت اثناء القراءة
بأى ملل ، تاكدت من ان الجاحظ كثير الترادف . ولكنه الترادف الجميل .

• - تكرار الكلمات = وهذه ميزة أخرى من ميزات أسلوبه

الانشائي . تغلب عليه في المواقف العاطفية وخصوصا الوصفية او التأويلية منها . نعلم تكرار كلمة او تكرار حرف يَجْعَلُهُ بمثابة مركز الهجوم . وقد لاحظنا ذلك كثيرا منه في عدة أماكن من كتبه . نكتفي بذكر تكرار حرف لا ^١ وكان ^٢ وكان ^٣ . وأخيرا حرف الواو ^٤ . واليك نموذجا من هذا التكرار = (وإنا لا نستطيع أن نقول في التفريق ، كأن عنقه ابرق نضة ، وكأن قدمه لسان حية ، ثم وكان عينه ماوية ، وكان بطنه قبطية ، وكان سانه برديّة ، وكان لسانه ورقة ، وكان سيفه حد سيف ، وكان حاجبه خط بقلم ، وكان لونه الذهب ، وكان عوارضه البرد ، وكان ناه خاتم ، وكان جبينه هلال *) . وظن في هذا الكناية لتوضيح ما نحن بصدده . لقد نقل مثل هذا السيد كرد علي في "امراته" وقرّنه بقوله = (انظر اليه كيف يكرر نعل "كأن" مرات في بضعة اسطر . يا ما احبلاه في مكرراته وفي موجزاته ^٥) . أما نحن فلا نرى رأى الاستاذ كرد . إذ الحقيقة - والحق يقال - ان هذا التكرار متعمد ومزعج لا سيما دون تغيير لا في المعنى ولا في البنى - ونحن وان استحسننا منه تكرار الجمل لتغيّر البنى بالرغم من ثبوت المعنى الا اننا لا نستطيع ان نستسيغ هذا الثبوت الجامد . وكل ما نقوله = انه لو كان قِطْعَ التكرار ^٦ . ولولا أنه النادر في كلام الجاحظ لاتهمناه بضعف البضاعة . لكن الذي يدون المصيبة هو قلته بل ضدورته .

٦ - الاطناب = والاطناب هو اخذ فكرة معينة ثم معالجتها

باسهاب وتعمق من جميع الوجوه حتى ليخيل للقارئ ان الكاتب لم يتوكل فيها مخيا الا كشفه ولا يهتما الا ازال غاضه ولا يستقرأ إلا كنفه . والجاحظ في هذا كان ذا قدرة عظيمة . وليس هذا منه بمجيب وهو دائرة المعارف وجماع علم عصره ومن سبقه . خذ مثلا يسريد ان يشبت لنا في رسالة مناقب الترك ان الترك شجمان . او خذ في التريخ يسريد ان يقول لنا ان احمد بن عبد الوهاب احمق . او خذ في البخلاء يسريد ان يسم الكسدي بالبخل . أو خذ في اي موضوع طرقة = وحاول ان تدلني على غاش تركه على حاله او خبيثة مرؤس ينكسها . كل شيء كان يقول . وكل ما يمكن ان يقال كان يفسر .

(١) مع ١٢ (٢) مع ١٣ (٣) مع ١١٢ (٤) مع ١٢ = ١٢ -

(٥) مع ١٤٤ (٦) كرد ٤٢٢

لم يخرج من الادب المكتوب ، بله العالي ، وحتى علاقات الزوجين كان يثيرها ويغيض فيها اذا اقتضى ذلك حوار ما بين الكلب والديك .
 لكننا نقول والأسف يملأ قلوبنا إن تلك الدُرَر وردت مفردة مشوشة مضطربة . لو جُمع شتاتها وَوَحَّدَ شجانها كَلَّ في بابها لكائنات اجتاحت الجاحظ في كل موضوع طرقه إحدى الاعاجيب . قرأت لاحدهم قوله لصاحبه = قُلْ لِي بِرِيكَ أَيْ شَيْءٍ كَانَ يَحْسُنُ أَبُو عَمَّان ! فقال له وما بالك لا تقل لي انت : اى شيء كان لا يحسن .

إن الاشلة القصيرة لا تنفي بالغرض لان الجاحظ طويل النفس ، والاشلة الطويلة من القمذر نقلها لتقيدنا بقيود عدة . لكننا مع ذلك نورد المثال التالي على إطنابه ، لعل فيه بعض شفا الغليل = قال الجاحظ في الترميز (جعلت فداك . قد شاهدت الانس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة ومزوجة واغفالا وموسومة وسالمة ومدخولة . فما يخفى عليك العجة من الشبهة ولا السقم من الصحة ولا الممكن من الممتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل . وعرفت علاقة الثقة من علامة الريبة . حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذائيرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت السبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج ، وشاهدت الملل وهي تولد والاسباب وهي تمنع فعمرت الموضوع من الخلق والحقيقة من التعبد) .

وعلى هذا (فما تقول لي الراي وما تقول لي الروي) ثم ياخذ في اسئلة يهيلها انهيال الطر ويثولها انهتيال الماء من الشلال . اقرأ هذا وقُلْ برسك ماذا ترك الجاحظ ما يمكن ان يقال لابن عبد الوهاب ليفهم انه عالم بكل شيء . انه لم يترك . أو على الاقل هو مُتَمَيِّنٌ على حواس القارئ ليخيل اليه لأول وهلة انه استقصى كل شيء ولم يترك شيئاً . وهذا هو عجزنا سر من اسرار عظمتة .

٧ - التوازن = لقد قال الفلقسندي كما سيجي* ، إن

التوازن هو عاطل السجع . ولمرى لقد قرب من الحقيقة بقدر ما
 ابتعد عنها . اما افترايه فمن حيث ان التوازن يتطلب الوزن ولا
 يستغني عن الموسيقى ضل السجع . واما ابتعاده فمن حيث قوله
 ان التوازن سجع عاطل . اذ الحقيقة ان التوازن سجع في الاصل
 لكنه خطأ خطوه اعلا في سبيل الحرية ورمي القيود . ولست ادري متى
 يقال عن تقدم قد تأخر أو عن تحرر قد تدهور !

على كل لا يهمننا هذا بقدر ما يهمننا اظهار سمات التوازن
 في توازن الجاحظ . لا سيما وانه (اي توازن) ابرز عنصر منه
 الاسلوب لدرجة انه اخذ اسمه منه .

هذا التوازن يظهر في النقاط التالية . اولا توازن جمل
 بكامل كلماتها ، ثانيا موازنة الكلمات الاخيرة منها فقط . واخيرا موازنة
 الجمل من حيث هي جمل لا من حيث هي كلمات ، وجمل جيمها قصيرة
 والا تطويل الثانية مراعاة للنغم الموسيقى . ولنرجع هذا نورد الأمثلة التالية =

أ . موازنة جميع الكلمات = قال الجاحظ في الجذ والهزل
 (والله لودبرها الاسكندر على دارا بن دارا . واستخرجها المهلب على
 سفيان بن الابرود . وفخت على هرشة في مكيدة خازم ابن خزيمه . ولودبرها
 لقيم بن لقمان على لقمان بن عاد . ولو اذ^{لها} قيس بن زهير على حصن
 بن حؤيفة . ولو توجهت لكهان بني اسد على ملو دهاة قريمن . لقد
 كان ذلك من تدبيرهم نادرا بديما ولكان في مكائدهم شادا ربيعا . وانهم
 وانها لترتفع عن قميمير في كيد الزبا . وعن خزيمه في مشاورة قصير . وما
 اخالها الا وتدق على ابن العاص . وتنض على ابن عزم . ويكل عنها اخو ثقيف و
 ويستلم لها ابن سمية .) بهذا نكتفي من هذا الطال وكل ما نرجوه هو
 ملاحظة حرص الرجل على توازن كلمات جملة ومقالات في ذلك . حتي يخيل
 الى المرء انه كان يسعد^{ها} الا نم يز^ن جر^سها ثانيا ثم يحاول ان يضع مجموع

هذا امام مجموع ذاك ، ليتم له ما اراد ما يصعب على غيره . " يكل له اخو ثقيف وستسلم له ابن سبيه " .

ب - موازنة الكلمات الاخيرة فقط = وهذا ^{فقط} الزم نفسه به من قبل . فهو لا يوازن جميع الكلمات انما يوازن واخر الجمل ليتم له التجانس الذي يريد من الناحية الفنية . وهذا يسجج الى حد محدود . لكنه لا يتطلب القافية بقدر ما يتطلب الجرس . او بكلمة اخرى لا يتطلب الشكل بقدر ما يتطلب الوزن . ومن امثلته قوله في مطلع المداوة والحسد (احب الله مدتك الصمادة والسلامة . وقرنها بالمائة والسرور ووصلها بالنعمة التي لا تزول ، والكرامة التي لا تحول) وكل ما نرجوه ان تقابل (السرور بلا تزول) وان تلاحظ التوازن الموسيقي دون التطابق اللفظي وهو ما اراد الجاحظ . اما لو طابق اللفظ اللفظ ، فكان لدينا سجع لا توازن .

ج - موازنة الجمل عامة - وتعني بذلك جعل طولها متساويا لكي يتم الجرس ولا تلتكن الثانية اطول من الاولى لذات اللمة . وذلك لتتمكن النفس من الاستمرار فلا ينقطع دفعة فيتعجب القارئ بقطعه . واليك هذا المثل على تمام التوازن وطول الجملة الثانية من الجد والهزل (ابقاك الله - انت شاعر وانا راوية وانت طويل وانا قصير . وانت اصلح وانا انزع . وانت صاحب برازين وانا صاحب حمير وانت ركين وانا عجول وانت تدبر لنفسك وتقيم اود غيرك وتتمتع لجميع الناس وتبلغ بتدبيرك اقصى الرعية ، وانا اعجز عن تدبير نفسي ومن تدبير امي وبدي) . انظر الى هذا الكلام ثم قل برك الا يخيل لك ان ابا عثمان كان فحاشا ونا في ذات الوقت . . .

هذا ما استطعنا ان نوردده وصفا لاسلوب الجاحظ او لتوازنه بعد ان عرفناه على وجه التخصيص وهو كما ترى اسلوب غريب من السجع جدا . بل تطور منه وزيادة عليه . نشأ السجع وقرنه القدماء روضوا لقيوده ما داموا في ظلام الجهل ، حتى اذا ما جاء الجاحظ واطلع واطلع على روضه بهذا الاسلوب الخاص الذي لا هو سجع مفيد ولا هم ارسال ، مفكك بل وسط بينهما وخير الامور الوسط .

ثانيا مرافقات التوازن - هذه ليست من التوازن نفسه كالتي مرت ، بمعنى انها مكوناته التي بدون اجتماعها لا يكون هناك توازن ، او بكلمات اخرى يعتمد عليها التوازن في وجوده ، بل هي نواتج عنه و مرافقات له ، وجودها يعتمد على وجوده . فان وجد وجدت وان لم يوجد لم توجد . الا اننا

على العموم نقول ان الصلة بينها وبين مكوناته شديدة لدرجة لا يمكنها أن تفصلها والا كما كن
اخفى جانباً من الصورة . اشهر هذه المرافقات ما يلي =

١ - قلة الحسنات على انواعها = قلنا ان اسلوب التوازن ، اسلوباً قصيداً به التحرر من

قيود السجع الصناعي والقرب جهد المستطاع من الواقع الطبيعي لا عطاء النفس حرية التعبير على سبيلها
لكن دون إسفاف . ولهذا قلّت هذه الحسنات سواء منها اللغوية او الصنعية حتى نستطيع ان نقول ان
انها اندمجت بالمرّة . فانت اينما قلبت النظر وحينا نظرت في أدب ابي عثمان ، لن تجد منها
شيئاً . فلا خيال سواء من المعتقد او البسيط ، ولا مجاز ولا كفاية ولا تورية ولا ولا ... وكيف
يكون عنده ذلك وهو الذي يطالب الكاتب بأن لا ينفخ حتى لا يكتب الالب اللب . بل كيف يكون وهو الذي
ما ترك فرصة يمكن اغتنامها الا واستعملها لرفع عفيرته بالويل والتبور على التكلف والتصنع والبدء
عن الواقع البسيط .

٢ - مطابقة القول للقول = وهذه مرافقة ثانية بل وميزة دائماً يستنبطها القارئ

لأدب ابي عثمان . وهي انه في كل ما كتب كان رجلاً عالياً . يستبسط حيث اقتضى التبسط .
ويوجز حيث اقتضى الإيجاز . يطيل عبارته ويستعمل المنطق في مواقف الحجاج . في حين
يقصرها ويعتمد على العاطفة في المواقف العاطفية . خذ عبارته في الحيوان طولة هائلة سلسلة لبنة لا
تورة فيها ولا عنفوان . ثم خذها في التربيع والتدوير او في الجد والهزل قصيرة سريعة لا ذعة .
خذها في المطالع مثلاً سجعاً كأجل ما يكون السجع لانه هناك يحلو . ثم خذها في البحث
الحلي عن الذباب مثلاً إرسالاً في اجمل صورة . خذها عندما يصف الأعراب مثلاً بدوياً خشنة جانبية
ثم خذها عندما يكتب اميراً بمدحه مدنية رشيفة حلوة . حتى لم يستطع زكي مبارك الا ان يقول =
(لقد استطاع ابو عثمان ان يتخذ من النسر في كثير من الأحيان لغة للغزل) ..

٣ - الوحى والاشارة = هذه المرافقة الثالثة لاسلوب الجاحظ . او هي ناتج احدي

مقوماته يعني الإيجاز . لقد كان يوجز لكن ليس إيجاز العبي . بل إيجاز التقدير المتكمن من
اللغة الذي سخرها لما يريد فهو يعرف متى وكيف يستعملها . يعطي طرف الحبل وترك لخيال
قارئك او لعقل سامعه ان يكمل المقصود من عنده ويصل الى الهدف المطلوب بذاته . فيفرج ومُتدِّ
نفسه مساهماً في البلوغ . لذا يحب أدب الجاحظ . وهذه لعمرى ميزة قل من فطن اليها سوى الجوّ
عثمان .

والذي يهمنا هنا ان نقوله هو أن هذا لم يكن منه عفواً بل كان عن عمد وقصد وتصويب

نقد اطال في كثير من المواطن في مدح الایجاز وقد مدح في كثير غير غيرها ضرورة اخراج الكلام مخرج الوحي والاشارة .

الا اننا نحس ان نقول ان الجاحظ بهذا الخصوص كان على طرفي نقيض . فهو عندما كان يطنب ويتبسط كان لا يدع للقرأى شيئا يفكر فيه بل يعطيه كل شيء كما مر معنا . وهو عندما كان يوجز وقصد الى الايحاء كان يفعل عكس ذلك بالضبط . اما رائده في اين يطنب واين يوجز فقد كان دائما - "مقتضى الحال" وقد احسن لغوى تَمَرَّقَ تلك الحال حيث وجدت . وهذه هي المبغية في الكتابة .

٤ - بروز شخصيته - لعل أهم عنصر أدخله الجاحظ في الكتابة ما لم يُعرف قَبْلَهُ هو عنصر الشخصية . فانت اينما طمح بك نظرك في ادبه تلمس شخصية بارزة قوية تكاد تعلن عن نفسها بـ "بل" فيها .

وقد اتخذ هذا سبيلين - الاول سبيل مباشر كقولهم "نحن نرى هوانا اقول" او امثال ذلك . والثاني غير مباشر يستنتج من "را" كلماته ومن ثنابا سطورهم ومن نوع معانيه . ولست اراني بحاجة للتدليل على ما انول لان هذا مشهور عنه ومعروف لدى كل مُطَّلِع على ادبه . حتى ان ادبه أضغى صورة كاملة عنه . ولقد كتبنا ما كتبنا عن حياته . ونسبنا ما نسبنا من اموره وهزنا ما عرفنا من نجاته . لا مما كُتب عنه - لان ما كتب عنه قليل - انما من كتبه . ومن كتبه على وجه الخصوص .

ثالثا مواطن التوازن - بالرغم من ان اكثر ما كتب كان بالتوازن الا ان هناك مواطن كان يبرز فيها هذا الاسلوب اكثر من غيرها لضرورة الحاجة اليه . واليك اهمها =

١ - مخبر رسائله - قد يكون هذا غريبا . لانه ان لم يوجد في رسائله فابن يوجد؟ .

لكن لا غرابة اذا قلنا انه يكثر في رسائله على العموم ونقل بل ونذر في كتبه الرئيسية على الخصوص . وستبان بين رسائله وكتبه . والسبب المعقول الذي نراه لهذه الظاهرة هو ان اكثر الرسائل كتبت للتعبير عن فكرة صغيرة خاصة محدودة هي اكثر الاحيان تَشَتُّ الى قلبه بصلة . فهو في كل رسائله يكتب عن مسائل حيوية يشترك فيها اجتماعيا وشعبيا في قرارة نفسه شخصيا . في حين انه في كتبه الرئيسية كان يكتب عن موضوعات قلما كان له بها دخل ذاتي . خذته في الاولى مثلا يكتب الى احدهم يستعجز هذا او خذته مثلا يدافع عن العرب ضد الصهيونية .

او خذ مثلا يرد اتهامات النصارى او خذ مثلا يحذر لابن الزيات او ~~يحدح~~ يمدح ابن ابي داود وهما وليا نعمته . انتظر منه ان يكون بذات البرود الذى يكتب فيه عن الذبان او عن الخنافس او عن تعريف البلاغة . كلا لا اظنك تنتظر ولا كان هذا الواقع . ولهذا فلنا ان توازنه كثر في رسائله دون كُتبه لان في الاولى نصيباً كبيراً من الذاتية العاطفية .

٢ - في المقدمات او ما قد يسمى الطالع - سوا في رسائله او في كُتبه

الكبيرة . وذلك لانها غالباً ما تكون نغمات روحية او تعبيرات ذاتية يسوقها بين يدي الكاتب او الرسالة . هذا من جهة واما من اخرى فلان الكاتب غالباً يهتم بمصالحه يُعني عليها بشي من الصلغة . ولهذا نرى ان توازنه في هذه الماكن كثيراً ما انقلب الى سجع مند قوله في مطلع البيان مثلاً (اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل . ونعوذ بك من التكلف لما لا تحسن كما نعوذ بك من العجب بما تحسن . ونعوذ بك من رملة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر . وقد بما نعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما) .

٣ - في المواقف العاطفية أينما كانت - وهذا لا يحتاج لطول شرح فرسالة

الجسد ، والهزل رسالة التربع والتدوير ، ودفاعه عن معتقده الدينية ، وانباتاته لجسج النبوة وغيرها كثير شواهدنا طسفة على كل هذا .

٤ - في المواقف الوصفية - التي قد تخلو من العاطفية . وما اظن هذا

كان الا لهدو بال الرجل انذاك ، ولجوده الى حسن التصور . واحسن مثال نأخذ وصفه للشبح القاص في مسجد البصرة الذي مضايقه الذبان وما كانت النتيجة . وتأسفت لعدم ايراد الوصف لطوله فليراجعه من اراد التوسع في الحيوان .

هذه اهم مقومات الاسلوب واشهر مرائفاته . لكن ترى هذا الاسلوب ~~يوجد~~

بحسب ذاته ، من مبتكرات الجاحظ ام انه سبق اليه . وان كان الثاني فما فضله فيه . ثم بعد ان مات الرجل . اى اثر ترك اسلوبه . هذا ما ستحارب القا نور عليه في الصفحات التالية .

رابعا رواد التوازن - انه لمن الجميل ان نقرر في هذه الصجالة ان الجاحظ لم يكن متبع

التوازن وانما كان متبعاً فيه اثار كثيرين سبقوه . من اثال - احمد بن اسمعيل في ادب

الكاتب^١ وعبد الله بن طاهر في ادب الكاتب للصولي^٢ وسهل بن هرون في صبح الاعشى^٣

والحسن بن سهل في الامالي^١ . وابن الفزري زهر الحصري^٢ . وابراهيم المولي^٣
في صح الامشئ^٤ . ثم ابن المقفع في ادبه الكبير واخيرا عبد الحميد في
رسالة الكتاب .

نقول هؤلاء الجماعة في هذه المخطوطات التي يمكن
الرجوع اليها للاشارة فقط . سيقوا الجاحظ الى التوازن . وللتدليل
على ما نقوله وانباته بالحجة نورد الضل المتطلب التالي (قال سهل بن هـزو
لو ان رجلين خطبا او تحدثا او احتبا او وصفا وكان احدهما جيلابيا
وكباسا نبيلًا وذا حسب شريفًا وكان الاخر قليلًا قبيحًا وباز الهيئة ديمًا
وغامل الذكر مجهولًا . ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة
وفي درب واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعافهما بعض للقليل القديم
على النبيل الجسمي وللبارز الهيئة على ذي الهيئة) .

الا انه يحسن بنا ان نقول هؤلاء استعملوا التوازن
في كثير من كتاباتهم ه لكنهم لم يتخذوه اسلوبا لا يحيدون عنه ه او
اسلوبهم الغالب على كتاباتهم ه انما كانوا يطرقون في خطابات نبهة .

خامسا - فضل الجاحظ في التوازن = نحن هو اتخذه اياه اسلوبه
الخاص الذي لا يحيد عنه ه وخصوصا في رسائله . اذ كثيرا ما تجد
رسائل برمنها قد كتبت بالتوازن مؤلأمله على هذا قد سبق . اما كتبه
الكبيرة فقد خلت منه او بالاحرى قل فيها ه لانه كان جملا اكثر منه
منشعبا . وافرقت بين اسلوب الجمع العلمي وبين اسلوب الانشاء الادبي .

هذا هو فضل الجاحظ - اي انه عرّف ه واحبه ه وعلم
به واتخذ اسلوبه العام ه وهَيْكَلَه وَيَمَّسَه وَيَلْوَرَه وجعله اسلوبا قائما بذاته . له
مقومات وله مراتبه واصح بالامكان مقارنته بغيره من الاساليب .

سادسا - أُتْبِغَ التَّوْازُنُ = لقد رأينا انه كان هناك رواد للتوازن ولا نقول كتابا سبقوا الجاحظ اليه والقوا في طريقه عنه شيئا من النور . ثم جاءه الجاحظ فاستمسك به وصقله حتى جعل منه اسلوبا قائما بذاته . ومات الجاحظ مخلفا اسلوبه . او طريقته في الكتابة التي عرفت بالتوازن .

أخبر كبريون بهذا الاسلوب وحاولوا تقليده نذكر منهم = محمد بن يحيى الصولي ٣٣٥ في ادب الكاتب^١ ولى الجرجاني ٣٩٢ في الوساطة^٢ وابو هلال العسكري ٣٩٥ في الصلواتين^٣ ثم الثعالبي ٤٢٥ في البيته^٤ ثم ابن العميد في القرن الخامس في اكثر رسائله خصوصا البيته^٥ . هذا ولن ننسى ابا حيان التوحيدي في القرن السادس خصوصا في مقاصده^٦ .

وللتتمثيل فقط نورد القسم التالي من المقابلة الزابحة (= سمعت ابن مقداد يقول لا بد من وضع الناموس الالهي الذي يتوجه به افاضة الخير ، وترتيب السياسة ، وما يورت جكو سكن الببال ، وحسم مواد الشر ، ووطد دعائم المن ، وبحث على تشريف النفوس ، وترتيب الاخلاق ، وقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ، وواصل اسباب الحكمة ، وشوق الارواح الى طلب الحق وايتثار العقدة ... ٧) وكلها على هذا النسق جمل قصيرة ونفس طويل ، وسهولة في اللفظ واغتاب في المعنى ...

سابعا نقد التوازن - كثيره من الاساليب ، تَهَرَّضَ التوازن لكثير من عبارات المدح والتناء من راق في اعينهم وكذلك لكثير من عبارات الذم والبذاء من لم يروا فيه ما ارادوا .

قال ابن الاثير في مثله (ان العدل في الموازنة بين الفواصل هو اخص ميزان هذا الاسلوب ولى هذا فهو اخو السجع لكن ليس السجع بذاته^٨) وقال الصمودي في موجه (لقد نظم الجاحظ كبه احسن نظم وصفها احسن وصف وكساها من كلامه اجزل لفظ^٩ مشيراً الى جمال اسلوبه^٩)

(١) ص ٢٥ (٢) ٢٨/٢٦ و ١٣٩ / ١٤٠ و ٣٣٩ / ٣٤٠ (٣) ٢٨١ / ٢٨٩ و ٢٠٢ / ٢٨١

(٤) ٢٢٢ / ١ و ٢١٦ / ٢ و ١٤٦ / ٣ و ١٦٧ / ٤ (٥) ٢ / ٣ (٦) ١٠ و ١٧ و ١٠٥ و ١٤٢

(٧) ص ١٤٢ (٨) ١٦٩ (٩) ٣٤ / ٨

لكن ألقى للروائي في صبح الأعشى ان يقف موقف الإيجاب من التوازن . فهو عندما حاول تسميته لم يزد على ان قال (هو السجع العاطل^١) وكفى بهذا دليلا على حقيقة نظريته اليه . ومن الروائي كان الباقلائي . فهو عندما لم يستطع ان يجد فيه المناظر التي يمكنه بها صرحه ترك الروائي يتهمه في التسمية وراح هو يقول في الإعجاز . (واما كلامه في اننا ذلك نطور قليلة والناس يسيره . فاذا احج الى تطويل الكلام - خاليا من شيء - يستعين به فيخلطه بقوليه من قول غيره . كان كلاما كلام غيره . فان اردت ان تحقق هذا فانظر في كتبه في نظم القرآن وفي الرد على النصارى وفي خبر الوحد وغير ذلك ما يجرى هذا المجرى . هل تجد في ذلك كجملته كله ورقة تستحق على ان ينظم بديع او كلام طليح . على ان متأخري الكتاب قد تأخروا في طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه . ومنهم من ابر عليه حين يراه^٢) . الا انه من الجليل ان نفى ان الاستاذ المقدسي في "تطور الاساليب" حين نقل هذا عن الباقلائي ما كاد يضح النقطة الاخيرة حتى اردف معلقا = (وفي هذا الكلام مع ميل صاحبه الى تحقيق شأن الاسلوب الجاحظي - تعظيما لنظم القرآن - نرى ما اشتهر به هذا الاسلوب . ما جعل له مقاما خاصا بين الكتب . وهذا الباقلائي نفسه في مقام الآخر من كتابه يذكر من برع في صنعة الرمان ثم تقدم في شأنها حتى جمع فيها بين طرق المتقدمين وطريقة المتأخرين حتى خلص لنفسه طريقة وانشأ لنفسه منهاجا (فسلك تارة طريقة الجاحظ وتارة طريقة السجع وتارة طريقة الاصل) . فهو يعترف ان الجاحظ امام طريقة ليست هي طريقة المتقدمين ولا طريقة السجعين^٣ .

هذه لمحة في موقف انصاره، ولمعة في موقف اعدائه ، ونبذة من رأى اديب متأخر في اسلوب الجاحظ . اما نحن فنرى ان التوازن بعد ذاته اسلوب رومسيقي جميل لا يحتاج للجهد الذى يبذله كاتب السجع ولا ياتي بالسهولة التي يكتب بها كاتب الترسل . انما هو وسط بين المنزلتين . وعلى هذا فهو خفيف على الكاتب جميل لدى القارئ . اما توازن الجاحظ خاصة فقد كان الى الارسال الطبيعي اقرب منه الى التسجيع الصناعي . وهذا ما يقرب خطوة الى القلوب .

وفضل الجاحظ فيه واضح من حيث انه الكاتب الذي سهر عليه حتى جمع اطرائه وصهرها وقولها واخرجها للناس اسلوباً قائماً بذاته

ثانياً - الجاحظ والاساليب الاخرى

قد يخيل للقارئ ان الجاحظ استأنس بالتوازن فجعله ديدنه وتشييع له وانغضى عينيه عن كل ما عداه . لكن الحقيقة غير هذا . فالجاحظ كان اوسع من ان يضيق صدره ^{في} بالاساليب الأخرى . وقلمه كان اسلس من ان يتقيد بواحد . ولهذا كان له فيها شطحات ومن طرفها سرحات وله منها مواقف نحسب ان لا نمر عليها بسكوت .

اولا الجاحظ والسجع - عرف الجاهليون السجع . واشتهر به ^{بكل} كهانهم . حتى ان اكثر ما وصلنا من نثرهم كان بهذا الاسلوب . لكنه بمجيء القرآن ودعوته للحرية من جميع نواحيها ، مال الناس للتعبير عن اراهم بطلاقة واخذوا يكسرون القيود الصناعية واحداً بعد الاخر . حتى انهارت دولة السجع . لكن هذا الانهيار جاء بالتدرج وعلى مر الازمان . وبما يلي نذكر نبذة من تلك الثورة على السجع محاولين ان نلقي نورا على تدرجها حتى انتهت بالتوازن الذي هو كما قلنا درجة واحدة اعلا من السجع في سلم حرية التعبير اللفظي

قال الرسول لمن اجابه سجعاً ^{في} أسجما كسجع الكهان (١) . وهذا إن عني شيئاً فليس الا موقفاً سلبياً من السجع . ثم جمع الحديث فكان السجع فيه النادر . ثم جمعت خطب الصحابة واقوالهم فكان السجع فيها بquam الطبع من الطعام . ثم دُونَ الكثير من بعد ذلك فكان نصيب السجع تافهاً . وما يشير الى ان هذا الاتجاه كان مقصوداً - ما نقل الجاحظ عن معاوية في رسالة "مدح التجارة" حيث قال (حتى ان معاوية مع تخلفه عن مراتب اهل السابقة ، املى كتاباً الى رجل فقال فيه = لهو اهلون علي من ذرة او من كلب من كلاب الحرة . ثم قال = اُمحُ "من كلاب الحرة" واكتب من الكلاب . كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما اشبه السجع (٢) .

أما مسبب هذه الثورة من السجع فنرجع في اساسها الى سببين كما استطعنا

ان نميز - اولاهما فني . وذلك لكَرُّ الكتابِ التكلّف . وما يدل عليه قول الجاحظ (ونحن لن نسجع في كتابنا هذا ^١) . وثانيهما - ديني . وذلك لان السجع كان لغة الكهانة . وما ان المسلمين حاولوا ان يحاربوا كل ما يمت للماضي "الأسود" بعلّة ٥ لذا هاجموا حتى السجع . وشير الى هذا قول الجاحظ ايضا ٥ وما كَرَّة العرب بالسجع اتخاذ الكهان اياه لغة ^٢) . بقيت الحال على هذا النوال اى بُعْدًا عن السجع حتى جاء الفرغان الثاني والثالث والنصف الاول من الرابع التي دالت في اثناهما دولة السجع وان لم يستغن القوم عنه بالمرّة . قال الخفاجي في سر الفصاحة ما ملخصه - ان السجع في القرنين الثاني والثالث قل استعماله وان يكن ندر من استغنى عنه بالمرّة ^٣ .

هذا هو الموقف العام من السجع . لكن ترى ماذا كان موقف الجاحظ . - قال أبو عثمان [ان السجع جميل وقد احبّه العرب لمهولة لفظه . الا انه لسوء الحظ كان الاسلوب الذى انتهجه الكهان . والكهان كما لا يخفى اصبحوا مكروهين . وتبعاً لذلك كره الناس قولهم ^٤ . الا انني والحق يقال ارى ان السجع لا بأس به اذا لم يخرج عن الحد المعقول بحيث يصير الى الصنعة والتكلف . اذا كل تصنع وكل تكلف عندى ^{مفقوت} مفضول مهما كان نوعه ^٥] .

لهذا نجد الجاحظ في كل ما خلّفه من تراث لم يقف موقفاً سلبياً صرنا من السجع ولا موقفاً ايجابياً كذلك . انما كان بين بين . ففي الكتاب الذى تراه فيه يهاجم السجع ويغرمه - تراه اولاً ينقل مسجوعات كثيرة ويخصص للسجع ابواباً كاملة ^٦ . ثم تراه هو نفسه يقول اقوالاً ^{كسيرة} واليك بعضاً من سجعه اولاً لاثبات صحة ما نقول - وثانياً لابراد قطعة نتعرف بها على اسلوبه المسجوع كما تعرّفنا على اسلوبه الموزون . قال يصف القرآن (حجة على الملحد وتبيان للموحّد . قائم بالحلال المنزل والحرام المنفصل . وفاصل بين الحق والباطل وحاكم اليه يرجع ^{الجميع} العالم والجاهل وامام تقام به الفروض والنوازل . وسراج لا يخبو ^{بظلمة} ضياؤه ومصابح لا يخزن ذكاؤه . وشهاب لا يطفأ نوره وحجر لا يدرك غوره ومعدن لا تنقطع كوره . ومعلل يمنع من

(١) ج ٢/٣ (٢) ب ١٥٠/١ (٣) ٩٤ - ٩٢ (٤) ب ١٥٠/١

(٥) ب ٢١/٢ (٦) ب ١٩٢/١ - ١٩٨

المهلكة والبيوار ومرشد يدل على طريق الجنة والنار . وزاجر يصد عن المحارم ويجير
بهم التحاكم^١ .

ومن هذه القطعة نرى ان الجاحظ كان بإمكانه ان يكتب سجعاً وسجعاً من
النوع الرنيح . لكنه لم يكتب كثيراً وانما كان ذلك منه بشكل فلتات لا ضابط لها وردت
متناثرة هنا وهناك هذه أطول واحدة منها . اما البواتي فتفتات قصيرة في جملتين او
ثلاث على الأقل . مثل قوله في الحيوان (والحمام - ابرد ما يكون الانسان واقصره ، واقطع
ما يكون واقصره^٢) ثم يقول تاركا السجع (هذا وفي الانسان ضروب من القوى احدها
فضل الشهوة السخ)

ثانياً الجاحظ والترسل - لم يهاجم الجاحظ الترسل كما هاجم السجع . ولا مدحه
كما مدحه . انما سكنت عن كل لا او نعم بخصوصه . ولئن يظفر اى منقب عن مثل
ذلك في كل ما بني لنا من ادبه .

لكنه يستنتج من مجمل اسلوبه الانشائي الذي يبين ايدينا ان الرجل كان يعيل
اليه بل كان يعده اقرب اسلوب لروحته الحرة المطلقة القيود بعد التوازن . لهذا نراه
في كثير من المواقف يستعمله ويستعمله بكثرة حتى لقد ياقى على ثلاثة ارباع رسالة به .

واظهر ما يكون هذا الاستعمال للسجع في المواقف التي تحتاج لهدوء
بال وحجاج ومنافسه . او وصف علي . اى في المواطن التي يصعب فيها استعمال
السجع والتوازن . واليك بعد هذا مثالا على ترسله . قال في الرد على النصارى (فان
سألونا عن انفسهم فقالوا - ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن احد بقة . اجبناهم
بعد اسقاط نكيرهم وتشجيعهم وتزوير شهودهم . جوابنا انهم انما قبلوا دينهم عن
اربعة انفس = اثنان منهم من الحواريين ~~بهم~~ يوحنا ومثي . واثنان من المستجيبة
وهما مارقوش ولوقش . وهؤلاء الاربعة لا يؤمن عليهم الفلظ ولا النسيان ولا تعدد
الكذب ولا التواطؤ على الامور والاصطلاح على اقتسام الرئاسة وتسليم كل واحد
منهم لصاحبه حصته التي شرطها له . فان قالوا فانهم كانوا افضل من ان يتعدوا
كذباً ولحفظ من ان ينسوا شيئاً واعلم من ان يغلطوا في دين الله تعالى او يضيعوا

الجاهليون واستعملوها في شعرهم . لكن لا على انها " رمزية " ولا على انها مذهب في الاسلوب . وانما على انها نوع من الكلام الموجز المخطوم . وكم كان الجاهليون مفرمين بالقول المخطوم والكلام الموجز .

نقول هكذا عرفها الجاهليون . ثم جاء الاسلاميون وتلاههم المباسيون فنصحت دائرة الادب ^{باعتباره} ~~العلماء~~ القوم بالاجانب ^{ومعاصرين} ~~انتمست~~ انكارهم ~~بجملتك~~ واخذوا ينظرون لكل ما بيث ايديهم نظرة اوسع في انافها واعنى في ابحاثها ما تعودوا . " فالكلام المخطوم " و " القول الموجز " و " خير الكلام ما قل ودل " - كل هذه ^{كلمات} تعابير ^{لغة} بيهمة لا يد وان تعني شيئا اعنى من هذا الظاهر . وكان اول من صرف هذا الشيء الصيق هو الجاحظ . اذ نوه به نظريا في البيان والتبيين واستعمله عليا في كثير من المواطن نذكر من بينها رسالته في " المزمل والجد " .

فالرمز هو المصدر العادي من رمز يرمز . الا ان عصر الصناعة كما يظهر - ~~يجعل~~ ^{يجعل} ابن ان يعترف به ما لم " يتصنع " . ولهذا اضيف اليه " يا " و " تا " ودخل في حوزة العصر الحديث نصار " رمزية " . هذا هو الرمز . اما الجاحظ فهو ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ زعيم ادباء العصر المباسي ورئيس الفكرة الجاحظية من المعتزلة وصاحب ^{اللقب} ~~اللقب~~ التنانيف الكثيرة المشهورة . واما العلاقة بينهما فعلاقة كاتب بأسلوب عروته وتكلم عنه وكتب فيه وله فيه آراء . تعد بحق من اجل الآراء .

والان ما هي رمزية الجاحظ خاصة . وبماذا تختلف عن اوتألف مع ما يدعوا اليه بعض المحدثين ؟ - رمزية الجاحظ رمزية مؤدوجة هدها إحكام العلاقة بين اللفظ والمعنى . يقول الجاحظ ما معناه ان السكنية تبقى سكنيا وتبقى لها فضيلة السكن ما دامت تقطع . اما اذا وقفت عن ذلك فقد زالت عنها " السكنية " ويجب ان نعاملها على اساس آخر . وشمل السكن اللفظ . فقيمة اللفظ بانه واسطة او اداة للتعبير عن المعنى الذي يجول في صدر الكاتب . فان عبر فهو لفظ والا فقد زالت عنه " اللفظية " ويجب ان نعامله على اساس آخر .

وعند شرح هذه الفكرة العامة او الموقف الخاص من اللفظ يقول = على

اللفظ ان يكون على قد المعنى لا اكثر ولا اقل لانه اذا زاد كان من قبيل التخليط المكروه والتكرار المقوت . وان نقص كان من قبيل العمى الذى قد يؤدى الى الالتباس في افعال المعنى . الا انه ~~يجب~~ يستحسن من الكاتب القدير ان يقلل من الفاظه جهد استطاعته ويكثر من معانيه بشل تلك الاستطاعة . بمعنى عليه ان يحمل اللفظ معاني اكثر مما يحمله ايهاا // ~~اللفظ~~ الكتاب بشرط مراعاة الوضوح . وفي هذا (اى في تقليل اللفظ وتكثير المعنى مع مراعاة الوضوح) يتمايز كاتب عن كاتب وتعرف قدرته على امتلاك ناصية اللغة . وليس التثقل على صحة هذا بمموز . فانت اذا اضطيت فكرة بسيطة لطالب ابتدائي ولاخر جامعي وطلبت منهما ان يصوغاها في اقل عدد ممكن من الكلمات جاءت كلمات الابتدائي ثلاثة اضعاف كلمات الجامعي . وهذا ان دل على شيء فاننا على ان الابتدائي لم يعرف لجهة اى الكلمات اقل، فراح يخبط ويخلط ظانا انه من "المفلسين" في الموضوع .

ومن هذا نرى ان رمزية الجاحظ تقوم على ثلاثة اسس = الاول اختيار اللفظ واسطة لاجراء المعنى ~~ووضعه~~ في ذلك . الثاني التركيز على قاعدة "ما قلّ ودلّ" اى استعمال اقل عدد ممكن من الكلمات لاططاء اكبر عدد ممكن من المعاني . الثالث الاهتمام بالوضوح وجعله مقايسا لكفاءة الكاتب ومقدرته على الكتابة . او بكلمات اخرى = رمزية الجاحظ تلخص في اعطاء القارئ طرف الجبل وتركه يصل الناية المنشودة بنفسه بشرط ان يكفل الكاتب له ذلك ~~يضمن~~ التوجيه عند اعطاء طرف الجبل . اذ عندئذ يشعر القارئ انه ساهم في الوصول لنهاية ~~و~~ ويحب الكاتب لانه ساعده على ذلك . وهكذا يستفيد القارئ وتبقى العلاقة حسنة بينه وبين الكاتب . وهذه لعمري غاية الكتابة .

والان ما الفرق بين الرمز القديم والرمزية الحديثة ؟ بغض النظر عن التذكير والتأنيث وبغض النظر ايضا عما يعنيه هذا التحوير - نقول ان القديم يعتبر اللفظ واسطة لغاية ~~ه~~ في حين يهتم به المحدثون اهتماما يورعه الى هام الغاية ~~ه~~ حتى ان بعضهم وصف الرمزية الحديثة بانها " اسلوب الالوان الصناعية " . هذا اول فرق . اما الثاني فهو انه في حين يهتم القديم بالاجاز وينسوه بكلمة بقيته كثيرا ، لا يميزه المحدثون مثل هذا بل يقولون " قل وقل حتى تشفي ظيلك " . وهذا لعمري ان دل على شيء فاننا على ما تشير اليه قصة الطالبين الجامعي والابتدائي التي مر ذكرها . اما الفرق الثالث فهو الوضوح . ففي حين يهتم القديم بالوضوح ويجعله

الفضيلة التي تكسب اللطفة صفة اللطيفة ، ينكره المحدثون ويقولون لا = فالمسألة ليست مسألة حسابية ($5 \times 6 = 30$) انما هي مسألة شعور . والشعور غالبا غير واضح . ونحن لا نريد ان " نصنع " = ولو درى القوم ان ما يمدون اليه " غزيرة " لا " رمزية " ، لكتفوا عما هم بصده ، ولعادوا الى ابي عنان يستفتونه ~~بحقيقة~~ في حقيقة الامر .

وأخيراً اليك مثلين = الاول من الجاحظ القديم يرمز الى شجار نسب بينه وبين ابن الزيات واتخذ سبيل الرمز اليه المصحف واتصاف ورقه . والثاني من سعيد ^{بن جابر} المحدث يرمز الى شيء لسوء الحظ لما امره . فلعله تكون باقاري اسعد مني حظا لتكشفه .

قال الجاحظ = (اني لاجب من ترك دوائر عمله متفرقة بينونة . وكراريس درسه غير مجموعة ولا منظومة . كيف يعرضها للتخريم . وكيف لا يعنهما من التفرق . وعلى الدنتر - اذا انططمت حزامته وانحل شداذه وتخرمت رسله ولم يكن دونه وقاية ولا جنة - تفرق ورقه ، واذا تفرق ورقه عسر جمعه واشتد نظمه وامتنع تأليفه وربما ضاع اكثره . والدفتان اجمع وضم الجلود لها اصون والحزم لها اصلح ...) اقرا هذا القليل او ارجع الى مطلوه في رسالة المزل والجد التي نشرها بول كراوس ، ثم قل لي اي رمز اجمل من هذا . منضوب عليه يكلم غاضبا ويستعطفه فيقول ... اذا تفرق ورقه عسر ~~نظمه~~ وامتنع تأليفه و ... ربما ضاع اكثره .

وقال ^{بن جابر} ~~صحيح~~ = في دهميرة الى نزاره :

هجرة تفتنني الزيار	لو كنت ناصعة الجية
المرسة بها العبار	مارودة اللفظ الجية
سكنة معجزة الزيار	نظر على وجه النية
أخفى على العزم النكر	عقد راقدا لنية
صوت شج طلف النكر	راذ البوصة المحصنة
معنى راحة البكر	خسبة في العجايرة
دلفنة مهدني بكاء	درايفوت الناطية
ذهب بعبه الطهار	عظوات وسطى رزية

مقتطف من ديوانه ص ٤٧

ثالثاً - فلسفة الجاحظ في الأسلوب

" الفلسفة هي البحث، في اصول الانبياء التي بدونها لا تكون " . وقد بحث الجاحظ في اصول الأسلوب التي بدونها لا يكون . وعلى هذا نبحث لنا ان نعنون الفقرة بهذا العنوان ما دنا نحاول ان نوضح موقفه وارهء بهذا الخصوص . ملخص ما قال = ان الأسلوب نتاج عاملين مهمين اولهما الكاتب او الرجل . وثانيهما الكتاب او الموضوع . او بكلمات اخرى يقوم الأسلوب على دعمتين الاولى ذاتية Subjective . والثانية موضوعية Objective وبالاجتماع هاتين الدعمتين وعملهما متأزمتين يكون الأسلوب اسلوبا ويكتسب صفات خاصة تميزه عن غيره . ولتوضيح هذا نورد ما يلي =

اولا - الأسلوب هو الرجل = يرى الجاحظ ان الكاتب ~~ويجلب~~ وعاء وان كل ما يخرج منه لا بد وان يكون تصويرا جزئيا له . وعلى هذا يمكنك ان تاخذ الرجل لتعرف الصورة . كما يمكنك ان تاخذ الصورة لتعرف الرجل لانهما كما يعتقد متماثلان الى حد كبير . الا ان ثائلهما يتم وشبههما يقرب عندما يكون الكاتب مؤثقا وناجحا في كتابه اذ عند ذلك يصوغ شخصيته في اسلوبه .

وقد دلت الجاحظ على هذا الاتجاه اولاً لرأى في الموضوع عن طريقين =
اولا عن طريق نظرية بلراء بعض الاقوال التي يستنتج منها هذا وثانيا عن طريق عليه بكتابة حسب الراى . فمن النظرية قوله في البيان (ما قرأت كتابه رجل قط الا صرفت عقليته) . وقوله = (الأدب هو عقل غيرك تضيقه الى عقلك) . ونقله (ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها = الكتاب على عقل صاحبه ، والرسول ~~على~~ على عقل مرسله والهدية على مقدار مسديها)^(٢) . وقوله ايضا في البيان (كلام الناس في طبقات كما ان الناس انفسهم في طبقات)^(٣) . وقوله في مكان آخر = (الكلام حسب التكلم) فان كان بدويا وجب ان يكون خشنا جزلا وان كان حضريا وجب ان يكون لطيفا سهلا وان عكس ذلك هو المستغرب

ثانيا - الجاحظ واللغة

× — — — — ×

لقد درس الجاحظ على الاصمعي وعلى ابي عبيده واستمع طويلا الى الاخفش . نهل غريب عليه ان يحب اللغة ويولع بدرونها . ام ان يقول لي النحو ويكون له فيه آراء . ام ان يتعمق فيما اخذ يفتح بابا جديدا في الموضوع هو " فقه اللغة " . كلا ليس بغريب . انما الغريب ان لا يكون كذلك .

(١) . من مظاهر اهتمام الجاحظ في اللغة اولا محاولته تفسير كل ما اشتم منه الصعوبة في اللفظ . ثانيا استطراده فيها دون ما سبب لي كثير من الاماكن كان به هوسا الى موضوعاتها . ثالثا جملة اياها مقياسا حتى في المواقف الفقهية تتأمل .

اما عن محاولة التفسير فالشواهد في البيان والتبيين اكر من ان تذكر . لكننا نورد واحدا وننوه بآخر . اما الذي نورده فهو تفسيره غريب ايات بقوله (الهجمة = القطعة من النوق فيها نحل . والكلكل = الصدر . والنصال = جمع نصيل والنصيل ولد الناقة اذا نصل عنها . والهوادل = العظام المشافر . والعقل = ههنا الدية . والمائلة = اهل القاتل الادنون والابعدون . والصفة = جمع صفة وهي الصخرة^(١) . واما الذي نحسب ان نشير اليه فهو تفسيره قصيدة لبشر بن المعتز استغرقت ثلث الجيز السادس من الحيوان واظن ان في هذا الكتابة من هذه الناحية .

اما عن استطراده اللغوية ، وخصوصا في الحيوان ، فحدث عن البحر ولا حرج . فتارة كان يستطرد لسبب لا بأس به . وتارة لسبب ضعيف . واخرى بدون اى سبب . فلا يفيق القارئ الا وهو وسط بحث لغوى من اعق البحوث . وللتفصيل فقط نورد ما يلي . قال = (نظرت امرأة الى علي والزبير وطلحة رضي الله تعالى عنهم ، وقد اختلفت لغنائق دوابهم حين التقوا . فقالت من هذا الذى كانه ارقم يظلمظ .. قيل لها الزبير . قالت فمن هذا الذى كسر ثم جبر .. قيل لها علي . قالت فمن هذا الذى كان وجهه دينار هرقلي .. قيل لها طلحة . وقال ابو زيد نهشت انهش نهشا . والنهش هو تناولك الشيء فيفك تمضمه فتوتر فيه ولا تجرحه . وكذلك نهش الحية . واما نهش السبع فتناوله من الدابة بفيه ثم تقطيع ما اخذ منه فهو . ويقال نهشت اللحم انهشه نهشا وهو انتزاع اللحم بالثنايا للاكل . ويقال نشطت العقدة تنشطا اذا عقدته بانشوطة ... الخ^(٢)) فتصور اية علاقة بين قول المرأة وبحث ابي زيد .

اما استعماله اللغة لحل المسائل الفقهية فاليك مثالا عليه . في رسالة " الرد على النصارى " حيث حاول ان يفسر مسألة خَلَّة ابراهيم لله قال (والخليل والمختل سواهما في كلام العرب . والدليل على ان يكون الخليل من الخَلَّة قول زهير بن ابي سلى وهو يمدح هرما =

وان اناه خليل يوم مسألة يقول لا عاجز مالي ولا حرم وقال الاخر =

واني الى ان تسعفاني بحاجة الى آل ليلي مرة لخليل وهو لا يمدحه بان خليله وصديقه يكونوا فقيرا سائلا ياتي يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية . وانما الخليل في هذا الموضع من الخَلَّة والاختلال ، لا من الخَلَّة والخلال . وكان ابراهيم عليه السلام حين صار في الله مختلاً ، اضانه الله الى نفسه وابانه بذلك عن سائر الانبياء . فسماه خليل الله . نتأمل .

(٢) سعة اطلاعه : كل ما مضى يرثنا اهتمام الرجل باللغة . وكانت النتيجة اولا ان اتسعت آفانه فيها . ثانيا ان تنوعت معلوماته عنها . واخيرا ان كانت آرا استعمالاتها . واليك نبذة عن كل من هاته .

اما الاتساع فيدل عليه اولا كثرة غريبه ، ثم كثرة اجنبيه ، ثم كثرة عاميه ، ثم قدرته على التفاسير العديدة واخيرا خوضه في مواضيع صعبة من هذا القبيل ولولا اننا المعنا الى كل هاته ومثلنا عليها لتوسعنا فيها بعض الشيء .

اما التنوع فيدل عليه اولا تأثر مفرداته بفردات الفلاسفة والمفكرين . مما نكاد نصادفه في كل مواقفه التي تعرض فيها لفنل هذه المواضيع . وهذا لم يكن منه غفوا بل تعمده مجانسة للبيئة . واليك قوله في هذا الصدد (ولكل صناعة كثر الفاظ قد حصلت لاهلها بعد اشتحان سواها . فقيح استعمال الكلام في المواقف العادية . كما انه قبيح استعمال كلام الاعراب في المواقف الكلامية . اذ لكل مقام مقال)^(١) والمفردات التي استعملها من هذا النوع كثيرة نذكر منها = الجوهر والعرض والحقيقة والتخييل والليسية والايسية^(٢) والاخلاط^(٣) والجزء الذي لا يتجزأ^(٤) والكعبة^(٥) وغيرها .

اما الثاني الذي يدل على تنوع مفرداته فهو معرفته الدقيقة بروح اللغة . حتى

استخرج منها كلمات علمية كثيرة ، وحتى تمكن من ان يتكلم عن الحيوان وطبائعه وكل ما يتعلق به - بأسلوب سلس ولغة سهلة تظن ان القوم كتبوا فيها قبله كثيرا . واشهر هذه المفردات في باب التسمية ما لا ضرورة لتعدادها . انما نحبان نشير الى انه في كثير من الاحيان كان يحاول خلق كلمات جديدة اذا لم يجد ما يسد الحاجة . فقد قال السندوبي انه اول من استعمل كلمة " ليل" لما في داخل الحار . وانه " اى السندوبي " قد فتش عنها في معاجم اللغة فلم يقع لها على اثر . مما يدل على ان الجاحظ خلقها من عندياته^٢ .

هذا من حيث سعة اطلاعه ومن حيث تنوع معلوماته في اللغة . اما من حيث آراؤه فله فيها صفحة جميلة نحسب ان ننسخ منها ولو اسطرا - فالجاحظ ، كما عرف من سعة اطلاعه ورحابة صدره - لا يرى بأسا من استعمال الدخيل اما للتلح والتلفظ او لضرورة الحاجة اليه . ولهذا وردت كلمات فارسية كثيرة في مفرداته . لكنه اذا وجد ما يقوم مقامها من العربية فانه كان يحجم عنها ويبتعد عنها . هذه واحدة ، اما الثانية فهي ان اللغة واسطة لظهار المعنى ونفيلتها في انها كذلك . فاذا خرجت عن هذه النفيلة فعليها ان تعاطلها على اساس آخر . ومن كل هذا يستنتج ان اللفظ قيمته في اداة المعنى لا في اى شيء آخر . ولهذا اتسعت آفاق قاموسه . واما الثالثة فهي ان النحو والاعراب وما اليهما لم يوجد الا لمساعدة اللفظ على الوصول الى هذه الناية . فقيمتها في انهما كذلك ، لا في حد ذاتهما . ولهذا يتساهل مع الكاتب اذا لم يعرب نواذر العلامات ويتساح مع الكواعد اذا لم يلاحظن الاعراب . كما يتساهل مع الآخرين الذين لم يبلغوا من القوة في الاعراب بحيث يستطيعون ان يعربوا كل ما يقولون ، لدرجة انه يفتقر لهم تسكين واخر الكلمات ما دام الغرض الانهم^٣ . وعلى هذا فقد سبق الجاحظ الكثيرين من المحدثين الذين يدعون لحركة التسكين . الا انه يقول ان كل هذه ترخيصات للضرورة والا فالنحو قوة للضعيف^٤ وهجنة للشريف^٥ .

تبقى نقطة اخيرة بخصوص لغته ، نحسب ان نودعها هنا . وهي = ترى هل كان يعرف الفارسية . قال احمد امين والغالب انه كان يعرفها ؟ وقال كرد علي ترجع انه كان قد الت بها^٨ . والواقع الذي بين ايدينا يؤيد كليهما . لكنه يقال من الناحية الاخرى

الفصل السادس - في علم الجاحظ -

-x-x-x-

بالرغم من ان الجاحظ لم يعرف الا كاديب ، فان له في كتاب الحيوان الذى خلقه في سبعة اجزاء ، وفي غيره من الرسائل المختلفة ، نظرات ، واثارات على غاية من الاهمية . خصوصا اذا ذكرنا اهميتها اليوم وادعاء القوم انهم مكتشفوها . وهذه القواعد قد توزعت على عدة علوم = اهمها علم الحياة ، علم النفس ، علم الاجتماع ، علم الاخلاق واخيرا علم التاريخ . نالى نظرة في تلك الخطرات العلمية التي مرت او بالاحرى القواعد العلمية التي اوردها في كل من هاته نتوجه .

x x x x
x x x
x x

اولا - علم الحياة - BIOLOGY

x ——— x

وهذا بالطبع اهمها كلها لان كتابا كاملا في سبعة اجزاء الف فيه خاصة . اما اهم القواعد التي كان يلح اليها ويورد الامثلة عليها فهي =

(١) - النشوء والارتقاء - EVOLUTION

صعدا في سلم النشوء والارتقاء . قال في الحيوان = بعد ان تكلم كثيرا عن الكلب (...) وقد عرفت شبه باطن الكلب ببطن الانسان وشبه ظاهر الفرد بظاهر الانسان . ترى ذلك في طرفة وتغييض عينيه وفي ضحكه وفي حكايته وفي كيه واصابعه وفي رنعهما ووضعهما وكيف يتناول بها وكيف يجهز اللقمة الى فيه وكيف يكسر الجوز ويستخرج لبه وكيف ... وكيف ا . ومن هذا نرى ان الرجل يقابل الانسان بالفرد لا من حيث التركيب الداخلي فقط بل ومن حيث الخارجي ايضا ، ومن حيث الطبع والعادات كذلك .

وهو لم يكتف بايراد المنكرة بل راج ينسج ومتعلقاتها سلبا وإيجابا ويورد اقوال غيه بخصوصها فتكلم عن مسألة السلخ والتطور الإيجابي ومسألة المسخ او التطور السلبي . اما عن "السلخ" او تكشف الحيوانات وتربيتها وتطورها من حالة الى اخرى فقد قال = (زعم جماعة عن يحيى بن برمك ان البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وان البعوضة التي من سلخ دمعوص، ربما تصلحت برغونا . والنمل تحدث لها اجنحت ويتغير خلقها وذلك هو سلخها) . اما عن "المسخ" فقد قال موردا وجهتي نظر بخصوصها (اما القول في المسخ فان الناس اختلفوا في ذلك . فاما الدهرية فهم في ذلك صنفان = فبعض من جحد المسخ واقر بالخسف والريح والطوفان ... ومنهم من قال لا ننكر ان يفسد الهواء من ناخية من النواحي فيفسد ماؤه وتفسد تربته فيعمل ذلك في طباعهم على الايام كما عمل ذلك في طباع الزنج ٢٠٠٠)

من هذا نرى ان الرجل نوه وأشار الى هذه القاعدة العلمية الجلية اولا . ثم اورد بعض الشرح عنها واقوال الآخرين فيها . لكنه لم يذكر رايه الخاص . وهذا ديدنه في اكر كتبه كما سبق وقلنا .

(٢) - - مجانسة البيئة Adaptation to Environnement = هذه هي القاعدة

الثانية وتعني بها ان يسمى المخلوق (بالطبع تائير ما) لموائفة ومجانسة ومناسبة البيئة التي يعيش فيها . فان كانت طالحة كان صالحا ، وان كانت طالحة كان طالعا كذلك . ان كانت سودا كان اسود كطيور اكر المناطق الحارة وان كانت بيضا كان ابيض كالدب القطبي وان كانت خضرا كان كذلك مثل اكر حشرات الخضروات . - لقد عرف الجاحظ هذه الظاهرة وتكلم عنها واسهب فيها واستعملها حتى في المسائل الدينية . فاليك الشرح .

قال في المجموعة متكلما عن اثر الحرية في اهلها . (وكل من نزل الحرية من غير بني سليم سود . وانهم ليتخذون المالك للرعي والسقاء والمهنة

والخدمة من الاشباةيين . ومن الروم نساؤهم لما يتوالدون ثلاثة ابطن حتى تنقلهم
 الحرة الى الوان بنى سليم . ولقد بلغ من امر تلك الحرة ان ظباها ونعامها وهوامها وذئابها
 وشعالبها وشاةها وحميرها وغلها وطيورها كلها سود (واردت معلقا) والسواد
 والبياض انما هما من قبيل خلقسة البلدة وما طبع الله عليه الماء والقرية . ومن
 قبل قرب الشمس ومعدتها وشدة حرها ولينها وليس ذلك من العفوية ولا تشويه ولا تفصيل
 ثم قال في الحيوان (ومن يسكن البحرين ٢) . وفي اخر قال معللا هذه الظواهر
 (... وان اسود الحمار فان ذلك احتراق ومجازة لحد النضج ومثل به من الناس الزنج فان ارحامهم
 تجاوزت حد الانضاج الى الاحراق وكشطت الشمس شعرهم تنقبضت والشعر اذا ادنيهته من النار
 تجعد) ٣ .

الا ان اثر البيئة في رايه لا يكون جسمانيا فحسب بل وحلقيا ايضا . قال
 في الحيوان (وقد راينا العرب وكانوا اعرابا حين نزلوا خراسان - كيف انسلخوا من جميع تلك المعاني -
 وتروى طباع بلاد الترك كيف تطيح الابل والدواب وجميع ماشيتهم من سبع وسلية على طبائهم) ٤ .
 من هذا نرى ان البيئة تؤثر على موجوداتها فتضعها بطابعها من
 الناحيتين الجسمانية والعقلية . وقد مثل لنا الجاحظ على كل منها اجمل تمثيل
 كما راينا ولها اجمل تحليل كما قرانا . الا انه زاد نزل يستغلها في اعراضه
 الادبية والدينية . اما في الادبية فهي معرفة هذا اثر على عقلية القيم ، ولذا
 اختلفت تعاريف البلاغة عنده حسب افاليهم والبيئات التي تربوا فيها . فالبلاغة
 عند العربي الايجاز لانهم صلو على كل هم السرعة والاقتصاد وعند اليونان المنطق لانه
 على هذا نشأ . اما في الدينية فهو يرى ان اسمعيل تكلم العربية وان لم يكن عريبا
 مناسبة لبيئة العربية التي وجد فيها) ٥ .

٣ - التعاون Symbiosis = وهذه ظاهرة اخرى

عرفنا الجاحظ . اي ظاهرة تعاون بعض المخلوقات على المعيش . وليس هذا
 بغريب عليه وهو الذي كان حينئذ تعرض للموضوع يحاول اثبات وددة الكون باجمعه وتعاون
 افراده كلهم على اثبات وجود قوة واحدة مدبرة ٦ .

(١) بنج ٧٨ (٢) ح ٤٢/٤ (٣) ح ٧٥/٢ (٤) ٢٤/٣ (٥) ب ١٧٠/١

(٦) ح ٢٨/٣

قال في الحيوان عندما كان يحاول اثبات هذه النظرية "أى تماول كل المخلوقات على وجود قدرة مدبرة" (... وأى شئ أعجب من ظاهرين يراهما الناس من ادنى حدود البحر من شق البصرة الى غاية البحر من شق السند . احدهما كبير الجنة يرتفع في الهواء مصعدا والاخر صغير الجنة يتقلب عليه ومعبت به . فلا يزال مرة يرزف حوله ويتوقى على راسه ومرة يطير عند ذناباه ويدخل تحت جناحه ويخرج من بين رجليه " فلا يزال يغمه وكره حتى يتقيه بذرق + فاذا ذرق تحاماه فلا يخطئ" اقصى حلقه حتى كأنه رن به في بئر وحتى كان ذرقه محتاجا مدحاة بيد اسوار . فلا الطائر اصغير يخطئ في التلقى وفي معرفته انه لا رزق له الا الذى في ذلك المكان . ولا الكبير يخطئ التشديد يعلم انه لا ينجيه منه الا ان يتقيه بذرقه . فاذا اوى ذلك الذرق واستوى في ذلك الرزق رجع شيمان ريان بقوت يومه ومضى الطائر الكبير لطيته . واهما مشهور وثانها ظاهر لا يمكن دمنعه ولا تهمة المخبرين عنه لم " ومن مكان اخر اورد مثالا ثانيا على ذات الظاهرة فقال (والتمساح يفتح فاه اذا غمه ما قد تعدق باسفانه حتى ياتى طائر فياكل ذلك فيكون غمما له واحة للتمساح) (٢) .

هذه امثلة اوردتها الجاحظ . وهي لعمري نعم الامثلة لتوضيح هذه القاعدة الحيوية القيمة . طبعا نحن لا نقول ان الجاحظ عرفها بحد ذاتها اى كما يعرفها علماء اليوم - انما نقول انه لا حظ وارد عليها امثلة . ومن هذا فضل كبير .

٤ - التهجين = HYBRIDIZATION والتهجين هو

تلقيح ايسون مختلفين لينتجا نالا يكاد يكون ثالثا . مثل تلقيح الفرس مع الحمار لينتجا البغل او الكلب مع الضبع لينتجا العسبار على حد قول الجاحظ بذاته .

لهذه القاعدة ذبول طويلة وكثير . لم يعرف منها الجاحظ الا ان هذا التهجين يكون مختلفا عن ايسونه . فهو تارة ضعيف وتارة قوى ومن الصعب ان يكون مثلها . بالطبع لم يعمل الظاهرة تحليليا علميا كما يعملها علماء الحياة اليوم - لانه لم يكن باستطاعته ذلك . انما اكتفى بالتبنيه عليها والتمثيل لها .

في الجزء الاول من الحيوان قال مثيرا الى الظاهرة () قالوا قد يرض
الذئب (الضبع) في تلك البلاد للنساقه الوحشية فيفسدها . فتلفح بولسد يجي*
خلقه ما بين خلق النساقه والضبع . فان كان انثى تعرض لها النمر الوحشى فيضربها
فيصير الولد زوائه (١) . ومن مكان اخر تكلم عن العسبار من حيث انه ولد الكلبة والضبع
ومن ثالث تكلم عن البسل من حيث انه نشأ تساقه الرمكة والحمار . وكل هذه امثلة من
حيوانه تشير الى انه لاحظ الظاهرة العلمية هذه .

لكنه لاحظ ايضا اشياء اخرى عنها . فقد عرف ان الهجين (اى
نتاج الابوين المختلجين) يكون غالبا اقوى من ابويه او قد يكون اضعف حسب
حالتهم ومعنى هذا الصدد قال (ان البغل المتولد بين الحمار والرمكة لا يبقى لـه
نسل . والزائسى المتولد تبعا بين الخنازير والورشان يكثر نسله ويطول عمر ولده .
والبيخت والنولج ان ضرب بعضها بعضا خي الولد منقوص الخلق لا خير فيه (٢) .
وهذه النتيجة التى توصل اليها الجاحظ في القرن الثالث للهجرة اى ضرورة اختلاف
الهجين عن ابويه ان سلبا او ايجابا هى التى توصل اليها مندل في القرن الثامن
عشر للبلاد وسلا النعم الدنيا مدحا لعبقريته .

هـ - التوالد العذرى Parthenogenesis = وهناك

ظاهرة اخرى لاحظها الجاحظ هى ظاهرة التوالد العذرى . او البكرى . اى الولادة
بدون سابق تلقيح ذكر لانثى . مما افتره العلم الجديد ومنثل عليه بتكاثر الاميبا مثلا
والعن كذلك . نفعل لاحظها وتكلم عنها بخصوص بيض الدجاج غير الملقح في الجزء الثالث
من الحيوان ثم عاد بذكرها وبماجم الذين انكروها بقوله في ذات الجزء (وقد انكر ناس
من العوام واشبهه العوام ان يكره شئ من الخلق كان من غير ذكر وانثى . وهذا جهل
بشان العالم وانقسام الحيوان . وهم يظنون ان على الدين من الاقرار بهذا القول
مضرة . وليس القول كما قالوا . وكل قول كذبه العيان فهو فحش خطأ (٣) . لذن
لقد راي الجاحظ بعينه هذا ولذا فهو لا يقبل به بديلا .

٦ - تنافس البقاء . Struggle for Existence = هذا

ناموس طبيعي اجتماعي علم . لاحظته لاحظ وكعبته واناض في التمثيل عليه خصوصا في عالم الحيوان

نذكر تسلط بعض الحيوانات على بعض مثل الكلب على القط واقط على الغار .
 وذكر اسلحة كثيرة من الحيوانات التي تدافع بها عن نفسها مثل خرطوم البيل
 وانياب القط وحياة الثعلب ونساء الضب . مما لا ضرورة لاعادته اولا لانه
 معروف وشائيا لاني نقل اقل شيء منه اطالة لا مبرر لها . لكننا نعتقد
 ان القطعة التالية لها قيمتها في هذا الصدد . قال في الحيوان =
 (وهم صاحب الغنط ان العقاب تاكل الحيات . وان بينهما عداوة لان الحية ايضا
 تطلب بيضها ونراخها . قال والعذاف تغالب البومة لان العذاف يخطف بيض البومة
 نهارا وتشد البومة على بيض العذاف ليلا فتاكله لان البومة ذليلة بالك ار ردية
 النور واذا كان الليل لم يقو عليها شيء من الطير والعذاف يقاتل ابن عرس
 لياكل بيضه ونراخه . قال وسين العداوة والعذاف قتال لان العداة تضعف ببيض
 العذاف لانها اشد مغالب واسرع طيرانا . وبين الاطرغالة والنسراق قتال
 لانه يقتل الاطرغالة ومطالبه . وبين العنكبوت والعظاية عداوة وو ا) الى
 كثير من العداوات التي اتى على ذكرها مما يدل على استحكام القتال ودوام النزاع في سبيل
 الحياة .

٧ - علم الحياة الترتيبي Systematic Biology = هذه الطريقة

في مهاجمة علم الحيوان لم تعرف الا حديثا . اى تقسيم الحيوانات الى عائلات مشتركة
 في خصائص خاصة . ثم درس كل عائلة على ذلك الضو . الا ان الجاحظ عرنها في التذيم
 وحاول ان يدرس حيواناته على ضوءها لكن ضرورة الاستمرار التي راي بها منعه من
 ذلك وحالت بينه وبينها .

قلنا عر هذه الطريقة . والدليل على ذلك محاولته تطبيقها بجمعه
 الحيوانات المتشابهة من مجموعة واحدة مثل قوله عن الحمام مثلا (فالقمرى حمام
 حمام والروشان حمام . والسفنين حمام ، وكذلك الحمام واليعقوب وضروب
 اخرى كلها حمام ؟) ومثل قوله عن الزنابير (وليس بين بنات وردان والزنابير
 فرق ولا بين الزنابير والدبر والخنافس فرق . ولا بين المصافير والزراير فرق ؟) .

وليس هذا فحسب بل راح ينتهجا بالاستشهاد بعد ان تاكد بالعيان .
 فقال (والدليل على ان الخنافس النحل والدبر كلها ذبان . ما حدث عباد بين

صهيب واسماعيل المكي عن الاعتراف عن عطية بن سعيد العوني قال قال رسول الله صلعم =
كل ذباب في النار الا النحلة . وليس هذا وحسب بل راي يستفهم الشاهد من القرآن
ايضا بقوله (زم اناس ان جميع الحيوان على اربعة اقسام = شئ . يطير وشئ . يمشى
وشئ . يعوم وشئ ينساج . وقد قال الله عز وجل = والله خلق كل دابة من
ما فنعهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجله . ومنهم من يمشى على اربع يخلق ما يشاء)

ومن هذا نرى اولاً ان الجاحظ ادرك هذا الاختلاف بين حيوانات والتفارب
بين اخرى نزل يجمعها في عائلات متقاربة . الا انه يقال اولاً ان قاعدة تقيمه
كانت ناقصة بالرغم من انها صحيحة . وشانها انها لم تجز . واضحة بالرغم من انها قصيرة
لكن له من روح العصر الذي عايناه (اي عدم معرفة هذه الامور) خير عذر
ومن نزعته الادبية في بحثه احسن ملجأ .

هذه نظرية عامة وسريعة في المبادئ او القواعد او التواييس العلمية
التي لاحظها الجاحظ في علم الحياة . كل هذا ابرازها كما وردت دون اي تعليق
الاما اقتضت الضرورة به . فنقول انه عرّف سنة النشوء والارتقاء . وحرف مجانسة البيضة
وهرج ظاهرة التعاين وادرك مسألة التهيبن . وم يغفل التوالد العذري . هذا الى
كلام مفيد مختصر في تنازع البقاء ثم انقسام الحيوانات الى عائلات . . وكفاءة فضيلة .
ونحبان تصنيف انه كان ملاحظا اكثر منه باحثا .

ثانياً - علم النفس - PSYCHOLOGY ×

في هذا الميدان طرق الجاحظ عدة نواحي من نواحي النفس البشرية والحيوانية .
ناسب في كل منها فصل به وكما به " البخل " بالاضافة الى " الحيوان " وراثته
الاخرى فمن " ثمان السر " و " الحاسد والمحسود " بالاضافة الى " التريخ والتدوير " ونسرق ما
بين اعداؤه والحسد " ، لم تعد في اكثرها كتب درس للنفسية البشرية وتحليلاً وانما لها
على ضوء الاختبار . ولو لم يكن قد طرق في هذا الموضوع سوى ناحية البخل وناحية الحسد
وناحية التنبيل بالاضافة الى كثير من طبائع الحيوان لكفاء فضلاً .

الا ان هناك قواعدا نفسية كان دائما يحاول الدوران حولها لتوضيحها بحسب بدرتها
ان نقف عليها بعض الشيء بعد ان جمعد متفرقاتها من هنا وهناك - اهم هذه ما يلي :-

١ . حسب شيء الى الانسان ما منعنا = وقد مثل عليها تمثيلا جميلا في رمللة

كتمان السر حيث قال اذا اردت ان تفسى سرا فتعال لايهم وقل له = احب ان
اقول لك سرا . لكن ارجوك كل الرجاء ان لا توصله الى احد . وكرر عليه كفتى " سر " و
" ارجوك ان لا توصله لاحد " . وانا الكميل بان كل البلد ستدرى به . ذلك لان النفس
البشرية نزاعة للحرية ونكره كل قيد . فانت بقولك = لا تفله لاحد . فبيدته بقيد
سيبقى دائما وابدا نزاعا ليفلت منه .

٢ . وشبه الشيء منجذب اليه = قال في الحيوان (... لان الشكل

انهم عن شكله واسكن اليه واصب به . وذلك موجود في اجناس البهائم ونبوب
السباع . والصبي عن الصبي انهم وله الفنا واليه انزع . وكذلك المعلم و العالم
والجاهل والجاهل . وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام = " ولو جعلناه
ملكاً لجعلناه رجلاً " لان الانسان عن الانسان انهم وطباعه لطباعه انزع (٢) . والسبب
عنده في كل هذا ان اخلاط اشياء متشابهة في الاصل وراثتها متقاربة ولهذا لم
ان تفاهم (٣) . هذا ان اخلاط الاشياء متشابهة في الاصل وراثتها متقاربة ولهذا
لم ان تفاهم .

٣ - والمرء يجهل عيب نفسه - وأمثلة هذا تكاد تملأ النجلاء

والترجيع " فالخبيل لا يرى فيج نجله بل لا يكاد يفتره . انما يرى ذلك في غيره ويداه .
وان عبد الوهاب لا يعرف نفسه ابدا ولهذا تاه وطر فاضطر الجاحظ " لان يوفعه .
عند حده كما قال . و غير توضيحي لهد ذه القاعدة هو مراجعة كتاب الترجيع . اذ هناك
تعرف رسوخ كعب الرجل في الموضوع ومعرفته الدقيقة بدخائل النفس البشرية .

٤ - الانسان ميال للتأله - فهو لا يقر بعيب ابدا . واذا رأى

عيبا فانه يستره ويحاول ان يحمسه عن الناس باظهار عكسه . فالضعيف في اساسه تراه دائما يتظاهر
بالقوة والغبى يتظاهر بالذكاء . واحسن الامثلة عنده رسالة في النبل والتبذل . واجمل ما جاء فيها قوله

والتي لا يتقبل لانه ليس بحاجة الى ذلك . اما الذي يتقبل هو من
ليس عنده نيل .

٥ - النفس الانسانية ضيقة فلا تنسى هذا = لذلك لا تكثر عليها

من الجد لئلا تحترق ، ولا تكثر عليها من الهزل لئلا تموت . ولهذا
كان تنويه في ادبه كله . واحسن مثال عملي قدمه بهذا الخصوص قوله
في رسالة التجارة لا تعط الدرس بكامله للتلميذ . بل اعطه منه قليلا قليلا ووجه
وتدرج من الصعب الى الاصعب وشوقه انشاء ذلك فان التشويق في النفس
انرا كبيرا . ص ١٥٩

٦ - متفرقات = هذه المتفرقات تجدها في كلامه عن طبائع
الحيوان التي اوردها منجمه في ثنايا كتابه . وللتفصيل على هذا راجع (١) ما لن
نذكره خوفا من التطويل .

ثالثا - علم الاجتماع - SOCIOLOGY
× ————— ×

اما في باب الاجتماع فلجل اراءه هي مزيج من اراء عصره التقليدية
واراء عقله الحر . واليك اشهرها بكل اختصار =

١ - الجاحظ والمرأة = لقد اورد الجاحظ في كتبه كثيرا من
الانتقابات كلها الى انحطاط النظرة الى المرأة في ايامه وقبل ايامه . بل هي بحق
تمثل نظرة العرب التقليدية الى هذا المخلوق . واليك جانباً منها = نقل في
البيان . قول خالد (وما عسى ان اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد
وسائس قرد وراكب عرد . دل عليهم هدهد . وغرقتهم نأرة . وملكتهم امرأة^(٢)) .
يشير الى قوم سبأ وملكتهم بلقيس ونقل فيه كذلك من خطبة لعبدالله بن
مسعود قوله (النساء حيلة الشيطان^(٣)) وفي ذات الكتاب نقل قولهم الشائع (لا
تستثيروا معلما ولا راهي غنم ولا كثير العقود مع النساء^(٤)) . وكذلك قول عمر بن
الخطاب (اكثروا لمن من قول لا . فان قول نعم يضر بدن على المسالة^(٥)) .

واما في الثالث فقد كاد يعطي الصورة الكاملة لهذا الموقف التقليدي بنقله هذا الحديث (كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب = اخطب على عبد الملك بن عبد الله الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها امة لبعلمها . نكتب اليه . قد اصبتها لولا عظم نديها . فكتب اليه الحجاج = لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم نديها . قال الرار بن منفذ المدوى =

صلتة الحذ طويل جبرها ضمة السدى ولما ينكر

نقال علي بن ابي طالب بن ابي طالب كرم الله وجهه = لاء حتى نديني الضجيج وتروى الرضيع . - هذه هي نظرة القوم اليها . هو آخر ما استطعوا ان يروموها اليه = ان نديني الضجيج وتروى الرضيع .

والجاحظ قد ضرب على هذا الوتر كثيرا في كتبه . نذكرها تارة بخفة العقل مع النوكي . وتارة بالظيتر مع الاولاد . وتارة باشيا . اخرى كثيرة من هذا النوع . انه الحق كان يشور على التقاليد ويعطي تعلمه حرية التبصير عن عقله الحر . فقد وقف مواقف مشهورة بهذا الصد والبك بعضها . فالجاحظ لم ير بالحجاب = اولاً لانه لم يكن في الجاهلية^١ وثانياً لانه نزل على نساء النبي خاصة في الاسلام^٢ وثالثاً لان الكيرات من مشهورات العباسيات لم يعترفن به^٣ . ورابعاً لانه غير طبيعي انما خلفته غيره الرجل وحسب انترته بالمرأة^٤ . هذا بخصوص الحجاب اما بخصوص الاختلاط فقد دافع عنه كل دافع وقال انه طبيعي الذي لا بد منه لولا الفساد الاجتماعي^٥ . وله موقف ثالث بخصوص المرأة وهو اعتزانه بمساواتها بالرجل في كل البيادين وقد رهبه على ذلك عمليا بنقله عن كيرات منهن في الادب وفي الزهد وفي الحيوان حتى . وليس هذا فحسب بل فضلها عليه في مواقف خاصة كما نرى في النساء والمنق

٢ - الامامة = وللجاحظ اراء في الامامة . فهو كما ينسب من كلامه لا يؤمن بما يسمى اليوم حكم الشعب . لان هذا الشعب اكر من العامة . والعامة في صلبهم نظره لا تفهم صالحها . اذا اجتمعت فانها للشعب وان تفرقت فالخير كل الخير

في تفرقها تطلب الرزق". ولهذا هاجمهم كثيرا حيث تعرض لهم واعلن عن عدم نقته بهم في كثير من المواطن .

ورايه هو ان يقوم جماعة ممن توفر فيهم شروط خاصة يستلزمون زمام الحكم ويديروها الدقة باحكام . وبهذا لا يغيره يسير المجموع في طريق النجاح . اولا لكفاة هؤلاء في عطيمه ، وثانيا لانصراف العامة الى اشغالهم .

وهو يرى الى جانب هذا ان القلة في عدد هؤلاء الرؤساء هي المطلوبة . حتى انه اوصى بامام واحد فقط^١ . وصحبته في ذلك تلاني الخلاف . وهو في الوقت الذي يعترف فيه بان راي اثنين احسن من راي واحد يقول = ولا بد للخير من ثمر حتى يتم كيانه^٢ .

هذه الآراء مستفادة من رسالة في الامانة . ومن الاماكن الاخرى التي ورد فيها ذكر للموضوع في مختلف كتبه . ومن مجموعها يستنتج ان الرجل كان نزاع للحكم الفرد لا بغيره .

٣ - نظام الطبقات = يرى الجاحظ ان اختلاف الناس في مواهبهم

ومقدراتهم وكفايتهم امر طبيعي . بل هو لضروري لصالح المجتمع . والخير كل الخير في بقا تلك الفوارق . والشركل الشر في محاولة ازالتها او تجاهلها . فالعالم لا يمكن ان يكون كالباهل . ولا الخاصة كالعامية . ومن جميل قوله في هذا الصدد = تصور ان جميع الناس خلقوا اوهم بعقلية واحدة وجنانية واحدة بلا فرق ولا تمييز . تصور لهم هذا ثم تصور مهم الاضطراب والفوضى في المجتمع . تسبحان من الهم فلانا ان يسى ابن محمدا والهم غيره ان يسميه شيطانا^٣ .

هذه اهم نظراته في الموضوع . الا انه له غيرها كثيرا ما لا نستطيع ابراده في هذه العجالة اولا لضيق المقام وثانيا لقلة برونه في كتبه .

(١) هامش الكامل الثاني ٣٢ (٢) هامش الكامل الثاني ٥٠

(٣) هامش الكامل الثاني ١٢٧

رابعاً - علم الاخلاق

لقد نصب الجاحظ نفسه محامياً عن الاخلاق الحميدة . تكتب ايجابياً يدعو اليها وكتب فيها سلبياً ينقد وينفر من الخير الرذيلة = كما ترى في لائحة كتبه عن " الاخلاق " ما يمكن الرجوع اليه . وللتلخيص فقط نقول انه = كتب في البخل ناقداً ، وكتب في حيل اللصوص مفصلاً . وكتب في الجوارى متهمكاً . كما انه نقل كثيراً من الزهديات في البيان ، واستخلص شيئاً جديلاً من اخلاقيات الحيوان . هذا بالإضافة الى تذود كبيرة في السلوك وآداب المعاشرة وتجدها مفردة في الحيوان .

وخلاصة آرائه في كل هذه رأيان يكادان يكونان متناقضين = الاول هو ترك الدنيا والتوجه للآخرة بملها العليا . والثاني هو ترك الآخرة والانكباب على الدنيا بملذاتها وملاهيها . وليس بغريب على الجاحظ هذا التطرف فقد عرفنا فيه من قبل .

اما الاول فيستنتج من مقولاته في الزهد واقوال الزهاد وما اليهم مما اكرر منه في البيان والتبيين . واما الثاني فمن رسائله القعدة مثل رسالة " الشارب والمشروب " التي دافع فيها عن شرب النبيذ ومثل " رسالة الفيان " التي ذمها فيها لعدم اخلاصهن في حبهن ومثل رسالة " المغنين " التي حبذ فيها النساء ومثل رسالة العشق والنساء " التي دافع فيها عن المرأة اولاً وارانا اختبارات عميقة وحسنة نانيا .

خامساً - علم التاريخ

في هذا الميدان كان الجاحظ مؤرخاً اجتماعياً أكثره من سياسياً . وادبياً أكثر من علمياً . فهو عندما يتناول شخصاً لم يكن يتناوله من حيث مركبه السياسي بل كان يأخذه من حيث انه رجل اجتماعي فيتكلم عن علاقته بغيره وعن آرائه في النظام وعن اقوال الناس فيه وهكذا . لكن الضرورة تضطرننا لان نقسم الموضوع لقسمين = اولاً التاريخ السياسي الذي يسائر العصور السياسي ويتكلم عن رجال الدولة وان لم يصبغه بتلك الصبغة . وثانياً التاريخ

الادبي الذي ركز فيه على جملة من رجال الادب .

- ١ - التاريخ السياسي = كان الجاحظ فقيرا فيه . وما يلي مما جمعناه ، قد وفى منه بقصد غير القصد المعروف من مثل هذا الموضوع . واليك نظرة في التراث التي تكلم عنها =
- اولا - تكلم عن التاريخ القديم للجزيرة فذكر اقواما غابرة وتحدث عن نشو النصرانية فيها منذ القديم ؟
- ثانيا - تكلم عن عهد الراشدين ثم نفرد الشخصيات الاربعة قال بعض الشيء عن كل منهم .
- ثالثا - " " " الامويين بذات الاسلوب
- رابعا - " " " العباسيين بذات الاسلوب ايضا .

- ٢ - التاريخ الادبي = واكثره تراجم لشعراء وكتاب وخطباء وتنويهات خاصة برجال بارزين لا يمكن جمعها في صفحات لادبا واسعة التفرق .

ولهذا هذا فتكون برقيته التاريخية مقصودة على هذا الكم القليل والتنوع الضئيل الا اننا يجب ان لا ننكر انه اذا جمعت متفرقاته وخصوصا تلك الاخبار الصغرى ، ودطبه المنقولة ، وكتبه التي نسخها فان مجموعها شيء قيم . هذا بالاضافة الى مفهومه الاجتماعي للتاريخ وسبقه الكثيرين الى هذه النظرية .

نظرة وتقدير

اذا القينا نظرة عامة على كل ما مر وجدنا ان الرجل كان سبانا الى كثير من القواعد العلمية التي يتفخر بها العصر الحاضر . نسبفه الى التنويه بوجود شيء اسمه التطور لا يعد مفخرة لانه سير اليه فحسب وانما لانه تجاسر ان يقول به ايضا لا سيما وهو يتبع لدين تقول اصوله ان الله خلق كل شيء ولا تطور . واما اراءه في المرأة خصوصا في حجابها فشيء اقل ما يقال فيه انه جميل جدا . لكن الاجمل منه هو نظره للعامة وموقفه ا

التفكرى منهم . واذا عرفنا ان ذات موقفه وقفه هتلر من العامة وقال به في كفاحه عرفنا الى اى مقدار كان الرجل دقيق النظر في امور المجتمع . ولنتخبط اراءه في نظام الطبقات لانه يكاد يعلن عن نفسه بنفسه لنتنقل الى رايه في الاخلاق ذاك النظر الذى ان كان لينمى شيئا فانما واقعية باجلى معانيها . " ساير البيئة وجار المجتمع ولايس الدهر الذى تعيش فيه " . ان كانت اخلاقا فاضلة فادع . لافضل منها . وان كانت رذيلة فمرجبا بالزائل . واما رايه في تدوين التاريخ فقد كاد يتميز به . التاريخ عنده ليس مجرد سرد حوادث . انما هو نتاج اعمال رجال . فلا يمكن تدوينه الا على هذه الحاب . تاريخا اجتماعيا . والجغرافية عنده مثل التاريخ بالضبط . الجغرافية ليست جبالا وسهولا وانهارا . هي جغرافية انسانية . هي وصف للعلاقة المكننة بينها وبين اهلها .

الا انه يؤخذ عليه اولا انه كان ملاحظا اكثر من باحثا
ثانيا انه كان وصافا واكتفى بذلك ولم يستنتج قوانين عامة
ثالثا ان اكثر مادته كانت قليلة ابتدائية .

الا ان له من البيئة التي عاش فيها كما فلنا خير مجن . وعلى العموم
ثله دره . نكم كان سبانا بعصره بعصور . حتى ان كل مدح فيه اضحى بعد كل
هذه الدراسات نجا من التكرار .

المقالة الثالثة في دين الجاحظ

انه لمن المؤسف حقا ان تضعي اكثر كتب الجاحظ في الدين ومثاله . والمعل ومثاله . نتظلم امامنا الطريق وختفي كل نجم نستطيع ان نستعين به في هذه المفازة . فاحالة القدرة على الظلم التي تتعلق بمسالة القضاء والقدر ، والاستطاعة وحلق الاعمال التي تعالج مشكلة حرية الانسان ، رسالة خلق القرآن التي تعرضت لقضية طالما كثر فيها الاخذ والرد ، ورسائل الردود على المشبهه والقبولية وغيرهما مما تجده في قائمة سرد كتبه كلها ضاعت ولم يبق لنا منها شيء .

اما كيف ضاعت . فغالظ الظن ان ذلك كان عن احدى طريقين = الاولى تغلب اعداء الجاحظ عليه وعلى توفته منذ ايام المتوكل ومن ثم اغارتهم على كل ما خلفت بهذا الصدر وسحابتهم الخلاص منها على اى وجهه كان . والثانية حرق المكاتب الذى تكرر وقوعه في اواخر العصر العباسي عندما سادت الفوضى وتحكم في الناس جهالهم .

نقول بهذا عدونا ككتب الجاحظ في الدين الا القليل النادر . وليست الامر وقف عند هذا الحد ، اذن لا استطعنا ان نعتد على من جاء بعده في استقاء مادتنا عنه بهذا الخصوص منهم . لان هؤلاء الذين جاؤوا بعده سادتهم روح سلبية متزمنة ، انكرت كل اثر للعقل ومن ثم انكرت كل اثر للجاحظ نصيره . وان كان هناك اى اثر بقي ولم يستصيعوا محوه راحوا يعملون فيه محاول التشويه من نقد مر الى سخيرة لازعة الى تهكم يذل امامه كل متشاحن ومن امثلة هذا قول ابن الرواندى يسخر من قول الجاحظ بخلق القرآن (ويدعي الرجل ان القرآن مخلوق يستحيل نارة في شك امرأة واخرى في شكل رجل) .

نقول لكل هذا عزمنا على عدم التعرض لهذه الناحية من ادب الجاحظ . لكننا وجدنا ان الموضوع لا يتم بدون ايراد ولو لمحة قصيرة عنه . فمن اين ناتي به . واخيرا هدتنا الحيلة الى الاعتماد على الشذرات القليلة التي نرفقها في باقي كتبه ومثاله ما قد سلم ، وعلى الشهرستاني الذى يعد احسن مرجع قديم عرفناه في الموضوع . لكن هذه الشذرات المتفرقة وما

أردء الشهرستاني وغيره كان من الفلة والغموض بحيث لم نفهم منه شيئا . ولهذا اضطربنا الى ان نستعين بفهم بعض المحدثين لها مثل احمد امين وغيرهم .

اما الذى سنحاول ان نبينه في هذه المقالة ، او بالأحرى ان نلقى عليه ضوءا فهو أولا موقفه من القرآن وثانيا موقفه من الحديث وثالثا موقفه من الفقه ومشاكله بخصوص علاقة الدين بالعقل .

أولا الجاحظ والقرآن

كسلم عادى ابن الجاحظ بان القرآن من عند الله . لكنه كمتزلي انكر ان يقر له بالقدسية كما يقول السنيون . ولذا راح يقول بأنه مخلوق كباني مخلوقات الله واليك قوله بالحرف (... ثم رزم أكثرهم ان كلام الله حسن ... وان الانجيل غير القرآن . والبقرة غير ال عمران . وان الله تولى توليفه . وجعل برهانه على صدر رسوله . وأنه لو شاء ان يزيده زاد . ولو شاء ان ينقص منه نقص ... ولو شاء ان ينسخه كله بغيره نسخه . وأنه انزله تنزيلا . وأنه نصله تفصيلا . وأنه بالله كان دون غيره . ولا يقدر عليه الا هو غير ان الله مع ذلك لم يخلقه ... فاعطوا جميع صفات الخلق . وضعوا اسم الخلق ... والعجب ان الذى منعه - برحمه - ان يرم انه مخلوق انه لم يسمح بذلك من سلته و هو يعلم انه لم يسمح ايضا من سلته انه ليس بمخلوق) .

هذا من حيث موقفه من مسألة خلق القرآن التي لعبت كرها كبيرا . اما من حيث مسألة اعجازه فالغريب من امر الجاحظ انه يقول بالصرنة اى ان العرب يمكنهم ان يأتوا بفنله ولكن الله صرنهم عن ذلك . قال (فانا نقول بالصرنة في عامه هذه الاصول والابواب ... وقد ذكرنا ... وذكرنا ... وذكرنا من صرف من صرف او هام العرب عن محاولة معارضة القرآن)^٢ .

اما من حيث تفسيره فقد وفق موقفنا يشكر عليه اذ جعل العقل هو مدار

كل تفسير . تفسر احيانا تفسيراً منطقياً معقولاً وتند احيانا تفاسير غير الخرافية وسحر منهم على حسب عاداته التي عودنا . واليك بعضاً من هذه اللحات من كتاب الحيوان .

لقد انكر الجاحظ الخرافة من اصلها وهو لم يعتقد بحديث الجن واشعار الجن وما اليه . ولذا نفى كل خبر عيان عنهم رايها اياه بلانه " حديث خرافة " . وقد طبق هذا المنطق في التفسير فقال في تفسير (انها شجرة تخي في اصل الجحيم . طلعتها كانه رؤوس الشياطين = وليس ان الناس راوا شيئاً قط على صورة . ولكن لما كان الله قد جعل لها في عب طباع جميع الام استقباح جميع عب الشياطين واستسماجه وكرهته واجرى على السنة جميعهم ضرب به المثل في ذلك . رجع بالايحاش والتنفير والاخافة والتفريق الى ما قد جعله الله في طباع الاولين والآخرين عند جميع الام على خلاف طبائع جميع الام^١).

هذا مثلاً على استعمال العقل الحر في التفسير . اما الثاني فعلى استعمال العقل الواسع الاتاق فيه . قال في تفسير (ربنا لا تحملنا مالا عاقاً لنا به وافع عنا = يجوز ان يكون انما يريدون صرف العذاب . ويجوز ان يكون انما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز على قوب من قال " لا استطيع النظر الى فلان " على معنى الاستقبال^٢) .

اما المثل الثالث فعلى سخريته بالمفسرين الآخرين في قولهم ان اصل الفظ من عضمة الاسد . وان الحنزيز من سلح الفيل . وذلك انه عندما جمع نوح مخلوقات كبيرة لبي سكينته ولا بهم المعج واخذ النار يعبت بالمتاع وكاد يخون السفينة ارجى الله للأسد بان يعطس فخرج من منخره زوج سنابير . فمار الفيل وسلح فكان زوج خنازير . وبعد ان اورد هذه الحكاية اورد معلقاً وهذا مما تتلهى به النساء والاولاد وحبي الحرائات من المفسرين^٣ .

واذا اردت الزيادة من هذا فراجع ج ٢٢/٤ ح ٢٩/٤ ج ١٢٩/٣ ح ٨٣/٦ . ج ١٦٩/٦ . ومن هذا نرى ان الجاحظ كان يقول بخلق القران اولا وكان من القائلين بالصرقة في اجهازه ثانياً وكان من مؤيدي استعمال العقل في تفسيره ثالثاً .

ثانياً الجاحظ والحديث

على العموم يقال ان موقف الجاحظ من الحديث لم يتخذ صفة الجد . ولهذا نراه

تارة يطيل اسناده وحقق فيه ، وتارة يقصره او يهمله ، واخرى يورد احاديث ضعيفة وفي غيرها
كاد ينفذ بمجمل هذا الموقف . واليك الامثلة .

كان الجاحظ في كثير من الاحيان يطيل السند علما منه بان ذلك نوع من التحقيق
في المسنود مما يخص به . خصوصاً نحو الحقيقة التي كانت غايته في كل ما كتب واليك مثلاً على ذلك =
(فضيل بن عياض . عن العطن بن يزيد . عن عبد الله بن زحر . عن علي بن يزيد . عن
القاسم مولى يزيد بن معاوية . عن ابي امامة الباهلي . قال قال رسول الله " ادبوا الخيل .
وتسوكوا . واتعدوا في الشمس! ... ")

وفي غيرها كان يختصره اي يورده باقصر اسناد ممكن . من امثال ذلك قوله (عوف
عن الحسن قال . قال النبي صلعم " بالمسلم على اخيه ست خصال . يسلم عليه اذا
لقيه . وينصحه له اذا غاب . ويعوده اذا مرض . ~~ويشيع جنازته~~ ويشيع جنازته اذا مات . ويحييه اذا
دعا . وشتمه اذا عطس!) .

وفي كثير منها كان يروي الاسناد بالمرّة كقوله (قال النبي صلعم " اذا كتب
احدكم فليترتب كتابه فان التراب يبارك " (٢) .

وفي اماكن اخرى كان لا يطيل ولا يقصر ولا يذكر سنداً وانما كان لا يهتم
بالسند اي كان نوعه . انما كان يهمه ان يروي والسلام . مثل قوله (اسماعيل بن عيار . عن الحسن
بن دينار عن الخفيف جحدر " عن رجل " عن معاذ بن جبل عن النبي صلعم قال = ليس من
اخلاق المؤمنين الملق الا في طلب العلم!) . فاسمع كيف يروي " عن رجل " ثم يطمئن الى صحة
الحديث .

وليس هذا فحسب بل ان من عدم العملية لم يراع في الاسناد نطق وانما لم
يراع في المسنود كذلك . قال (رسول الله صلعم اللهم اذهب بلك غسان وضع مهر كده) .
وكذلك (قال رسول الله صلعم عمران بيت المقدس خراب يترتب . وخراب يترتب خروج الملحمة .
وخروج الملحمة فتح قسطنطينية . وتفتح قسطنطينية خروج الدجال!) .

وكذلك هذا ان كان ليدل على شيء فعلى عدم اعطاء نصيب كبير من الاهتمام بالحديث. ولعل فيمايلي محاولة لتبرير هذا الموقف . اما لتبرير موقفه في حذف السند فقد قال (كان يزيد بن هبيرة يقول احذروا الحديث كما يحذره مسلم بن قتيبة^(١) . فلعلمه اعجب بطريقة مسلم فاتبعها . اما لتبرير موقفه في عدم الدقة في الاستدلال فقد قال (قلت لحباب انك تكذب في الحديث . فقال وما عليك اذا كان الذي ارزده فيه احسن منه^(٢) .

الا ان اعداءه لم يقنعوا بهذه البررات . ولهذا راحوا يتهمونه بكل تهمة . فقال نعلب بالرغم من انه من تلاميذه (امسكوا عن الاخذ بحديث الجاحظ . فانه ليس بنقطة^(٣) . واراد صاحب الميزان بذاته (وانا انول = لقد كان الجاحظ من اهل البدع^(٤) . اما البخنادي فحدث عن اتهاماته ولا حرج .

الا ان الحس مهما توالى عليه الغمزات وتكاثفت عليه الخيم - لا بد وان يظهر . فالجاحظ لم يكن " ليس بنقطة " وانما كانت له نظرة خاصة في الحديث هي نظرة اكثر المعتزليين الذين يعملون العقل في كل ما لديهم . وهذا مما تضيق صدور المترمطين . فيتعجلون الامر بالتهجم . ولتصدق دعوانا - اى ان لوجد كان مخلصا في نظمرته العلمية العقلية الى كل شيء - وان كان بخطي احيانا نورد ما يلي = اولاً كان يشك في الحديث ولا يقبله حتى يحقق فيه . ثانياً كان ينسب الى الوضع فيه . واخيراً كان قد وضى قاعدة عامة لقبوله او رفضه .

كان يشك . في البيان قال (على اننا لا ندرى اقال ذلك رسول الله صلعم ام لم يقله . لان مثل هذه الاخبار يحتاج فيها الى الخبر المكشوف . والحديث المعروف^(٥) . وفي الحيوان بعد ان اورد طائفة من الاحاديث عن الوزغ التي لا يمكن لعقل سليم ان يقبلها قال (وهذه الاحاديث كلها يحتج بها اصحاب الجبال^(٦) .

كان ينسب الى الوضع . مما يظهر من قوله في الحيوان بعد ان اورد حديثا في العقرب ملخصه ان من قتل حية او عقرباً فكأنما لال كائراً - فعلى هذا المعنى يكون تأليف الحديث^(٧).

(١) ٢٢/٢ ٢٣٥-٢ (٢) ميزان الذهبى ٢٨٨/٢ (٣) نفس المصدر
(٤) ٢٨٨/٣ (٥) ١٦/٤ (٦) ١٨/٤ (٧)

واخيرا - كدأب المعتزلة - راح يهاجم المحدثين لعدم دقتهم وبأنهم جماعون
 يهمهم الجمع والجمع فقط . اما اعصاب العقل فليس له الى ما يعملون سبيل . (ولو كانوا يرون
 الامر على عللها وبرهانها خفت المؤونة . ولكن اكثر الروايات مجردة . وقد اقتصروا على
 ظاهر اللفظ دون حكاية العلة ، ودون الاخبار عن البرهان^(١) .

وليس هذا نحسب بل راح يقرر القاعدة العامة في مثل هذه المشاكل . وهي
 الاجماع . فاذا اختلف الناس في الحديث كان يصححه قم وضعفه اخرون . او كان يروى حديث
 اخر يناقضه بل انقضد عدم الاخذ به لذلك . اعطى المهتمين بالامر ان يعملوا فيه العقل
 لغرض النظر على الاستناد . ولهذا تروى الاحاديث الواردة في النبذ لاني بعضها يفيد الحل
 بعضها يفيد الحرمة يرجع الى عقله يحكمه .

ولكي تطلع على تفاصيل هذا راجعه في اماكن مختلفة من رسالة النبذ المنشورة
 في هامر الكامل الثاني سنة ١٣٢٣ هـ ٢٥١ م بما بعدها .

ومحد هذا - اي بعد ان يشك ، ومنه على الوضع ، ومهاجم عدم الدقة ،
 وضع قاعدة واضحة في قبول او رفض اي حديث ، واخيرا تحكيه العقل تحكيما مطلقا - لا نستطيع ان
 نجاري الراي السابق بانه لم يكن ثقة . وانما نقول انه حاول القرب من الحقيق ولكن ذلك كان
 احيانا يفوته . وليس ذلك بغريب عليه ما دام انسانا معرضا للخطا والنسيان .

هذا هو موقفه من الفران ومن الحديث . وحسن بنا ان نضيف ان مادته في
 كتبه تدل دلالة واضحة على ان اطلاعه وتفرضه بكليهما كانا من درجة منلى . حتى لو ان جامعا
 يجمع متفرقاتهما لتجمع لديه مقدار يعتد به في الكم والنوع .

ثالثا الجاحظ والنق

والنق في الاسام هو استخراج الاحكام من الفران والحديث والسنة وما
 تجمع الى جانبها من المعلومات والجاحظ كمعتزلي اولا وكرييسر للجاحظية ثانيا كانت له اراء
 في الموضوع اكثر من ان تحصر في مقالة تعد بصفحات. الا اننا سنقتصر على الاهم والاشهر .

١ - في الاختلاج - لقد راينا من قبل ان الجاحظ لا يرى بالحجاب قط . وقد استشهد على ذلك بالفراوان وغيره . ولم يقل بالتفريق بين الجنسين كما راينا في القيان . ودعا الى الشيوعية النسائية . بتحفظ في ذات الرسالة . اما الغناء فقال انه لا بأس به بل وحبيبه لي ثم افاض في الرقيق وقال انه نوع من التجارة تقع عليه المساومة والمضاراة بالثمن . وهذه ناحية سوداء من نواحي فقهه . وتعرض لمسألة اللحم وأكله فقال ان لحم الخنزير حرم لا لانه خنزير انما لوساخة في طعمه^١ . وتكلم عن بيض القمامة^٢ . وحوام الصيد^٣ . تحليلهما ونادى بالهلل والتبرع على من حرهما . اما النبيذ وتحليله في نظره فحكاية قد عال البحث فيها حتى انه كتب رسالة كاملة في ذلك .

٢ - في الفلسفة الدينية - قال ان المعارف كلها طباع ضرورية وليس منها واحد بالاختيار^٤ . وقال ان لا فعل للانسان الا الارادة^٥ . وقال ان طبائع الاجسام ثابتة ولا يمكن ان تتغير^٦ . وقال غيرها كبير الا ان هذه اهم ارائه الخاصة . الا ان هناك اراء اخرى حرة شارك فيها باقي المعتزلة لا يهمننا ايرادها ولا اطالة البحث فيها بهذا الصدر . لانها تخرجنا عن موضوعنا من ناحية وتطيل بحسنتنا من اخرى .

يقول ان معرفة الانسان لاى شيء لا تكون باختياره وانما هي مفروضة عليه . ولذلك لا يحاسب عليها . انما يحاسب على ما فعل باختياره . وكل هذا محاولة لحل مسألة الفضاء والقدر وهل الله في ادخال الاشياء^٧ التاريخي . ولتفسير هذا قال = لان يفتح الانسان عينه امر اختياري . اما ان يرى فامر اضطراري . وهى هذا فهو يحاسب على فتح العين لانه كان حر التصرف به لكنه لا يحاسب على ما راي لانه كان مضطرا اليه . ومثل ثاني اوردته احمد امين لتوضيح الفكرة هو (لان يحاول انسان ان يفكر امر اختياري . اما ان يعلم فامر اضطراري) ومثل ثالث اوردته ال زالي في المستصنى (ان الجاحظ لا يرى بان الكفار كلهم سيذهبون للنار . ذلك لان اعتقاداتهم اضطرارية . والاضطرار لا حساب عليه . هم احرار في التفكير او عدمه . فان وصلوا الى ان الاسلام حق وكفروا بذلك فانهم يحاسبون . اما اذا لم يصلوا فانهم لن يحاسبوا الى هذا الحد من النظر الحر وصل بالجاحظ عقله التبر .

(١) ج ٣٤/٤ ح (٢) ج ١٠٢/٢ ح (٣) ج ٥٩/٣ (٤) منية الامل ٣٤

(٥) مقالات الاسامي ٤٠٢ (٦) بغدادى ١٢٦ شهرستاني ٨١/١ (٧) امين ١٣٣/٣

(٨) غزالي ٣٥٩/٢

هذا عن مسألة الإرادة وراثتها بالمعركة . اما مسألة الجوهر الثابت فلم يقل فيها تنورا عما سبق . فهو يرى ان الجوهر ثابت لا يعتره الفناء . وهذا هو نفسه القانون الكيماوي المشهور " المادة لا تتغير وانما تتغير صفاتها . تنقص وتزداد في الكم . وتتحرر وتتبدل في النوع . اما ان تبقى فلا " وقد غضب عليه المشايخ من اجل هذا . نذكر منهم الشمرستاني الذي قال رضى الله عنه هذا فالجاحظ يرى بان الله قادر على الخلق لكنه غير قادر على الافناء .

٣ - نظرات اخرى - نعني انه كان يرى في هذا الكون وحدة لا تتجزأ يعمل افرادها كل من محيطه وضمن دائرته للوصول الى هدف علم مشترك فيه الخير للجميع . ورسالته الدلائل والاعتبار الى جانب الشذرات الكثيرة التي وردت في الحيوان خصوصاً الفكرة التي طالما ردها في الدناع عن درس صفات الحيوانات (نعني ان لكل مقامه) ادلة دامغة على هذا الرعم .

ونعني ايضا انه كان يرى في الدين عنصراً متمماً للعالم وانه لا خوف بينهما كما يخيل لبعضهم . وان الذي يجمع بينهما هو العقل الولائي . قال في الحبان (وكلر وقد انكر ناس من العوام واشباه العوام ان يكون شيء من الخلق كان من غير ذكر واثق . وهذا جهل بشأن العالم واقسام الحيوان . وهم يظنون ان على الدين من الاقرار بهذا مضره . وليس القول كما قالوا ^(١)) . وفي المعاد قال ما معناه ان الدين هو الدنيا وان كلا منهما متم للآخر . (واعلم ان الاداب انما هي الات تصلح ان تستعمل في الدين وتستعمل في الدنيا) . وانما وضعت الاداب في اصول الطبائع . وانما اصول امر التدبير في الدين والدنيا واحدة فما فسدت فيه المعاملة في الدين فسدت فيه المعاملة في الدنيا . وكل امر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين . وانما التوق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين ؟) .

ونعني ايضا انه كان يرى في العقل شيئاً يمكن الاعتماد عليه والايان به لحل كل المشاكل . فالعقل في الادب . والعقل في العلم . والعقل في الدين . والعقل في كل معضلة كان ديدنه . ولهذا قال ابن العميد . كتب الجاحظ تعلم العقل اولاً والادب ثانياً .

رابعاً موقف الجاحظ في الدين

لقد قال صاحب الزهقان الجاحظ كان اماما من ائمة المعتزلة^١، كما قال الخياط لقد كان امة في الدين^٢. لكن اراء هذين القولين نجد قول نعلب انه لم يكن ثقة وقول صاحب الميزان . لقد كان الجاحظ من اهل البدع كما مر معنا . ولكن من الترفيعين بالطبع براهينه وادلتة المستفاة والتي نعلمها تمام العلم . وامام هذا نرانا في حيرة . ترى هل كان زنديقا مارقا ام انه مظلوم .

ان الجواب على هذا من الصعوبة بمكان . قدفاعه عن الدين الاسلامي عامة ضد اليهود ضد النصارى^٣، ودفاعه عن فكرته خاصة ضد كل الفرق الاخرى خاصة مثل الدرزية والجبورية والمانانية والمجوسية والمعظلة والرافضة والزنادقة وغيرهم . هذا بالإضافة الى تعجيده الدين من الناحية الايجابية - كلها تغير الى اخلاص وتفاخي لا يشوبهما شك . - الا ان قوله بالحرية العقلية مثلا وخلق القرآن وغيرها كبير في نظر الاخرين كقول لا يشوبه شك ايضا . ترى ما حقيقة الامر . وما السبب في كل هذا التلاعب .

الجواب بقدر ما استطعنا ان نحنته هو ان الرجل كان مسلما حرا يعتمد على العقل في بيئة مسلمة مفيدة تعتمد على النقل . والعقل دائما متجدد في حين ان النقل دائما محافظ . ومن ينظر الى الوراء لا يمكنه ان يتفق مع من ينظر الى الامام . ولهذا كان المتنكب التفكير والانتهاك .

هذه واحدة . اما الثانية فهي ان في الجاحظ جينا ادبيا تكلفنا عنه . لا يقول رايه بصراحة وانما يدرج ولف ومعني حتى انه في كثير من الاحيان كان يقول عكس ضميره فيمدح العامة وهو الذي اتخذ ديدنه مهاجمتهم ومدح السلطان بالرغم من انه نفر الناس من خدمته ومدح حتى التوكي بالرغم من انه كان دائما يسخر منهم .

هذا هو الجاحظ المعتزلي الجاحظي . اردنا اكر ما نستطيع ابراده في صفحات اسفين اولا لفلتها وثانيا لضياع مصادرها الجاحظية الاصلية .

(١) نزعة الانباري ص ٢٥٨ (٢) انتصار الخياط من ياقوت ٥٢/٦ (٣) نصارى ١٣ الح

نظرة و تقدير

من هذا نرى ان الجاحظ كان فريدا في حياته من حيث جمعه المتناقضات سواء في خلفه او خلفه او تدرجه في سلم الحياة . ومنه نرى انه كان مكشبا اى كثير الكتابة واديبا خلف ما لا يقل عن ١٥٠ كتابا مما لا يمكنها معه الا ان نصفه بانه غير عادى حتى ولو كان موضوع كتابته ضريبا على وتر واحد . ومنه نرى انه كان ذا اسلوب خاص به سواء في التأليف او في الانشاء او في البحث العلبي مما لم يعرف قبله وان كان عرف فان له الفضل في بلورته . ومنه نرى ايضا ان له في موضوعات الادب كالتفقد واللغة والشعر وما اليها اراء تحلتف بالسبق من ناحية والقيمة العلمية اخرى حتى انه لا يزاحم فيها بعض علماء اوروبا المحدثين . واما الدين فللعقل كلما جار الزمان على الجاحظ صرخه لانه كان اكبر انتصاره ايام سيادة دولة النفل .

نقول كل هذا نراه من دراسة سنة واحدة لكن ترى ما الذى بقي مما لم نره . لحد الان . او بكلمات اخرى = ترى لو طار بنا الوقت ما الذى كان يمكننا ان نخرجه للسوق من دوحه ابي عنمان او من بحر بن بحر . نحن لا يخالجنا شك في ان الدوحة ملأى بالثمار ولا في ان البحر زاخر بالجواهر . لكن ما هي . وكيف يمكننا استخراجها . هذا هو السؤال الذى بقي يجول في الصدر . وهو الذى نرجو ان يوقفنا الله لجوابه في المستقبل القريب - هذا ان لم يقم " احد الذين لا يعملون ... " فيعمل ، وسنبقى اليه .

الملحق الأول في مصادر الدراسة

(١)	عمر بن كتيبة	٢٧٦	القاهرة ...	١٣٤٦
(٢)	تايل بن قتيبة		٢٧٦		القاهرة	١٣٢٦
(٣)	مختصر بن الفقيه		٢٨٠		لايدين	١٨٨٥
(٤)	كامل المبرد		٢٨٥		لايينج	١٨٦٤
					القاهرة	١٣٢٤
(٥)	محاسن وسأوى البيهقي	٣٢٠	لايدين ...	١٩٠٣
(٦)	عقد ابن ربه		٣٢٨		القاهرة	١٢٩٣
(٧)	وزراء الجهشيارى		٣٣١		القاهرة	١٩٣٨
(٨)	مروج السمعودى		٣٤٦		باريس	١٨٧٢
(٩)	تنبيه السمعودى		٣٤٦		لايدين	١٨٩٣
(١٠)	اغاني ابي الفري		٣٥٦		القاهرة	١٢٩٣
(١١)	فهرس ابن النديم		٣٨٥		لايينج	١٨٧١
(١٢)	مقابسات التوحيدى	٤٠٣	القاهرة ...	١٣٤٧
(١٣)	اعجاز الباقلائي		٤٠٣		القاهرة	١٣١٥
(١٤)	نور البغدادى		٤٢٩		القاهرة	١٣٢٨
(١٥)	يتيمة النعاليبي		٤٣٠		بيروت	١٣٠٤
(١٦)	ملل بن حزم		٤٥٦		القاهرة	١٣١٧
(١٧)	ملل السهرستاني	٥٤٨	القاهرة ...	١٣١٧
(١٨)	تاريخ بن عساكر		٥٧١		دمشق	١٣٢٩
(١٩)	نزهة الانبارى		٥٧٧		القاهرة	١٢٩٤
(٢٠)	ادباء ياقوت	٦٢٦	القاهرة ...	١١٣٠
					القاهرة	١٩٣٧
(٢١)	بلدان ياقوت		٦٢٦		لايينج	١٨٦٦
(٢٢)	مثل ابن الاثير		٦٣٧		القاهرة	١٢٨٢
(٢٣)	حكاه القفطي		٦٤٦		القاهرة	١٣٢٦
(٢٤)	طبقات ابن ابي اصيبعة		٦٨٨		القاهرة	١٣٠٠

١٣٢٥	...	القاهرة	٧٣٢	تاريخ ابي الفداء	(٢٥)
١٣٢٥		القاهرة		٧٤٨		ميزان الذهبي	(٢٦)
١٢٨٥		القاهرة		٧٤٩		تاريخ بن الردى	(٢٧)
١٢٧٥		القاهرة		٧٦١		وفيات ابن خلكان	(٢٨)
١٣٠٥	...	القاهرة	٨٨٨	حيوان الدميرى	(٢٩)
١٣٣٧		القاهرة		٨٢١		صح القلقشندى	(٣٠)
١٣٠٦		القاهرة		٨٥٠		منظرطف الاشيشي	(٣١)
١٣٢٦	...	القاهرة	٩١١	بنية السيحي	(٣٢)
.....		القاهرة		١٠٦٩		طراز الخفاجي	(٣٣)

ب - كل هذا بالاضافة الى كتب الجاحظ نفسه التي سبق وتكلمنا عنها
 مسبقا ومنفصلا في الفصل الذى خصصناه لها في الرسالة ما بين ص ٥٠ - ١١٨ .

ج - وبلاضافة ايضا الى ما يلي من كتب الحدنبن .

١٨٨٢	بيروت	معارف البستاني	(٣٤)
١٩١٣	القاهرة	تاريخ اللغة العربية لزيدان	(٣٥)
١٩١٣	لايدن	الموسوعة الاسلامية	(٣٦)
١٩٢٨	بيروت	مجلة المشرق	(٣٧)
١٩٣٢	دمشق	مجلة المجمع العلمي	(٣٨)
١٩٣٢	القاهرة	رسائل السندوبي	(٣٩)
١٩٣١	القاهرة	ادب السندوبي	(٤٠)
١٩٣٤	القاهرة	نفر زكي مبارك	(٤١)
١٩٣٥	بيروت	تطور القدسي	(٤٢)
١٩٣٥	كالكرتا	فهرس شفيح للعقد	(٤٣)
١٩٣٦	القاهرة	ضحى امين	(٤٤)
١٩٣٦	دمشق	الجاحظ مردم	(٤٥)
١٩٣٧	القدس	مختار النشائيبي	(٤٦)
١٩٣٨	دمشق	جاحظ جبروى ش.	(٤٧)
١٩٣٨	لايدن	ملحق بروكلمن	(٤٨)

الملحق الثالث - في الذين اخذوا عنه

لقد قال القاضي الفاضل ان ما منا احد معاصر الكتاب الا وتطفل على تراث الجاحظ .
ان نقلا او استفادة او تعليقا . ولم يبق في النائمة التالية احوال او بالاحرى ادم قول القاضي
بمراجع مؤلفيه استطعت ان اتع عليها في انشاء الدراسة .

(٤) ابو الفرج في اغانيه

٣٥٤/٨	٨/٢
١١٦/١٠	٤١٣/٢
١٨٠/١٠	١٤٥/٣
٢٣٦/١٠	١٧٧/٣
٤٣/١٦	٢١٢/٣
٤٥/١٨	٢٢٤/٣
...	٣٦/٤

(٥) الجهشيارى في وزراءه

١/١٦٤	٦/١١٠
١/١٩١	٥/١١٦
...	١٢/١٢٧

(٦) البريد في كامله

٧/٣٥٢	٥/١٧١
٥/٣٦٤	٣/١٦٦
٢/٤١٩	١/٢٣٧
١٥/٤٧٢	١٧/٢٨٣
١٠/٧١١	١٥/٣٢٠
٣/٧٣٧	٥/٣٣٨

(٧) اخرون = معجم يافوت ٢١/١ ١٠٨/٧

١٦٥/٧ ابن النقي في المختصر ٦/١١٦
١١/٢٥٣ . ابن عساكر ٢٧/١ . ابن
النديم ١٤٤ . محاسن البيهقي = كنه .

(١١) السمودى في مروجيه

٢٢٢/٧	٤/٣
٢٢٣/٧	١٧/٣
٢٢٥/٧	٢٢/٣
٢٢٧/٧	١٣١/٦
٣٢٦/٨	٣٦٦/٦

(٢) ابن عبد ربه في عقده

٢١٢/٢	٢٦/١
٢٤٣/٢	٩٣/١
٢٤٤/٢	١٨٤/١
٢٦/٣	٢٧٠/١
١٨٧/٣	٢٨٧/١
٣٣٥/٣	٣١١/١
٣٤٣/٣	٢٩/٢
٣٤٦/٣	٩٢/٢
٣٨٦/٣	١١٦/٢

(٣) ابن قتيبة في عيونيه

١٩٩/٣	٢١٩/١
٢١٦/٣	٣٣/٢
٢٤٩/٣	٥٦/٢
١٠٨/٤	٢٠٤/٢
...	١٣٧/٣

الملحق الرابع - اولاً في شعره

لسفد حاولنا جهدنا ان نجمع اكبر عدد ممكن من شعر الجاحظ لنطلع على نفسه الشعري ومفهوه الخاص للشعر . الا اننا لسوء الحظ لم نجد كثيراً من ذلك فاضطررنا ان نكتفي بما يلي بعد ان جمعناه من مصادر متفرقة . والناظر فيه يرى ان اكثره شعرا ميكانيكيا ضعيف الخيال وسقيم الماطفة ، اغلظه مدح وباقيه شعر مناسبات .

(١) - كتب الجاحظ الى احمد ابن ابي دؤاد

لا تترائي وان تطاولت عمدا بين صفيهم وانت تسير
كلمهم فاضل عليّ بمالـ ولسانه يزينه التحبير
فاذا ضمتنا الحديث وبيت وكانني على الجميع امير
رب خصم ارق من كل روح ولنفرط الذكا يكاد يطير
فاذا رام غاييتي فهو كـابـ وعلى البعد كوكب مهور
- - - يافوت ٦٠/٦

(٢) - ويقال ان الابيات التالية مدح بها ابن ابي دؤاد وابن ريلم وابن الهيثم

بدا حسين انرى باخوانه فقل عنهم شباة العدم
ونذكره الدهر صرف الزمان فبادر قبل انتقال النعم
نقى خصه الدهر بالكرويات نمازج منه الحيا بالكرم
ولا نيكث الارض عند السؤال ليقطع زواره عن نعم
- - - يافوت ٦٠/٦

(٣) - قال يموت هجا خالي ابو عثمان الجواز بابيات منها :

نسب الجواز مقصور اليه منتهاه
تنتهي الاحساب بالناس ولا تعدو قفاه
يافوت ٦٠/٦

(٤) - قال المبرد انشدنا الجاحظ في مرضه

اتسرجوان تكون وانت شيخ كما قد كنت ابام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس نوب دريس كالجديد من الشباب

(٥) - وقال لي احدهم متفلسفا وهو من احسن ما قال

خضعت لبعض القوم ارجو نواله
فلما رأيت الشخص يبذل بشره
رجعت على ضلعي وراجعت منزلي
وشاورت اخواني فقال حلیمهم
اعينك بالرحمن من قول شامت
ولو كان فيه راعبا لرأيتسه
اخاف عليك العين من كل حاسد
فان ترع ودي بالقبول فاهله
وقد كنت لا اعطى الدنية بالقصر
ويجعل حسن البشر واثية السوء
نصرت حليفا للدراسة والفكر
عليك التقى المرى ذا الخلق النمر
ابو الفرج المأمول يزهد في عمرو
كما كان دهرنا في الرخاء وفي العسر
وذو السوء منخوب انفراد من الذعر
ولا يصرق الاقدار غير ذوى القدر
ياقوت ٢٩٦ / ٦

(٦) - ومن شعره في ابن ابي دؤاد

وعويس من الامور بهيم
قد تسخت ما توعر منه
مثل وشي البرود هلهله الذ
حسني الصمت والمقاطع اما
ثم من بعد لحظة يورث اليه
غامض الشخص مظلم مستور
بلسان يزينه التحبير
سج وعند الحجاج در نثير
نصت القوم والحديث يدور
سر بمرض مهذب مونور
ياقوت ٥٩ / ٦

(٧) - ومن شعره في ابن الزيات - قوله

بدا حين اشرى باخوانه
والمر كيف انتقال الزمان
نفل عنهم شبابة المدم
تبادر بالمعرف قبل الندم
كود علي ص ٢٩٢

وانه لا يحسن بنا ان نلاحظ ان هذه القطعة اوردتها من قبل ياقوت واوردها سلبا
نمرة ٢ وقد اختلف النص في الروایتين . والى جانب هذا الاختلاف يجب ان نذكر ان
كرد علي فيهما هو المتأخر .

(٨) - وانشد الجرد للجالظ قوله

ان حال لسون الراس عن لونه
هب من له شيب له حيلة
فني خضاب الراس مستمتع
فما الذي يحيا له الاصلع
ياقوت ٥ / ٦

(٩) - قال ابو العينا * انشدني الجاحظ لنفسه في ابراهيم بن رباح .

عهدي به والله يصلح امره رحيب مجال الراى منبلج الصدر
فلا جعل الله الولاية سبة عليه ثاني بالولاية ذو خبـــــر
نقد جهوده بالسؤال وقد ابي به المجد الا ان يلج مستشـــــرى
ياقوت ٦٦/٦

(١٠) - قال الجاحظ في ابي الفوخ يساله اطلاق رزقه من نصيدة طويلة

اقام بدار الخفض راض بخفضه وذو الحزن يسرى حين لا احد يسرى
يظن الرضى شيئا يسيرا مهونا ودون الرضى كاس امر من الصبر
سواء على الايام صاحب خنكة واخر كاب لا يريش ولا يـــــرى
ياقوت ٧٩/٦

(١١) - قال ابو العينا * انشدني الجاحظ لنفسه .

يظيب المعيش ان تلقى حليما غذاء العلم والراى المصيب
ليكتف عنك صلة كل ريسب وفضل العلم يعرفه الاريب
سقام الحرص ليس له شفاء ودا* البخل ليس له طبيب
ياقوت ٦٥/٦

(١٢) - وقال ابن خلكان في وفياته انشد الجاحظ معتبرا .

لقد قدمت قبلي رجال نطالما مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تاتي صروفه فتبرم منفضا وتنفض مبسرا
ابن خلكان ٥٥٥/٨

(١٣) - روى له ابن خلكان ايضا قوله في الاصحاب .

وكان لنا اصدقا* خروا تنانوا جميعا وما خلدوا
تساقوا جميعا كوكوس المنون فمات الصديق ومات العدو
ابن خلكان ٥٥٥/٨

(١٤) - روى ياقوت قوله في مرغه .

مرىض من مكانين من الافلاس والدين

ياقوت ٦٢/٦

(١٥) - روى له المبرد في كامله قوله .

فاذا بلغتم ارضكم فتحدثوا
فاننوا علينا لا ابا لايكم
ومن الحديث متالف وخلود
بانعالمنا ان الننا هو الخلد
الكامل للمبرد ٢١٣/١

(٤٦) - روى له ايضا قوله .

اما رايت بني بحر وقد حفلوا
هذه طويل وهذا حنبل جحد
كانهم خبز يقال وكاب . . .
يمشون خلف عمير صاحب الباب
الكامل للمبرد ٢١١/١

(١٧) - نقل له السندوني في مقدمة البيان والتبيين قوله .

بخدى من قطر الدموع ندوب
ولي نفس حتى الدجى يصدح
والقلب مني مذ نابت وجيب
ورجع حنين للفؤاد مذيّب
ولي شاهد من غر نفسي وسقميا
كاخي لم افجع بقرقة صاحب
ولا غاب عن عيني سوك حبيب
مقدمة البيان ١٩/٢

(١٨) - روى السندوني ان ابا العينا قال الجاحظ .

زرت نقاة من بني هلال
مالي ارك قاني السبال
ناستعجلت الي بالسؤال
كانما كرمعت في جرسال
ما يبتغي منك من امتالي
تنحى قداي ومن حيالي
مقدمة البيان ١٥/١

(١٩) - ونقل السندوني ايضا قوله في الجواز .

نسب الجواز مقصود اليه منتهاه
تنتهي الاحساب بل لناس ولا يعدو قناه .
يتحاجي من ابو الجواز فيه كاتباه
ليس يدرى من ابو الجواز الا من براه
مقدمة البيان والتبيين ١٥/١

اذا فارنا هذه بما ورد في نكرة ثلاث نلاحظنا ان السندوني قد اضاف البيتين الاخيرين على
رواية ياقوت . اما من اين اتى بهما فانه اعلم .